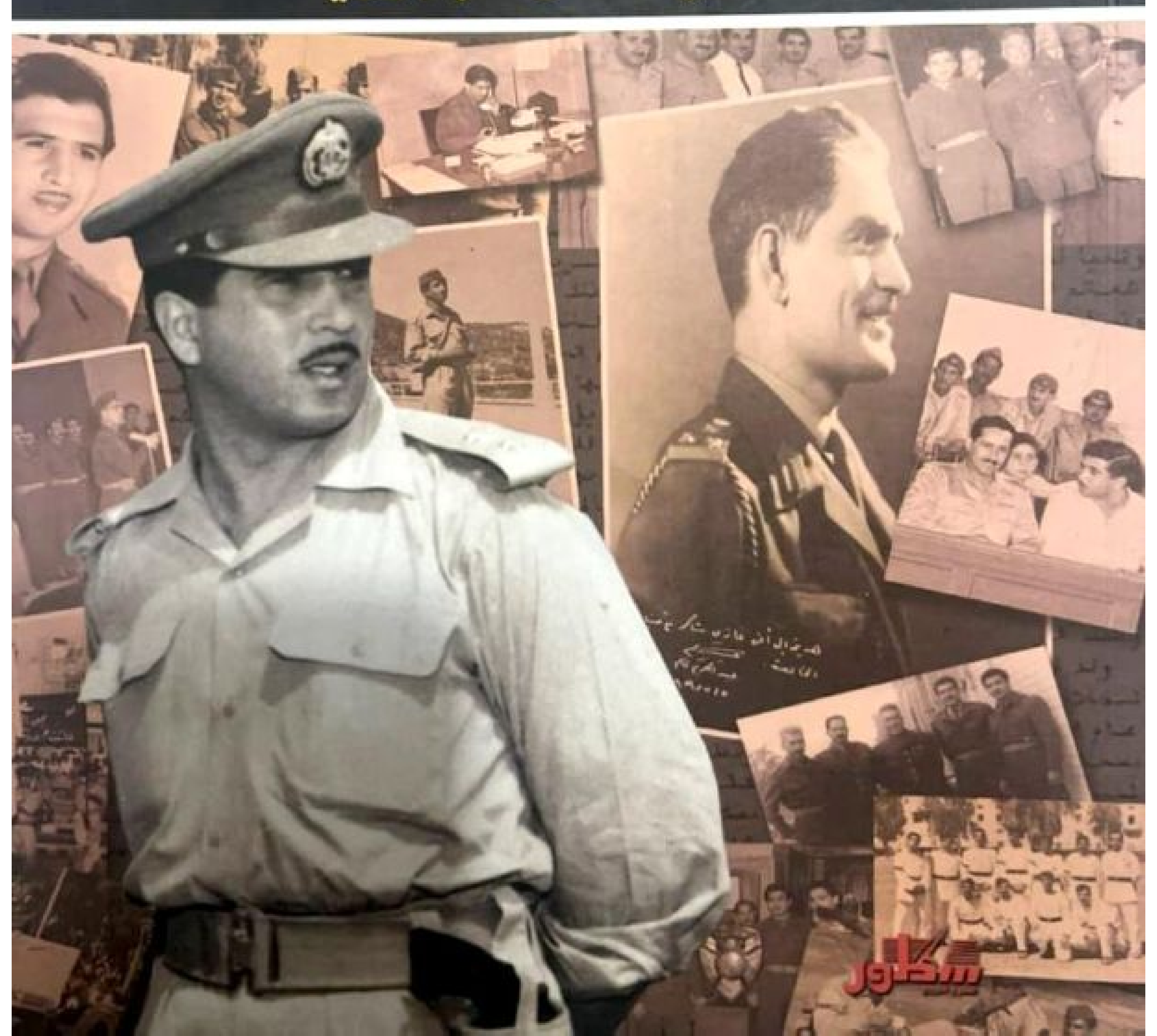
القتيل الحي

والشاهد الحاضر

مقاتل مع الشهيد عبد الكريم قاسم

في الثامن من شباط الأسود

غازي شاكر الجبوري



كلمات... بدون مقدمة

امل بورتر، بريطانيا ايلول 2016

وصلني هذا النص موقع باسم غازي الجبوري قراءته / ذهلت / صعقت / بكيت/ جزنت، ثم هزني ما علمت، اسم أليف لدي لا اعرف عنه سوى القليل جداً لا يتعدى شكله هيأته وموقعه لا اكثر، كان ذلك في خضم ايام تموزية مفعمة بالحماس والتوقعات فهو ابن تموز الشرعي، هذا كل ما اعرفه عنه مع غمغمات من هنا وهناك بقت هكذا ولم تزد، اعرف انه ابن شرعي لثورة جائتني مفعمة تنز وتقطر بالفرح لتفتح ابواب المستقبل، لتبعد عني ذكريات ما شاهدت والمني وانا صبية منعمة ترفل بالخير والعطاء، متخمة بكل ماكان عسير على غيري، صبية يافعة تعرف جيداً كم يد متعبة طرقت باب بيتها ليفتح حيث يقف / تقف صبية او صبي برفقة امرأة او رجل مع صوت يقول تريدون خادمة / خادم بأكل بطنه، فتموز القادم بالفرحة سيمحي هذه الصورة، هذا ما كنت اصبو اليه.

و يعود غازي الجبوري ليطفو برحابة على السطح عندما يقول لي زوجي يوسف جرجيس وبثقة سيكون غازي الجبوري محامي لكِ، سيرعى مصالح شركتك كان ذلك في ثمانينات القرن الماضي، حيث اجبرنا على العيش مع السلاح الذي كان الناطق الوحيد ونتاجه الهائل من الموت، الجثث والهباء. لم اسئل ولم استفسر، او اعترض فالرجل ابن تموز وانا ابنتها العاقة التي تركتها وهربت في حين كلاهما يوسف وغازي بقيا وقاوما ولا اعرف اكثر من ذلك.

و في الفيا لم اتوقع ان اعيشها واحياها بكل عنفوانها / صخبها / ضجيجها،

يعود الاسم الاليف غازي الجبوري ثانية ليصل مع هذا النص ليقول لي الكثير عن الحياة والالم والموت والعذابات والتحديات والانجازات والاصل والفصل والعمل عن ما كنت اجهل من الحقائق بنص رصين وسرد عميق، وبعد اسئلة كثيرة مختالة تحتال علي لاقدمها بخجل اقول أكانت تموز ثورة السلاح وفحولة قاسية ام كانت نتيجة لدموع امهات علقت اجساد فلذات اكبادهن او عطش صبايا وصبية لحياة مُرفهة، مع توق اطفال ارض السواد عمومها ليتمتعوا بالجلوس على رحلة في صفوف لِفك الخط وشوق الفلاح / الفلاحة لجني ثمار الارض بعيداً عن الاقطاعي الذي كان له سجنه الخاص بعيداً عن رقابة الدولة لمن تلكاء في جني الثمار، ام دموع فتاة الجسر عند احتضارها وتلاشي حلمها بالحبيب واطفال المستقبل، وزراع مزارع الشلب الواسعة التي تمتد الى ما يمكن ان يمتد له البصر، يملكها رجل واحد لا يرى اقدام زارعي ارضه المتعفنة المتشققة في مزرعته المغرقة بالمياه.

لا احكي واستفسر فقط بل اذوب آلماً عما حدث لثروات النفط/ البترول وتقنين استخراجه وحكره بمصدر واحد فقط والالتزام بعملة ذلك المستثمر مع نكران وتجاهل قيمة العملة الوطنية، هذا ما ينطبق على السلاح ايضاً، هذه اسئلتي، اتيهُ فيها لا اعرف كيف اصوغها عندما اجد الطبيب المداوي يساهم في زرع الالم في جسد ضحاياه في يوم من شباط عفن، بعد تموز الذي وعد بالخير، مع خيرة ونخبة ممن حملوا قلوبهم العراق على اكفهم، حشروا كلهم بين قضبان وجدران حديدية رسم لها ان تتحرك ببطئ ليلتقي ركابها بالموت البطيئ عطشا كما حدث للحسين عليه السلام قبل الف وكذا سنة، ما جرى في ذلك الشباط اللئيم اللعين جعل الاهات تلفني وتقف في زوري لتخنقني حد اللعنة.

الإهداء

إلى من وهب حياته فداءً لوطنه، إلى من أحب كل الناس ولم يفرق بين غني أو فقير، إلى الرجل شهيد الوطن الزعيم عبد الكريم قاسم.

إلى كافة شهداء الوطن، إلى الذين أفنوا جل حياتهم في خدمته، إليكم جميعاً يامن ضحيتم بأغلى ما لديكم فداءً للعراق العظيم.

إلى زوجتي سعاد اسماعيل التي وقفت معي تجاه ضغوط سلطة البعث وأولادي علياء وفراس وإيناس ورواء، يامن تربيتم على حب هذا الوطن الغالي والعزيز، إليكم بعضاً مما جرى في ذلك الزمن لتبقى رؤوسكم مرفوعة عالياً أمام أقزام السياسة وأدعياء الوطنية الذين شاركوا في هدمه.

غازي شاكر الجبوري

ghazialgoubori@yahoo.com

البداية

قد أكون آخرالأحياء الذين تشرفوا بالالتحاق والعمل بإمرة الشهيد الزعيم عبدالكريم قاسم في معركته ضد أعدائه في ذلك اليوم المشؤوم. كثيرون كتبوا عنه، ولكن القليل منهم من تعايش معه ورافقه، خاصة في يوم الانقلاب، وقد أكون الحي الوحيد من الذين شاركوا في الدفاع عن ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة وتم إعدامهم.

إذ في ذلك اليوم الأسود بقيت في مقر القائد العام في وزارة الدفاع مع رجاله المخلصين منذ الصباح وحتى ظهر اليوم التالي. لم يخطر ببالي، وأنا واقف مع جميع الذين استشهدوا، والذين صلاهم برشاشته المجرم أيوب وهبي صبري، أن أحيا وأن أُنتَشَلَ من بين الجثث بعد نيلي لمرتين نصيباً وافراً من رشقات سلاحه ونقلي مع الجثث من النادي الجمهوري إلى مستشفى الرشيد العسكري.

ومع هذا قد عشت لأروي ما حلّ بهم وبي دون ذنب نقترفه أو جريرة سوى أني والجميع ممّن استشهد أخلصوا لشعبهم ولمؤسس جمهوريتهم الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم.

قد أكون آخر الأحياء الذين واكبوا معركته الأخيرة وشاركوا فيها، هنا أودُّ أن أوضّح الكيفية التي تعامل بها الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم مع الحدث منذ بدايته ولغاية انتقاله إلى بناية قاعة الشعب مصطحباً معه الشهداء المرحومين العميد الركن طه الشيخ أحمد والعميد فاضل عباس المهداوي.

إضافة إلى المرحوم اللواء الركن أحمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش،

كذلك المرحوم المقدم الركن قاسم أمين الجنابي مرافق الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم، وبقائنا مع الشهيد المرحوم المرافق الأقدم وصفي طاهر في المقر الرئيس، وما جرى بعد ذلك من أحداث حتى صباح اليوم التالي الذي استشهد فيه المرحوم الشهيد وصفي طاهر وعدد من المراتب، وأسر البقية الذين استدرجوا من قبل العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار الذي كان الضابط الخفر في مديرية الحركات العسكرية في ذلك اليوم، والمتعاون مع الانقلابيين منذ البداية.

فبتواجده رتّب تسهيل حركتهم وإخفاء المعلومات عن القيادة العامة وتضليلها بنجاح، فقد كان ينقل المعلومات إلى رئاسة الأركان وإلى الزعيم بشكل مُخالف للحقيقة تماماً، مما منح الوقت للانقلابيين.

حيث تستر على حركة اللواء الثامن الذي توجه من الحبانية إلى بغداد تنفيذاً لخطة الانقلابيين، كذلك بقية القطعات التي انضمّت إليهم، كما حيّد القطعات الباقية بفعل الأوامر التي كان يصدرها دون علم ومعرفة المقر.

حدث هذا بفعل السياسة التي اتبعها الشهيد المرحوم عبد الكريم قاسم بعد السنة الأولى من عمر الثورة، وذلك محاولةً منه لاحتواء جميع الأطراف بسبب حسن نيته، حيث نَسي أن الطريق إلى الجحيم معبّد بالنيات الحسنة.

كان عبد الكريم قاسم نبيلاً وفارساً في تصرفه طيلة ذلك اليوم كسائر الأيام التي سبقته إلا أن النبل والفروسية لا تستقيم وتنسجم مع السياسة، لهذا وقع المحذور ودفع حياته وحياة من أخلص له حباً به وبالوطن ثمناً لولائهم له ولوطنهم.

أنا أنشر ما قد كتبته بوازع من ضميري لكشف وإيضاح بعضاً من الحقائق التي توفرت لديَّ خلال عملي مع أولئك الذين تم غدرهم وشوِّهت سمعتهم دون أي تأنيب للضمير، ليس لذنب ارتكبوه سوى حبهم لوطنهم وإخلاصهم له، فرحلوا عنا شهداء في عليّين وهم أنقى نفساً ورفعة عن مغريات الحياة والمال والسلطة وأطول قامة وشموخاً من الذين غدروا بهم بمساعدة الأجنبي.

لقد عاشوا وما زالوا يعيشون في ضمير الشعب، وذهب من غدر بهم من الخونة إلى مزبلة التاريخ.

لم يكن يوم الثامن من شباط سنة 1963 سوى خاتمة لأيام التآمر العلني والسري على الرجل الذي فجر وأنجز ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة وكانت له اليد الطولى فيها.

فما أن أطلق عبارته المشهورة (إنني فوق الميول والاتجاهات) حتى سنحت الفرصة لأعداء الثورة في التحرك المحموم لإجهاضها، إذ حينها تحوّل اتجاه الزعيم عبد الكريم قاسم وساعد ذلك لأطلاق العنان لدوائر الأمن كلها، وسمح للصحف والمجلات على اختلاف تسمياتها واختصاصاتها لمحاربة كل من كان مخلصاً له أو لجمهوريته دون حساب للعواقب.

وكأنه لم يكتفي بما عمله سيِّيء الذكر المقدم الركن جاسم العزاوي من بعثرة وتشتيت للقوة التي كان يمكن أن تنقذه وقت الحاجة والذي سنأتي على ذكر ما فعله هذا الرجل بحاميه وولي نعمته في هذا السرد الوثائقي.

من يقرأ الصحف الصفراء التي صدرت في تلك الفترة التي انقلبت بمقالاتها إلى وحوش مسعورة تنتقد وتحرّض وتسبُّ وتستدعي السلطة لمحاربة كل ماهو يساري أو مُوالٍ للثورة، وتتّهم كل هؤلاء المواطنين سواء كانوا من منتسبي القوات المسلحة أومن المدنيين بأنه (شيوعي).

إن ما كان يكتبه يونس الطائي في جريدة الثورة ما هو إلا مثال صارخ على استغلال تغيّر منهاج الزعيم عبد الكريم قاسم، كانت التُهم تـُلصق وتـُطلق من قبل أعداء الثورة على خصومهم جميعاً بحجة الإخلاص للزعيم والوقوف معه ومساعدته في التخلص من المد الشيوعي المزعوم، وحُورب كل من كان مخلصاً له.

لقد تمكّن أعدائه منه عن هذا الطريق، وأفرغت كل الوحدات من الضباط

الموالين وأبقي على من يمكن أن يتآمر ضده أو من كان باقياً على التل في أحسن الاحوال.

لقد ساعد هذا الوضع إضافة إلى العوامل التي سنأتي على ذكرها، بشرح وتبيان ما حصل في ذلك اليوم المشؤوم من البداية وانتهاء في مساء التاسع من شباط الأسود وما تلاه من أيام عصيبة ومآسٍ حلت على الشعب العراقي المبتلى.

حياتي

ولدت في بغداد، الكرخ، محلة الشيخ بشار، في بيت يعيش على أنقاض مجد يوشك على الزوال وغنى، بَدّده بطر الورثة المنتشين بما خلّـفهُ لهم من شيّد لهم هذا المجد / شرف المحتد / عزة النفس / كرامتها وكل القيم النبيلة.

تبدد المال وأوشك على النفاذ، ولم يبق منه إلا القليل تمثّـل في بعض من عقارات كانت قد شيدت في حينها تمثلت في زقاق طويل حمل اسم الجد الأكبر للعائلة أحمد النصر.

ولحسن الحظ والطالع تمسك هؤلاء بكل القيم النبيلة وبقيت عزة النفس والكرامة، وترسخت في نفوس كل جيل تربى في هذا البيت.

كانت الجدة حمدة النصر أو بالاحرى الشيخة حمدة النصر، تغذي الأحفاد وأبناء الاحفاد بكل معاني الشرف والكرامة والإباء مع عزة النفس والثقة بها.

فلا خوف ولا رياء ولا كذب، على الرغم من قلّة الموارد وبساطة العيش. كانت العائلة تعيش على ما يتحصّل من بدلات إيجار الغرف في الدار الثانية التي كانت تملكها، والتي بقيت من بقايا زقاق طويل يُدعى ((دربونة بيت نصر))، تعود لها وأخرى لبقية أفراد العائلة من الورثة الذين بددوا معظم ما كانوا يملكون.

لقد كنت أشاهد ما كانت عليه هذه الدُور من حُسن البناء، بحكم وجودي بالقرب منها أو السكن والعيش في ما كان قد تبقى لنا منها، وأغلبها يحوي، إضافة للغرف، المرافق المهيأة للعيش الرغيد بما في ذلك السراديب.

كانت هناك معالف ومرابط للخيل في بعض جوانبها، وكانت هذه المعالف مبنية بالآجر وبزخرفة جميلة، نظراً لسعة مساحة كل دار، إضافة إلى الآبار المتوفرة في كل منها، تشهد جميعها على ما سبق وأن ذكرته عمّا كانت عليه أحوال ساكنيها.

كانت الحاجة حمدة (جدتي لأبي) شاعرة فطرية، كما كان لها خزين لا ينضب من الأمثال الشعبية والحكايا التي تمس كل نواحي الحياة، إضافة إلى فراستها في معرفة الأشخاص وتقديرها العالي لكل ما قد يفعله أي منهم في حياته أو ما قد يفعله تجاه الآخرين.

لقد أصابت كبد الحقيقة في الكثير من تنبؤاتها عن كل شخص صادفته في حياتها، بما في ذلك حياتي وما سيحدث لي مستقبلاً، وقد حصل ما توقعته فعلاً، علماً أنها بقيت على قيد الحياة حتى دخولي مرحلة الدراسة المتوسطة.

وقد تعلمت ووعيت الكثير مما كانت تقوله من حِكَم وتوجيه إلى جادّة الصواب والسلوك الحسن.

هكذا عشت وترعرعت على كل معاني الكرامة والشرف والعزة بالنفس دون كبرياء أو تعالٍ، هذه هي أيام طفولتي وصباي.

أكملت دراستي الابتدائية في مدرسة المشاهدة القريبة من مقابر الشيخ معروف الكرخي، بعدها انتقلت إلى ثانوية الكرخ، حيث أنهيت الدراسة المتوسطة والثانوية فيها، كنت مبرزاً بين التلاميذ دراسة وشخصية.

فقد اختارني مدير الثانوية المرحوم طه مكي مراقباً للصف الرابع الأدبي وبعدها وفي السنة الثانية، في الصف الخامس الذي كان الصف المنتهي للدراسة الثانوية كنت المُراقِب العام لعموم المدرسة إضافة إلى صفي طبعاً.

لم يكن في خلدي ولم يدُر في ذهني يوماً أن أدخل الكلية العسكرية أبداً وأقولها بكل أمانة. كان تفكيري وهمّي مُنصبّاً على إكمال دراستي الاعدادية بما

يؤهلني للقبول في (دار المعلمين العالية) كلية التربية الآن، فرع اللغة الانكليزية والوصول إلى مرحلة الدكتوراة في الأدب الانكليزي.

لكن الظروف أبت عليَّ ذلك، أذ تدخل أحد أصدقاء والدي من الضباط (اللواء فاضل عساف) رحمه الله الذي كان برتبة صغيرة حينها وأقنعه بعدم القبول بتوجهي هذا، بالنظر للظروف السياسية الحرجة التي كان يمر بها البلد في ذلك الوقت (سنة 1952).

إذ إنَّ دار المعلمين في حينها ذات سمعة سياسية، على أنها مُعادية للحكومة قد تؤثر عليَّ في حالة إقدام الحكومة بالتحرك ضد طلابها، كما فعلت عدة مرات خلال إضراب الطلاب والعاملين في الكلية.

عندما كانت بغداد تشهد الكثير من المظاهرات؛ مثل هبّة الشعب في وثبة كانون الثاني 1948 وغيرها، كل تلك المظاهرات كانت ضد التعسف والفقر ورفض تسلّط طبقة الاقطاع ومُلاك الأراضي، إذ حينها اجتمعت قوى الشعب مع طلبة الجامعات للمطالبة بإلغاء التبعية السياسية من خلال معاهدة بورتسموث والقواعد العسكرية والتبعية المالية، وكذلك إلغاء قانون إسقاط الجنسية العراقية، وهو السيف المسلّط على رقاب المواطن العراقي، وكذلك اطلاق سراح المعتقلين بسبب ميولهم ونشاطهم السياسي، وبالتالي إلغاء كافة المراسيم السعيدية (نوري السعيد) المُقيدة للحريات وإجازة الأحزاب السياسية.

حينها جُوبهت تلك المظاهرات السلمية بالذخيرة الحية، مما أدى الى سقوط بعض الشهداء، منهم على سبيل المثال المرحوم الشهيد جعفر الجواهري الأخ الشقيق للشاعر محمد مهدي الجواهري الذي كتب فيه قصيدة (أخي جعفر) الشهيرة.

ونظرا لهذا الوضع الحسّاس تصوّر والدي بأنني قد أُصاب بالضرر جرّاء ذلك، عندها اقتنع بما صوّر وحبَّب له صديقه الطريق الأقصر والأسلم، وهو إدخالي في الكلية العسكرية دون رغبتي ودون علمي.

حتى أني لم أكن قد قدّمت أية أوراق للقبول فيها لغاية اليوم الأخير من موعد التقديم وكنت قد أجبرت على ذلك وقتها (لست نادماً الآن على ذلك فقد تسنّى لي أن أساهم في خدمة وطني ومواطنيه بكل أمانة وإخلاص).

قُبلت في الكلية دون وساطة أحد. كنت آأمُل أن لا يتّم قبولي فيها لأسباب قد تتعلق بأحد شروط القبول ومنها؛ الناحية الطبية، كضعف البصر أو أي خلل في أي عضو من أعضاء الجسم، وكنت أعوّل على رفضي يوم إعلان نتائج القبول، لكنني إجتزت الاختبار حين وجدت اسمي ضمن أسماء المقبولين.

طلبت من خالي ناصر حسين بعد ظهور النتائج وقبل أن أخبر والدي أن يُساعدني على عدم التحاقي في هذا المسلك الذي لم أكن أرغب به حينها، إلا أنه خذلني على الرغم من حنانه ورعايته لي أيام طفولتي وصباي.

لم يساعدني حتى بالكلام مع والدي الذي أصرّ على ذلك، على الرغم من قبولي في دار المعلمين العالية فرع اللغة الانكليزية الذي كان يتطلب الدخول فيه اجتياز امتحان الاختبار، وكنت قد اجتزته بنجاح، لأنها كانت رغبتي.

ولأني حينها كنت شاباً متطلعاً أقرأ الصحف وأرتاد دور السينما التي تعرض أفلاماً أجنبية، وأحاول تقليد كبار المثقفين بمطالعة الكُتب والقصص للكتاب العالميين، أمثال هوجو وغوركي، على الرغم من منع البعض منها، والتي كانت تتداول سراً بيننا، مع تأثير البعض من الزملاء، إضافة الى مُدرس اللغة الانكليزية المرحوم الدكتور حمدي يونس (دكتوراه أدب إنكليزي) كان ذَا خلق عالٍ وثقافة موسوعية.

وقد ترسّخ لدينا حينها أن الطلاب الفاشلين والمتأخرين هم من يلجأ للالتحاق بهذا المسلك (العسكرية)، لهذا كله وددتُ تقليد أستاذي الذي سحرنا بأجواء لندن وجامعاتها، ونمط الحياة فيها، خاصة ونحن كنّا مترفين بحياتنا العائلية اليومية، فعلام العودة الى الجفاف كما كان يوصف.

كانت بغداد تزهو.... هل ننسى سينما فيصل الصيفي في جانب الكرخ، الصالحية وما تعرضه من أفلام أجنبية غاية في الاتقان والروعة نصاً وتمثيلاً وإخراجاً.

مع كل هذا أكرر وأكرر وأعتز بما آلت إليه الأمور وخدمتُ بلدي بمشاركة شرفاء الوطن في الانخراط مع مَن أسَّس الجمهورية العراقية وتمتعنا في ظله بالتحرر من الاستعمار والتبعية.

إلتحقت بالكلية العسكرية رغماً عني وعلى مضض، ومع ذلك، لم أكن من أواخر الطلاب دراسة وتدريباً فيها، بل كنتُ متوسطاً بينهم في الصف المستجد للأسباب التي بينتها. ثم تبدّل الحال عندما تقدمت باستقالتي وأنا في الصف المتوسط.

ولكنها لم تُقبل بل وهددني بالعقاب آمر السرية المرحوم الرئيس الأول (الرائد) أحمد حسين وفق القانون العسكري.

حينها قبلت بما قُدر لي وبمصيري. وتوجّب عليَّ أن أعود إلى ما كنت عليه أيام الدراسة الثانوية وما كنت فيها من تفوق وتقدم، فحصلت على درجات كنت أتوق للحصول على أفضل منها بسبب مثابرتي كي أثبت أهليتي التي ابتعدت عنها في البداية.

ومع ذلك تقدّمت وأصبحت من العشرة الاوائل، ولو كنت قانعاً من البداية لأصبحت متقدماً أكثر، خاصة وقد كنت قد خلقت انطباعاً غير جيد بدايةً لدى معلمي الدروس العملية ولم أكن أحصل منهم على الدرجات التي كنت أطمح في الحصول عليها بعد أن باشرت بالمثابرة على الدرس والتعلم (علماً أن درجات الدروس العملية لاتختلف عنها في الدروس النظرية).

وبالتالي فقد حصلت على رتبة عريف في الصف المنتهي (الصف المتقدم كما يطلق عليه). وهنا يُقلد التلاميذ المتميزون رتباً عسكرية للمساعدة في إدارة الصفوف والسرايا ومجمل نشاطات الكلية.

وقد أفادني ذلك كثيراً وكثيراً جداً، خاصة بعد أن قرر آمر الكلية عدم جواز إناطة مسوؤلية العريف الخفر بأي تلميذ لا يحمل رتبة عريف من التلاميذ عكس ما كان متعارفاً عليه في السنين السابقة.

إذ كانت هذه المهمة تُناط بكافة طلاب الكلية الواحد تلو الآخر لغرض تدريبهم وممارستهم هذا الواجب ومعرفة متطلبات الإدارة، وبالتالي فقد كنت أمارس هذه المهمة أسبوعياً تقريباً لقلة عددنا نحن حاملي هذه الرتبة.

أهّلني ذلك الواجب أن أمارس المهام اليومية للإدارة على مختلف المهام المتعلقة بالوحدة العسكرية، حيث يكون العريف بمثابة مساعد الضابط وكثيراً ما ينوب عنه في إدارة الفصيل الذي يُكلف بإدارته.

وكنت قد نُسِّبتُ لإدارة فصيل التموين المتقدم. وهكذا تخرجت من الكلية وأنا أحد الضباط المتقدمين ضمن دورتي. ولا بدّ لي أن أذكر في هذا المجال المرحوم الشهيد الرئيس الأول (ثم الرائد) جلال أحمد فهمي الذي قضى في قصر النهاية على يد زمرة انقلابيي شباط الأسود نتيجة التعذيب الذي مورس ضده بعد اعتقاله، شأنه شأن الكثير من الضباط الذين تم اعتقالهم في تلك الفترة لا لشيء سوى حبهم واخلاصهم للوطن.

كان هذا الرجل آمراً لأحد فصائل الكلية وكثيراً ما كان يلتقي بطلاب الصف المتقدم أثناء خفارته حيث يتحدث خلال تلك الليالي عما سيواجهنا في حياتنا العملية في الوحدات التي سنُلحق بها.

ويقدم لنا النُصح والإرشاد في كيفية التعامل مع الضباط والمراتب والطريق إلى النجاح في هذا المسلك، وقد رسخت تعاليمه في ذهني وصدقت كافة توجيهاته ونصائحه.

لقد كان مثالاً للوطنية والأخلاق والتواضع الجم، ويكفيه ذلك فخراً وعلو شأن أمام صغار جلاديه.

إلتحقت بوحدتي بعد التخرج آمراً للفصيل الأول في الفوج الأول للواء الرابع عشر في الديوانية نتيجة القرعة، التي تجري عادة للتعيين في الوحدات، والتي تجريها الكلية سنوياً لكل دورة تتخرج منها بعد إشعارها من مديرية إدارة الضباط في وزارة الدفاع بالشواغر وحسب حاجة المديرية المذكورة.

وجدت حال وصولي أن الديوانية التي تضم أقضية مثل (الدغارة وعفك وأبو صخير) يسودها الفقر المُدقع مع عدم توفر أبسط مقومات العيش الكريم للغالبية الساحقة من السكان (أراضٍ زراعية مستغلة من الاقطاعيين عديمي الرحمة).

وهنا خطرت لي قصيدة الشاعر المرحوم عبود الكرخي التي كانت لازمتها (قيم الركَاع من ديرة عفج)، التي تعتبر أصدق مثال للفقر المتفشي فيها، فهم حفاة شبه عراة فكيف للركَاع الذي يقوم بتصليح الأحذية لمن هو حافٍ، إضافة الى قصيدة (المجرشة) التي تُعبر عن معاناة الناس.

إلا إنني تسلّمت إمرة الفصيل وأنا مسلح بخبرة كبيرة في إدارته، فخوراً بقِدَمي بين زملائي في دورتي ومستقبلاً حياتي الجديدة بحماس محمولاً ومجتهداً بأهليتي وقدرتي على تحمل أعباء هذه المسؤولية.

بل وأكثر منها إذا تطلّب الأمر ذلك، كي أكون جديراً بما حملته من شرف الرتبة العسكرية التي أحملها وأصبحت البوصلة التي أسير عليها بعد أن ارتبط مصيري بها، شعرت بمسؤولية اتجاهها واتجاه وطني الذي حملت شرف خدمته عن هذا الطريق.

بعد شهر واحد فقط من إلتحاقي بالفوج رُشحت لدورة الحروب الجبلية ومدتها شهر واحد تقام في الشمال في منطقة (زاويتة) تعرفت فيها على بعض الضباط ممّن كانوا أقدم مني رتبةً وتخرجاً ومنهم المرحوم العقيد الركن شفيق حمودي الدراجي، كان حينها نقيب ركن حديث التخرج من كلية الاركان، وعُدت من الدورة بتقدير جيد واكتسبت صداقات جديدة.

تمرين دوكان الذي علق في ذاكرة الجيش فترة طويلة

بعد ذلك تحرك الفوج ضمن اللواء الرابع عشر للاشتراك مع قطعات الفرقة الثانية في (تدريب إجمالي)، الغاية منه تهيئة القطعات العراقية لمواجهة القطعات السوفيتية آنذاك وتأخير تقدمها ريثما تتجمع جيوش دول حلف بغداد الذي كان العراق عضواً فيه، إضافة إلى قوات ما يُسمى بالعالم الحر الذي كان يضم دول أوربا بزعامة الولايات المتحدة (أثناء فترة الحرب الباردة آنذاك).

حيث أطلق على الدول المنضوية في المعسكر الاشتراكي بدول الستار الحديدي. كانت المنطقة المحتملة للتعرض ضمن قاطع السليمانية، هكذا تمّ تجميع وحدات اللواء الرابع عشر ومنها فوجنا في منطقة (عربت) ضمن سهل شهرزور.

برزتُ ضابطاً يعرف ما يفعل ملماً بواجباته بشكل ممتاز حاز ثقة آمر الفوج واللواء خلال التمرين والممارسات التي كان يجريها آمر الفوج لتهيئة السرايا للقيام بدورها على وجه الصحة.

وممّا سهّل عليَّ ذلك هو وجودي على رأس الفصيل الأول في الفوج، حيث كان يتوجب عليَّ أن يكون الفصيل في المقدمة (رأس نفيضة في العُرف العسكري) عليه نقل المعلومات عن العدو المفترض إلى المقر بشكل صحيح، وقد نجحت في ذلك إلى حد كبير.

بقي هذا التمرين طويلاً في ذاكرة الجيش العراقي، بالنظر لحجم القطعات المشتركة فيه وممارسة المزج بين القطعات الآلية التي يُمثلها لواؤنا في حينه

مع قطعات الفرقة الثانية التي كانت تعتمد على الحيوانات في تنقلها وحمل معداتها وأسلحتها.

إضافة لما كان لهذا التمرين من خصوصية سياسية، حيث كان يهدف إلى تجربة جاهزية قطعات الجيش، بعد أن أصبح العراق عضواً فاعلاً في حلف بغداد، ليكون له دور في تأخير ومنع القوات السوفييتية وإعاقة تقدمها، ريثما تصل بقية القوات من دول الحلف لمساعدتها والاشتراك معها في صد الهجوم المحتمل أيام الحرب الباردة بين المعسكرين.

والتي كان من المتوقع حسب تقدير هيئة أركان الجيوش المتحالفة أن يتم أختراق إيران والتوجه لاحتلال العراق عن هذا المحور من منطقة شمال العراق في السليمانية، لهذا سمّي بهذا الاسم.

كما تم اختيار منطقة (عربت) الواقعة ضمن سهل شهرزور لإجراء التمرين، وتجحفلت قطعاتنا هناك.

بدأنا العمل كل حسب موقعه القيادي من أصغر آمر قطعة والتي يمثلها الفصيل حتى أعلى رأس في القيادة. وقد بَرزتُ خلال مدة التمرين بما في ذلك الممارسات التي أجراها آمر الفوج بناءً على الفرضية التي وزعت علينا، ضابطاً يعرف ما يفعل ملماً بواجباته بشكل ممتاز حاز ثناء آمر الفوج واللواء.

عُدنا إلى مقراتنا في الديوانية بعد انتهاء ذلك التمرين وأنا حائز على أعجاب وثناء روؤسائي.

وهكذا رُشحت لدورة الإسناد (الأسلحة المتوسطة في سرية إسناد الفوج ومنها رشاشة الفيكرس آنذاك)، كنت الثاني مرتبةً ضمن خريجي الدورة ونُقلت على أثر ذلك آمراً لفصيل الرشاش، ولم ألبث إلا فترة قصيرة حتى عملت نائب مساعد في الفوج.

ثم بعدها مارست عمل المساعد بكل ما تقتضيه هذه الواجبات نظراً لمرض

الأخير وشغور المنصب وبقيت أعمل فيه حتى قيام ثورة تموز المجيدة، وتركي الفوج للإلتحاق بوحدتي الجديدة ضمن قطعات اللواء الأول.

كنت بلا فخر متميزاً بين الضباط في وحدتي، شهد لي بذلك كل رؤسائي مهنياً وأصبحت ضابطاً محترفاً أكثر من ممتاز.

إن التقارير التي كُتبت عني من قبل معلمي الدورات التي دخلتها أو التقارير السنوية التي كتبها أُمراء الأفواج بحقي خيرُ دليل على ذلك.

نقطة التحول في حياتي
الإنخراط في تنظيم الضباط الأحرار

في أحد الأيام، وبينما كنت أسير مع آمر الفوج في ساحة العرضات بعد انتهاء مراسيم التقديم للفوج وانصراف السرايا بقيادة ضباطها وتوجهها للتدريب حسب مناهجها المقررة، كما هي العادة يومياً، وكما يقتضيه النظام العسكري، حيث يبقى آمر الفوج ومساعده في ساحة العرضات للإشراف على التدريب ثم يعودان بعدها إلى المقر.

في تلك الساعة سألني آمري العقيد نوري الراوي عن سبب تقديمي طلب الحصول على إجازة لشراء مسدس شخصي، قلت له بعفوية أريد أن أُقضي على قائد الفرقة، ثم بينت له سبب ذلك.

وكان قائد الفرقة في حينه اللواء الركن المرحوم عمر علي يضايقني كثيراً كلّما حضر إلى ساحة العرضات للاطلاع على سير التدريب، خاصة وأن وحداتنا قريبة من مقر الفرقة وقد تكون جولته لقضاء الوقت.

إذ لا يتوفر له غير لوائنا بسبب تباعد اللوائين الأول والخامس عشر، ووجود مقر اللواء الرابع عشر في الناصرية، علماً أن الأول في المسيب والخامس عشر في البصرة، لذلك كثيراً ما كنّا عرضة لزياراته.

وكان يتعمد الاستفسار مني عن سير المناهج وجداولها، فأجيبه بما كنت قد أعددت لذلك، وحين لايجد أي تقصير مني يلتفت إلى الآمر إن كان موجوداً أو معاونه المقدم الركن في حينه عبد الجبار شنشل، ويقترح عليهم استبدالي بمساعد يحمل رتبة أعلى دون أن يلقى الاستجابة منهما.

وما زلت أذكر كيف أن المعاون المقدم الركن عبد الجبار شنشل (الفريق الركن في ما بعد والعسكري الفذ الذي علمني كثيراً خلال فترة تواجدي بإمرته) حين أجاب القائد في إحدى الزيارات!!

- سيدي إني راضٍ بهذا الملازم كمساعد!!.

كل تلك المضايقات كانت بسبب مراسل اللواء الركن عمر علي الذي نقله معه عند تعيينه بمنصب قائد الفرقة، والذي كان رئيس عرفاء في الكلية العسكرية حين كان القائد آمراً لها، وقد عيّنه بمنصب رئيس عرفاء الوحدة في فوجنا، قد لازم سيده منذ مدة طويلة.

كان المذكور لا يتورع عن سرقة أو الاستحواذ على أية مادة تقع تحت يديه على الرغم من تفاهتها، وبدوري لم أكن أوافق على ما كان يقوم به من تصرفات غير مقبولة، لذا كان يشكوني لسيده.

كما أخبرني بذلك صديقي وابن دورتي الملازم عبد العال الياسري الذي كان يعمل مرافقاً للقائد وقتها.

ضحك العقيد نوري الراوي ضحكة طويلة وبأسلوبه المُحبب واللطيف أجابني:

- لماذا لا تقضي على نوري السعيد بدله؟.

أجبته بعفوية وبصدق:

- كيف يتسنّى لي ذلك وأنا في الديوانية؟.

أجاب: إن ذلك سهل وممكن وفي القريب العاجل ستنال منه إن شاء الله.

وهكذا ومن خلال هذا الحديث البسيط في ساحة العرضات فاتحني للانضمام لتنظيم الضباط الأحرار الذي تبيّن في ما بعد أنه كان عضواً فاعلاً فيه، قبلت ذلك دون تردد وقد أسعده كثيراً.

إذ كنت أصبو كبقية أبناء الوطن إلى إلغاء تبعية النظام النقدي والمصرفي

والمالي للاسترليني (التحرر من الكتلة الاسترلينية)، والانسحاب من حلف بغداد الاستعماري واسترجاع قاعدتي الحبانية والشعيبة وكسر قيد تسليح الجيش العراقي وإطلاق حرية التسليح والانسحاب من الاتحاد الهاشمي. الذي كان هدفه الوقوف بوجه الجمهورية العربية المتحدة والبقاء ضمن دائرة الاستعمار.

لقد كان العقيد نوري الراوي يمتلك كل صفات الرجل الخلوق الأمين المليء بالغيرة على وطنه، كان همّه كسب أكبر عدد ممكن من الضباط لهذا الغرض.

ومن تلك اللحظة أصبحت ساعده الأيمن وترك لي أموراً إدارية كثيرة كان يتوجب عليه القيام بها شخصيا، ومنها على سبيل المثال التقارير السرية والشخصية وفق النماذج الموضوعة من قبل إدارة الفرقة.

وحتى الموضوعة من قبل القيادة العامة، المُذيلة بتوقيع رئيس أركان الجيش لهذا الغرض، وكان أخطرها وأهمها التقرير السري والشخصي الشهري والذي يحمل عنوان (سري للغاية وشخصي)، الذي كان يتعلق بميول الضباط والمراتب السياسية وكان هذا التقرير يودع في قاصة (خزنة الفوج).

كنت أكتب بيدي هذا التقرير وغيره ويقوم هو بالتوقيع عليها فقط، وهذا جلب في ما بعد بعض المتاعب.

المقدم الركن عبد الجبار شنشل

التحق في تلك الفترة المقدم الركن عبد الجبار شنشل معاوناً لآمر الفوج بعد نقل المعاون الموجود إلى منصب آخر بسبب إستحقاقه الترقية. وحين أُصيب الآمر بمرض الفقرات فجأة وبدأ يعاني منه بشدة، أُدخل المستشفى وأستلم المعاون المقدم الركن حينذاك (عبد الجبار شنشل، إمرة الفوج وبدأ بممارسة مهامه طيلة فترة المرض والغياب الذي طال نسبياً)، إستمر عملي بنفس الصفة مساعداً لآمر الفوج.

لقد علّمني وأفادني هذا الرجل كثيراً، كان عالماً بالفنون العسكرية متواضعاً جمّ الخلق لم يبخل علي بإرشاد أو نُصح، مارست على يديه وبإشرافه أساليب عمل الركن وكيفية تحضير التمارين العسكرية وأساليب التدريب وكافة شؤون المناورات. حتى المتقابلة منها وكيفية إعداد ذلك.

وبعد أن تمّ تشكيل القيادة المشتركة للاتحاد الهاشمي الذي أنبثق في ذلك الوقت بين العراق والأردن، نقل إلى هناك للعمل ضابط ركن القيادة المشتركة، لما كان يُعرف عنه من مهنية عالية، كما بينت.

غادر إلى عمّان في بداية السنة من العام الذي قامت فيه ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة، من هناك كتب لي عدة رسائل، حيث نمت بيننا علاقة مودة واحترام، لما لمسه مني من حرص وتفهم لعملي وجدية ومعرفة فيه، أذكربعضاً من فقرات ونصوص جمل منها كما وردت لإعتزازي بما ورد فيها:

- (كيف حالك يا غازي، أكيد إنك الآن مشغول بالبريد الخارجي والبريد

الداخلي والتوقيع. أعانك الله على ذلك ستُصبح ضابط ركن جيد، واضب على ما أنت عليه).

ثم في رسالة قبلها ألمح إلى أنه لم يكن سعيداً بنقله، لأنه يفضل العمل في الوحدات الفعّالة ولكنه ختم قوله رحمه الله:

ـ (ولكن الخير في ما اختاره الله ياولدي).

بهذه الروح الأبوية كان يتعامل معنا نحن ضباط الفوج وكان يدرأ عنا الضرر ويوجه الجميع لما فيه الخير، كان خير عون وسند لي في مسيرتي خلال تلك الفترة.

ومازلت أذكر وقفته الشجاعة تلك برفضه مقترح قائد الفرقة عمر علي بالاستغناء عني وإبعادي عن العمل بصفة مساعد، وسبب طلبه ذلك «إذ كما ذكرت سابقا «فقد كنت الشوكة والعائق أمام مراسله الذي لم يتحلَّ بالصدق والأمانة، والذي كان قد عينه بمنصب رئيس عرفاء الوحدة لدينا، كان هذا المراسل لقائد الفرقة بمثابة العين التي يراقب من خلالها ما كان يروم معرفته عن الفوج.

عاد الآمر العقيد نوري الراوي لمزاولة عمله بعد أن تماثل للشفاء، سارت الأمور سيراً إعتيادياً لفترة ليست بالقصيرة، أجريت خلالها بعض التمارين على نطاق الوحدة أو اللواء وتحركنا بعدها إلى الرطبة.

ثم (أج ثري) ضمن قطعات الفرقة، وعند عودتنا بعد أن عسكرنا في (أبو غريب) خلال مرحلة التنقل كان من المقرر أن تتم السيطرة على مقاليد الأمور، أي قلب نظام الحكم في الحادثة المعروفة لدى الكثير من الضباط والتي بقي تأريخها محفوراً في أذهان من أُبلغ بها من الضباط الأحرار في 11/ 5/ 1958.

وكان أن فشلت بسبب تصرف مقدم اللواء الخامس عشر الذي لم يكن يعلم بالمحاولة، حيث سمح لمعظم الضباط من منتسبي اللواء بمجرد وصوله إلى (أبو غريب) بالنزول إلى بغداد.

وما زالت صورة العقيد الركن عبد الغني الراوي الذي كان أحد أمراء الأفواج في اللواء الخامس عشر الذي عسكر في مكان قريب من وحداتنا عالقة في ذهني وهو يدخل خيمة العقيد نوري آمر فوجنا حاملاً الغدارة في يده وقد فوجئ بوجودي في الخيمة، وقد انعقد لسانه عن الكلام ولم ينطق بشيء إلا بعد ان طمأنه الآمر عن سبب وجودي في ذلك الوقت عنده.

قد كان الرجل أبلغني بواجبي وسلمني ستة رصاصات لمسدس الوبلي (وما زلت احتفظ بها) الذي كنت أحمله والذي لم نكن نحصل على أية طلقة منها خلال التنقل أو التمارين، كذلك كافة منتسبي أية وحدة (وهذه إحدى الشروط لتحوطات الأمان بالنسبة لمجموع وحدات الجيش حمايةً للدولة ونظام الحكم فيها).

وقد فشلت هذ المحاولة لتغيير النظام كما فشلت التي سبقتها.

عُدنا إلى الديوانية كما عادت الوحدات الأخرى كل إلى مقراتها والتي شاء لها القدر أن لاتنكشف بسبب تهور واندفاع العقيد عبد الغني الراوي وحمله الغدارة، إذ لم يكن من المعتاد رؤية هكذا تصرف من أي ضابط في الظروف الاعتيادية ولم نكن في حالة حرب كما هو معلوم.

وحدث مالم يكن بالحسبان

بعد أن استقر بنا المُقام في مَقرنا الدائم ومضي فترة قصيرة، وبعد عودتنا من ساحة العرضات في أحد الايام وأذا بضابط الركن الثالث في الفرقة يحضر بشكل مفاجئ إلى مقر الفوج ويدخل مباشرة إلى غرفة قلم سرية المقر ويقوم بتفتيش المكتب وكذلك بقية مكاتب أقلام السرايا وعاد إلى مقر الفرقة دون تبيان الأسباب التي حضر من أجلها (من المعلوم انضابط الركن الثالث في الفرقة هو المسؤول عن الجهد الاستخباري فيها).

وقد تبيّن في ما بعد أن سبب ذلك يعود إلى أن مديرية الأمن العامة كانت قد ألقت القبض في بغداد على نائب الضابط الذي يرأس مجموعة كتبة قلم سرية المقر التابعة لفوجنا، كونه منتمياً إلى تنظيم سري محضور ويعمل فيه وهو (شيوعي).

وكان آمر سريته قد منحه إجازة دون نشرها في سجلات السرية وكذلك الفوج، كي لا تحتسب ضمن إجازاته، مساعدة منه له للتحضير للامتحان الوزاري للمرحلة الاعدادية التي تجري في حدود الشهر السادس من كل عام.

بعدها وعلى أثرها صدر أمر نقل آمر الفوج العقيد نوري الراوي إلى مديرية العينة في بغداد، كان هذا الاجراء بمثابة العقاب، له كون المديرية ليست من الوحدات الفعالة، حيث تختلف مدد الترقية فيها عن تلك الوحدات.

ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد صدر تعميم سري وشخصي لكافة ألوية ووحدات الفرقة الأولى يندد فيه بأقسى عبارات التنديد بالآمر وبي، وذلك لتهاوننا (حسب ما ورد فيه) في مراقبة الوحدة ومنتسبيها بشكل عام.

وقد أسهب في شرح هذا الأمر وبتفصيل قصد منه على ما بدا في حينه إنذاراً لباقي مسؤولي القطعات التي تمّ تعميمه عليها، حيث عرج على المخالفات المرتكبة من قبلنا، خاصة التقارير التي كان يستوجب كتابتها من قبل الآمر دون غيره وبخط يده، وكان من أشدها سرية ذلك التقرير السري للغاية والشخصي الخاص بالتأكيد، والتأكد من خلو الوحدة:

(من جرثومة المبادئ الهدامة ضباطاً ومراتب)، على حد وصف الكتاب وإلى آخر ما تضمنه من تنديد بنا. وكان هذا التقرير يكتب بالصيغة التالية:ـ

«إني فلان.... آمر الوحدة أشهد أن وحدتي خالية من جرثومة المبادئ الهدامة.... ولآخر ماورد فيه، ويرسل إلى رئاسة الأركان في بغداد».

ولمّا كان آمري قد كلفني بكتابته وأكتفى هو بالتوقيع عليه فقط لنفوره منه ومن الصيغة التي كتب فيها، كما عهد لي بحمل مفتاح القاصة (الخزنة) الخاص به إضافة إلى المفتاح الخاص بالمساعد، كونها ذات ثلاثة مفاتيح يحمل الثالث منها ضابط الرواتب، حيث تودع المبالغ هناك قبل توزيعها وتُفتح عادة من قبل الثلاثة.

ونتيجة لذلك وبعد ما حصل لنائب الضابط أعلاه، فقد أحتوى التقرير على صفحة كاملة من التنديد والوعيد لكل من سيخالف ولا يلتزم بما حدد له من واجبات، كما تم تشكيل مجلس تحقيقي بحق الرئيس الأول عايد گاطع العوادي آمر سرية المقر التي ينتمي إليها نائب الضابط لعدم نشره منح المومأ إليه إجازة في حينه.

تعيين آمر فوج جديد

لم تمضِ أيام قليلة على تلك الحادثة حتى التحق العقيد الركن عبد المجيد توفيق آمراً للفوج كما عيّن العقيد بدر الدين علي آمراً للفوج الثالث (بالمناسبه فإن مقري الفوجين يقعان في بناية واحدة يشغل الجانب الأيمن من مدخل البناية مكاتب الفوج الثالث والجانب الأيسر مكاتب الفوج الأول، كما أن كلا الضابطين كانا يعملان بأمرة قائد الفرقة قبل مجيئه وإلتحاقه قائداً للفرقة الأولى).

عشت في تلك الأيام فترة عصيبة لم أكن أعلم بما سيحدث لي بعد ذلك، خاصة بعدما أطلعني آمري قبل انفكاكه عمّا كان يدور في مقر الفرقة من أحاديث، ولقد حاول الرجل حمايتي ونقلي إلى وحدة أخرى، ولكن محاولاته لم تتكلل بالنجاح. وبقيت في منصبي لسبب لم أكن أعلم به حينها.

كما لم يكن آمري الجديد مرتاحاً لعملي معه، وقد حاول منذ البداية تكثيف الواجبات عليَّ وإيذائي نفسياً إضافة إلى سعيه لتوفير بديل يقوم مقامي، ثم تبين لي في ما بعد أنه كان يسعى لنقل الرئيس الأول شاكر محمود الذي كان يعمل معه في وحدته السابقة إلى فوجنا ليحلَّ محلّي بسبب عدم معرفته بضباط فوجنا.

وقد تم له ذلك، إلا أن الأخير لم يلتحق إلا بعد قيام الثورة بفترة تزيد على الشهر والنصف كما لم يجد الآمر الذي نقله إلى الفوج في مكانه بسبب إحالته على التقاعد.

كان هذا الآمر يخشى من وجودي معه للسبب الذي بينته أعلاه (كتاب الفرقة حول الانتماء السياسي) إلا أنه لم يتمكن من الحصول على البديل بالسرعة التي

كان يرجوها، وهكذا أسقط بيده، وبقيت في مكاني، لأني كنت قد تمرست على العمل لدرجة شعر فيها بعدم تمكنه من الاستغناء عني بسهولة.

لذلك قَبِلَ الوضع على مضض منتظراً وصول الرئيس الأول شاكر الذي سبقت الإشارة إليه حيث سبقه قيام الثورة.

عودة إلى الأيام التي سبقت الثورة

لنعُد إلى الأيام القليلة..... إلى أيام التحضير للثورة.... الأيام التي سبقت الرابع عشر من تموز وبالتحديد صباح يوم الثلاثاء 8/ 7/ 1958، حيث كان العقيد نوري الراوي آمري السابق (الضابط الحر كما ذكرت) قد عاد إلى الديوانية بغية تسليم وتوقيع بعض المستندات التي تخص الأمور المالية لنادي الضباط فيها، حيث كان قد أنتخب رئيساً له منذ أن كان قد عيّن آمراً لفوجنا وقد اتصل بي وأبلغني بوصوله.

وعليه توجَّب عليَّ القيام ببعض الواجبات التي كلفني بها ومنها ترتيب لقاء له ببعض ضباط فوجنا ليلاً.

تصادف في ذلك اليوم موعد التدريب الليلي الأسبوعي حسبما كان مقرراً في المنهج مسبقاً، ولكي أتمكن من ترتيب اللقاء والقيام بما توجب القيام به اتجاه آمرنا السابق كما جرت العادة، كان علي أن أنظم دعوة عشاء تجمع بعض الضباط من فوجنا لتوديعه بعدما لم يتسنَّى لنا القيام بها في بادئ الأمر.

ولتناقض ذلك مع موعد التدريب الليلي، إضطررت وبالاستعانة بأطباء مستشفى الديوانية (الأطباء الضباط الإحتياط الذين عرفوا بتأييدهم لقوى الشعب وللمظاهرات والاحتجاجات ضد التعسف والفقر واستنكارهم التصدي للمظاهرات السلمية بالعتاد الحي من قبل الحكومة) للحصول على إجازة مرضية لي ولبعض الضباط من منتسبي الفوج الذين كانت لهم صلة جيدة به.

وهكذا نجحت بترتيب دعوة العشاء واللقاء بالآمر بما تيسر من الضباط.

في تلك الليلة كلف العقيد نوري الرئيس الأول عايد گاطع الذي جمعني به وأبلغني أنه من الموثوق بهم (من عدنا) كما يقال في اللغة الدارجة وقال لنا (إن الموضوع قريب جداً) وهو يقصد الثورة، كما أبلغني بضرورة الاتصال بالرئيس الأول جابر حسن الحداد آمر السرية الرابعة الذي لم يتمكن من الحضور في تلك الليلة.

فاتني أن أذكر أنه وبعد انتهاء فترة التدريب الليلي وبعد عودة الوحدتين إلى المقر حضر كل من الآمرين بدر الدين علي آمر الفوج الثالث وعبد المجيد توفيق آمر فوجنا إلى النادي.

وتفاجأ الاثنان بوجودنا مع العقيد نوري الراوي آمرنا السابق كما بينت أعلاه. ولم يكن ذلك في حسبانهما، جلسا معنا وتبادلا الحديث معه والترحيب به وشاركا في العشاء، ولم يلحظا أي شيء غير عادي سوى أنهما استغربا على ما يبدو من الكيفية التي تمكنا فيها من الحصول على الإجازة المرضية وترتيب الدعوة والحضور.

(بعد أن لم يلتفت أحدهما إلى أن توقيع نموذج مراجعة الضباط إلى المستشفى كان يتم بتوقيع المساعد، وكنت قد ذيلتها بتوقيعي)، علماً بأنني كنت قد رجوت آمري الجديد العقيد عبد المجيد توفيق صباح يوم الثلاثاء أن يحاول تأجيل التدريب الليلي إلى يوم آخر لعدم إرتباطه بالفوج الثالث، حيث ينصرف كل فوج إلى التدريب لوحده ليتسنى لنا عمل حفلة توديع لآمرنا السابق.

إلا أنه رفض متعللاً بعدم معرفته به، وكان هذا الجواب تهرباً من الموضوع، لأنهما بنفس الرتبة والعمر تقريباً إذا استثنينا موضوع القِدَم.

على أية حال انتهت الليلة على خير، لكنها أفرزت بعض المنغصات في الأيام التي تلتها وربما نالنا شيء من الأذى لولا تفجر الثورة المجيدة في الرابع عشر من تموز.

وسآتي على هذه المنغصات بشيء من التفصيل وكما يلي:ـ

أ في صبيحة اليوم التالي وبعد عودتنا من الساعة الصباحية للتدريب ومباشرتي العمل بواجبي المعتاد في تهيئة البريد وتذييل الكتب الواجبة التوقيع من قبل الآمر، طلبني لمقابلته وفاجأني بخبر مفاده؛ إن الفرقة قررت إجراء التحقيق مع الضباط الذين اجتمعوا في دعوة العشاء التي كانت قد أقيمت للآمر العقيد نوري الراوي، خاصة الضباط الذين حضروا المأدبة وهم حاصلون على إجازة مرضية يفترض فيهم أن يلازموا الفراش في غرفهم كونهم مرضى، كان هذا الكلام شبيهاً بإنذار موجه لي بشكل خاص على ما أعتقدت في حينه، سيّما وأنه كان قد رفض طلبي ورجائي منه حول إقامة المأدبة التي لم تعجبه إقامتها باسم الفوج ومن قبله، دون سبب سوى خوفه من أن تحتسب ضده على ما أعتقد، بعد اطلاعه على الكتاب السري للغاية والشخصي الذي ندد بنا والذي ورد ذكره سابقاً.

ب-في اليوم التالي إتصل بي العقيد عبد المجيد السامرائي مدير إدارة الفرقة وطلب مني الحضور إليه بسبب نقل أحد المراتب من الفرقة إلى وحدتنا، وكان من صنف الهندسة (رئيس عرفاء عبد الرزاق محمد) حملت معي الإضبارة الخاصة بالموضوع وتوجهت بالسيارة بعد الانتهاء من البريد وإبلاغ الآمر بالموضوع، وعند وصولي إلى هناك بينت لمدير الإدارة الكيفية التي وصل إلينا فيها المرقوم وأطلعته على كتاب نقله ثم أبلغته أنه قد تم تنسيبه إلى فصيل هندسة الحملة أحد فصائل سرية الإسناد في الفوج، كونه من صنف الهندسة أعلمني الرجل أن هناك خطأً في الموضوع ويتوجب إعادة المومأ إليه إلى صنف الهندسة (وبهذا تمت تسوية المسألة وإنتهى الأمر بنقله إلى كتيبة الهندسة وعدت إلى الفوج حاملاً الإضبارة التي ذهبت بها) التي كانت قد ولدت لي إحراجاً لم يكن في بالي ولم أتوقعه أو أفهمه في حينه. اتضح لي بعد حين وبعد فوات الفرصة وقيام الثورة مقدار سوء الفهم والظن الذي تَلَبّسَ بعض الضباط ومنهم الرئيس الأول عايد كاطع العوادي والرئيس الأول جابر حسن الحداد، حيث كان يتوجب على الأول

إبلاغ الثاني بتأمين قيامي بلقائه، حيث حصل العكس الذي كان يمكن أن تقلب الموازين بالنسبة لما حصل في الفرقة يوم الثورة المجيدة وكما يلي:

1 في مساء الأربعاء 9/ 7/ 1958 جلست مبكراً في حديقة النادي بانتظار مجيء الرئيس الأول جابر حسن الحداد الذي وصل وجلس في ركنه المعتاد، وبعد فترة توجهت إليه حييته، فرحب بي الرجل وأذن لي بالجلوس قبالته وتحدثنا في أمور شتى، ثم سألته عن الرئيس عايد گاطع العوادي فلم يجبني سوى أنهما لم يلتقيا إلا في ساحة العرضات دون ان يُحِّدث أحدهما الآخر. وكان هذا الجواب بالنسبة لي يعني أن الرئيس الأول عايد لم يفاتحه بالأمر، وبهذا يكون قد قصر بواجبه، أو أنه لم يتمكن من إقناعه. عندها لزمت الصمت إلتزاماً بالسرية، وبعد فترة تركته في مكانه وانتقلت إلى مكان آخر بعيداً عنه وشعرت بالأسف لعدم تمكني من عمل شيء في ذلك المساء خاصة وأن الوقت يسابقنا.

2ـ بعد قيام الثورة وإحالة الآمر على التقاعد، تسلّم أمرة الفوج الضابط الأقدم فيه وكان المقدم حنا إفرام هو الأقدم، وبذلك أصبح وكيلاً للآمر، كما بقيت بمنصبي مساعداً لآمر الفوج، على الرغم من صدور أمر نقلي في يوم 16/ 7/ 1958 إلى منصب ضابط إستخبارات الفوج الثالث للواء الأول والذي كان قد عيّن العقيد نوري الراوي آمراً له، ولم أتمكن من الالتحاق في حينه بسبب عدم وجود من يحل محلي في ذلك الوقت إضافة إلى تمسك المقدم حنا إفرام بي ومعرفته بقدراتي وكفاءتي (لأنني عملت بإمرته في بداية تعييني حينما كان آمراً للسرية الأولى) كما كان قد صدر أمر تحرك الفوج إلى قاطع السماوة لاتخاذ موضع دفاعي قريب نسبياً من الحدود السعودية لمنع وصد أي تحرك معادٍ من ذلك المحور، ومكثت في السماوة مدة تزيد على الشهر ونصف أقوم بواجبات المساعد ونائب المساعد وغيرها من الواجبات التي تطلبها الموقف في السماوة، وقد

تسبب ذلك في تأخري عن اللحاق بالعقيد نوري الراوي آمري ومسؤولي في التنظيم المبارك تنظيم الضباط الأحرار (حيث نقل خلال تلك الفترة آمراً للواء العشرين) ولم أتمكن من ترك الوحدة إلى أن استقر المقدم حنا إفرام على تنسيب أحد الضباط من الفوج بديلاً عني.

في هذه الفترة علمت ما كنت أجهله من تصرف الرئيس الأول جابر حسن الحداد وغيرها من القضايا التي لم أجد لها تفسيراً في حينه، أفصلها في ما يأتي، وقبل ذلك سوف أشرح ملابسات ما حصل في الرابع عشر من تموز، يوم الثورة المباركة.

الثورة المجيدة

في صبيحة هذا اليوم المبارك الرابع عشر من تموز وأنا في الديوانية أعمل بصفة مساعد آمر الفوج، كما بينت سابقاً، توجهت إلى ساحة العرضات الموجودة خارج البلدة للتدريب وتقديم الفوج لآمره شأن كل يوم، كما توجهت كافة السرايا لهذا الغرض عدا السرية الرابعة التي ذهبت إلى ميدان الرمي لأجراء تمارين رمي البندقية السنوية بالسلاح الحي، وبعد انتهاء الساعة الأولى من التدريب قفلت راجعا إلى مقر الفوج لمباشرة القضايا الإدارية كما هي العادة، حيث تترك السرايا لإكمال التدريب ومن ثم العودة إلى ثكناتها.

في حوالي الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم المجيد ولم أكن بعد قد علمت بأي شيء، وأنا في طريقي إلى مقر الفوج التقاني (سكر)، بالمناسبة سكر هو أحد التوابع (التوابع هم العمال المدنيون الذين يعملون في الوحدات كمنظفين وأشبه بعمال البلدية)، وكان الرجل رئيسهم، وبالتالي كان ارتباطه بالإدارة أكثر من غيره منهم، رجل طويل مرح طويل اللسان معاق اليد وفي لسانه لثغة، بادرني (شيدي) وهذه اللثغة لا تمكنه من نطق حرف السين، (شمعت) البيان؟

قلت له أي بيان؟ أجابني شيدي ثورة ببغداد.

عندها لم تبق أية لحظة انتظار:

فقد دقت ساعة الصفر بالنسبة لي وعليَّ التحرك لمؤازرتها والقائمين بها بكل الوسائل الممكنة خاصة وأنا على علم مسبق بقرب حدوثها وقيامها، ولكن ليس على وجه الدقة، أي لم تصلني أية إشارة عن توقيت أو تحديد

لليوم الذي ستتم فيه، كما سيأتي بيانه في سياق الحديث عنها، وإلى القارئ تفصيل ما جرى:

أ- سبق أن بينت أن السرايا كانت ما تزال في ساحة العرضات، ولن تعود إلا بعد حوالي ساعة من علمي بما حصل، ولبُعد الساحة عن مقرنا يتعذر الوصول إليها بسرعة لعدم توفر واسطة النقل الوحيدة لدينا في حينه، كما أن الذهاب راجلاً سيضيع الوقت وقد نتقاطع في طريق العودة. ولم يكن بيدي سوى إنتظار عودة السرايا وضباطها، عسى أن يساعدني أحد منهم بعمل ما يتوجب عمله في تلك الساعة، خاصة وأن أغلبهم لم يكن على علم أو بينة بما كان يدور بين الضباط الأحرار بسبب سرية التنظيم والحرص على سلامة أعضائه، حيث لا يخفى على القارئ ما سوف تؤول إليه النتيجة لو انكشف أي تحرك من هذا القبيل.

ب- التقيت أولاً بالسيد عايد العوادي (الرئيس الأول آمر سرية المقر) وقلت له: سيدي هذا يومنا، باعتبار ما كان قد تم بيننا ليلة تواجد آمرنا العقيد نوري، أجابني: لا تنتظر مني أي شيء، إلا أني لن أقاوم الثورة ولن أخون إرث والدي إذ كان يتبجح، إذ كان والده أحد رجال ثورة العشرين كما ويقول إنه ينتسب إلى بيت السادة العلويين، كما أضاف: ماذا تريد منا أن نعمل ونحن بدون عتاد؟ وكانت عبارته الأخيرة تبريراً للرفض على ما أعتقدته في حينه.

ت- في هذه الفترة، وصلت السرية الأولى وكان آمرها الرئيس الأول خماس سبع العزاوي. لم يكن الرجل يعلم بأي شيء، كما لم يكن حاضراً ليلة لقائنا بآمرنا السابق العقيد نوري الراوي، ولم تكن له أية علاقة بأي تنظيم على حد علمي، إلا أنه كان مثالا للوطنية والشجاعة إضافة إلى الشهامة التي أبداها وبدرت منه ساعتها، فقد تجاوب معي تجاوباً مخلصاً مبدياً إستعداداً غير محدود للقيام بأي عمل يُطلب منه، واقترح عليَّ مفاتحة الرئيس الأول جابر حسن الحداد آمر السرية الرابعة، كونه يعلم أن سريته قد توجهت إلى ميدان الرمي،

وبالتالي سيتوفر لديه بعض من العتاد الحي الذي لم يتم صرفه (كما يحصل في كل مرة لأسباب عدة مثل غياب بعض المراتب أو المرض وغيرذلك) للاستفادة منه في حال تطلّب الأمر استعماله، (وأبلغني أنه سوف لن يدخل أسلحة سريته إلى المشجب وسيتظاهر بتفتيشه لحين عودة السرية الرابعة التي خيّب آمرها أملنا به.) عادت السرية الرابعة وعاد آمرها معها، فعدتُ إليه مسرعاً وكنت مندفعاً جداً لأن الوقت بدأ يمر بسرعة. علماً أنني كنت أحاول الاتصال بالعميد الركن محمود شيت خطاب الذي كان قد تعرّف عليّ يوماً، حين اصطحبني آمري السابق وعرّفه بي وأوصاني بالاتصال به حينما يستوجب الأمر ذلك، إلا إنني فشلت، لأنه لم يكن يرد على الهاتف ولم أعلم السبب حينها، أديت التحية وبكل قوة للرئيس الأول آمر السرية الرابعة وقلت له:ـ سيدي اليوم يومك (الثورة)، أجابني وبكل حدّة وأُشهد الله على ذلك (روح يمعود تريد تبلينا باچر يعلگونا بالمعسكر). أُسقط بيدي تماماً وعدت إلى الرئيس الأول خماس العزاوي لأبلغه بما سمعته وقد أبدى أسفه لذلك التصرف الذي لم يكن يتوقعه منه.

ث ـ في هذه اللحظات بدأت البرقيات تتوارد من مقر الفرقة الواحدة تلو الأخرى طالبة تهيئة الفوج للحركة تارة، وأخرى تستفسر عن موقف العجلات وبيان الصالح منها وصلاحيتها للحركة وأحمالها وإلى ما تبع ذلك من بيان موقف الموجود من الأفراد وغيرها من أوامر التحرك، وآخرها الطلب من الوحدات التجمع في ساحة المعسكر تمهيداً لحضور قائد الفرقة اللواء الركن عمر علي.

ج ـ خلال انشغال السرايا بالتجمع وتهيئتها للقاء القائد حاولت وبإصرار ولمرات عدة الاتصال بالعميد الركن آنذاك المرحوم محمود شيت خطاب ولكن دون جدوى. وعند وصول قائد الفرقة إلى مكان تجمع منتسبي الفوجين الأول والثالث ألقى كلمة بالمجتمعين ندد فيها بالقائمين بالثورة

وفي أهدافها محاولاً التذكير بأصول العائلة الهاشمية وإنتسابها للرسول الكريم، في سعي منه لكسب المُجتمعين وحثهم على المقاومة وأنه سيبذل الغالي والنفيس في سبيل ذلك كما زعم، وانتهى من كلمته ووجه بتحرك الفوجين كل حسب ما أُنيط به من واجب.

ح- هكذا كان، وتبين من أمر الحركة الذي وصلنا أن تقرر تحريك سرايا الفوج إلى داخل مدينة الديوانية للسيطرةعلى الوضع ومنع حصول أي شغب من قبل السكان فيها. في الطريق وفي الشارع الرئيس التقاني الدكتور فاضل الطائي (طبيب الأسنان المعروف) سألني بسرعة وقال هل إن هذا التحرك مع الثورة أم ضدها لكي يتحرك وفقاً للموقف؟ أجبته بأن التحرك سيكون ضد الثورة وطلبت منه الإسراع بتحشيد الجماهير للتظاهر تأييداً ومساندةً للثورة، وهذا ما حصل فعلاً وكان لهذا العمل تأثير معنوي كبير على الشعور العام للذين في قلوبهم أو نياتهم العمل لأجهاض والتصدي للثورة حسب ما تصوّرت وقتها.

في ذلك اليوم المزدحم بالانفعالات لعظم الحدث وما تلقيته من ردود أفعال وأجوبة بعضها معك والبعض ممن خذلك تاركاً لكل لبيب تصور الحالة التي كنت عليها في تلك الساعات وماتلاها حتى استقرت الأمور على ما هي عليه.

الراديو و إذاعة بغداد مصدر المعلومات

لم نكن نملك أية وسيلة للاتصال ببغداد سوى الراديو، ولم نكن نعلم بما يجري فيها إلا ماكان يصدر من إذاعتها، وسارت الأمور كالتالي:

1 ـ بدأت الأخبار والمعلومات تصلنا تباعاً من برقيات التأييد إلى الإحالة على التقاعد للضباط المُعادين والضباط ذوي الرتب الأعلى من القائمين بالثورة وكذلك لبعض متصرفي الألوية وكذلك أوامر التعيينات الجديدة للمناصب التي شُغرت، سواء على مستوى القادة من الضباط أو المدنيين في مختلف المواقع في القطر، حيث عيّن العميد اللواء الركن في ما بعد عبد العزيز العقيلي قائداً للفرقة الأولى إلا أنه لم يلتحق إلا في مساء اليوم التالي، إضافة إلى تعيين اللواء الركن أكرم أحمد متصرفاً للواء الديوانية حينها، كما عُيّن اللواء الركن مزهر الشاوي مديراً عاماً للموانئ العراقية (بالمناسبة فقد كانت للرجل وقفة مشرفة اتجاهي، حيث راجعه آمري العقيد نوري الراوي وطلب منه حمايتي ونقلي من الديوانية بعد الذي جرى من نقل الآمر إلى العينة وصدور التعميم المشار إليه بحقنا، حينها كان اللواء الركن مزهر الشاوي يُشغل منصب المعاون الإداري لرئيس أركان الجيش، ولم يبخل بذلك، فقد فاتح العميد الركن ناجي طالب الذي كان آمراً للواء الخامس عشر في البصرة لغرض نقلي إلى لوائه، إلا انه رفض ذلك، متعللاً بعدم وجود ضباط في الفوج الذي كنت أعمل فيه يمكن الوثوق بهم عند حدوث أي تحرك)، وفق ما أبلغني به العقيد نوري الراوي حينما كنت أذهب إليه إلى مديرية العينة في وزارة الدفاع في كل مرة أنزل فيها إلى بغداد. ولم أنقطع عن زيارته

ولم تنقطع صلتي به أبداً خلال تلك الفترة. إلى أن عاد في 8/ 7/ 1958 إلى الديوانية كما أسلفت.

2ـ انتهى اليوم الأول بحسناته وسيئاته وبقي القائد عمرعلي في مقر الفرقة دون أن يتمكن أحد من التأثير عليه، كما لم تجرِ أي محاولة للاستيلاء أو السيطرة على مقر الفرقة وبقي الحال على ماهو عليه، أعتقد أن بُعد المسافة بين الديوانية وبغداد وتخاذل البعض أن جاز لي التعبير قد ساعد كثيراً على ما حصل من جمود، حيث سادت فترة الترقب بأنتظار وضوح الصورة لدى الغالبية، وكان موقفاً مذلاً، خاصة لمن كان على علم أو اتصال بما كان يجري في صفوف الضباط الأحرار.

3ـ اليوم الثاني:ـ ما زال الراديو المصدر الوحيد للتواصل والتفاعل مع أحداث الثورة وتطورات الموقف، بسبب توقف أي إتصال سلكي أو لاسلكي بيننا وبين بغداد والعالم الخارجي، واقتصر على ما كان بين الفوج والفرقة، ثم حصل الانفراج وكان أن تفاجأ من كان حاضراً من الضباط بما فيهم آمر الفوج حيث كنا قريبين من غرفته استعدادا للذهاب إلى المطعم، وكنت في مكتبي لمتابعة البريد بعد أن عدنا من متصرفية اللواء في المدينة حيث مكثنا هناك كما بينت في الفقرة أعلاه، في هذا الوقت رن جرس الهاتف في غرفة الآمر، رفع الآمر السماعة وإذا بالمتكلم من الطرف الآخر يطلب منه الانتظار لاستقبال مكالمة من بغداد. ردد الآمر العقيد عبد المجيد توفيق كلمة بغداد بصيغة الاستفهام مرتين؟؟ وبصوت سمعه الجميع، وعلم الموجودون بما تلفظ وتجمعوا بالقرب منه وكلهم شوق لسماع ومعرفة ما يجري هناك كل حسب ما تخيله في تلك الدقيقة، خاصة وأن هذه المكالمة كانت الأولى التي يتم الاتصال فيها ببغداد، كانت المكالمات في حينه تتم عبرالاتصال بعدة بدالات إلى أن تصل إلى مسامع الطرف الأخير بواسطة عمال البدالات المكلفين بهذا العمل. مرت دقيقة أو يزيد قليلاً ومن ثم رد

الآمر «نعم موجود»، إلتفت الآمر وناداني من الكوة المفتوحة بين غُرفتينا وقال لي «غازي المكالمة لك»، وسلمني السماعة ثم عقب قائلاً «يبدوأن أهلك قد تمكنوا من تأمين الاتصال بك، هنيئاً لك على هذا» وأضاف «شوف شكو ماكو ببغداد؟» كان موقف قيادة الفرقة في ذلك الوقت قد اتسم بالميوعة، حيث توقفت الاتصالات بين قائد الفرقة وآمر الفوج ولم يتمكن القائد من عمل أي شيء سوى البقاء في مقره، حيث لم يتحرك أحد نحوه ولم يمسه أي سوء. تسلمت سماعة الهاتف من آمر الفوج وما أن فتحت فمي حتى سمعت ذلك الصوت الدافئ المتزن الذي بادرني بالتهنئة وأجبته بمثلها، بل وأكثر، لشدة انفعالي عند سماع صوته. إنه العقيد نوري الراوي، سألني عن الوضع في الفوج وفي الفرقة والديوانية المدينة، أجبته بأن الوضع هادئ والحالة لا تدعو للقلق فقد مر يوم كامل دون أن يتمكن أحد من التأثير على مجريات الأمور. كررعليَّ التأكيد بضرورة اليقظة والحذر والاتصال بأكبر عدد من المؤيدين لمعالجة أي حالة طارئة. فوجئ الجميع، وإستغرب الكثير منهم من ترديدي كلمة «سيدي»، «نعم سيدي»، «إن شاء الله سيدي» و«أكيد سيدي»، وإلى ذلك من الإجابات التي كنت أُرددها إلا أنهم شعروا بجدية المكالمة وخطورتها من أجوبتي والفرح الذي بدا على وجهي وكياني ولم يكونوا قد تعرفوا على شخصية المتكلم بعد، ولا عن أي شيء يسأل. انتهت المكالمة وأخبرتهم عن شخصية المتكلم والمنصب الذي عُين فيه (آمر اللواء الأول)، كما أبلغتهم بصدور أمر نقلي إلى ذلك اللواء، ولم تكن بعد قد وصلتنا أي قوائم أو برقيات بالتنقلات سوى ما كنا نسمعه عن طريق الإذاعة. عندها تبين لهم مدى علاقتي بالتنظيم والثورة، وهنا انهارت نفسية بعض الضباط وتأسف الآخرون الذين لم يستجيبوا لما كان يعرضه عليهم من قبل (آمرنا في حينه) وتمنعهم واعتذارهم بحجج واهية، أو ما كنت قد عرضته على البعض خصوصاً بعد 8/ 7/ 1958، وكذلك صبيحة يوم الثورة، إلا أن ما يحسب لمن فاتحهم الآمر بالموضوع حينها كتمانهم

وعدم وشايتهم، وهذا عمل جيد أفادنا كثيراً ويشكرون عليه. أما الآخرون الذين بدت منهم مؤشرات التأييد وإبداء المساعدة والاستعداد لعمل ما يطلب منهم، ولو بالكلام أو بتقديم التقارير المُضللة بما يفيد بعدم جاهزية ما تحت يديه من عجلات صالحة لأغراض التنقل فلهم كل الشكر والعرفان بما حصل منهم، كما حصل مع ضابط النقلية الذي رجوته حينها أن يقوم بذلك ممّا ساعدنا على إعطاء موقف غير مشجع عن العجلات وعن إمكانية تنقل الفوج مغاير للحقيقة، حيث أجاب تحريرياً وهذا ما كنت ابتغيه لتضليل الفرقة، بعدم توفر مايزيد على استيعاب نقل سرية واحدة فقط. وقد تمكنت من إجابة الفرقة على هذا النحو كي نَفُت في عضد وعزيمة القائد الذي كان ينوي التحرك ضد الثورة. كذلك لن أنسى موقف الرئيس الأول خماس سبع العزاوي الذي لو كان يمتلك طلقة حية واحدة أو يمتلك ما كان بحوزة آمر السرية الرابعة الرئيس الأول جابر حسن الحداد من عتاد حي، لما تردد لحظة واحدة من التحرك بسريته نحو مقر الفرقة لأجبار القائد على الإذعان للأمر الواقع والتصرف معه بما كان يتطلبه الموقف.

الآمر العقيد الركن عبد المجيد توفيق

كانت المكالمة قد جرت أمام الآمر كما بينت، وهو الذي سلمني الهاتف عندها، وبعد انتهائها بقي جالساً في مكتبه وطلب مني تهيئة البريد وإحضاره إليه وإبلاغ الضباط بالتوجه إلى المطعم.

دخلت عليه وأضابير البريد بيدي وما أن أصبحت قريباً من مكتبه وأطمأن بعدم وجود غيري قريباً منه، حتى أجهش بالبكاء بشدة وحرقة (والله شهيد على كل حرف أكتبه) بسبب ندمه على ما كان قد صدر منه من مواقف من الثورة، ومحادثاته الطويلة مع قائد الفرقة (اللواء الركن عمر علي) والتي لم أفهمها في حينه، لأنهما كانا يتحادثان باللغة التركمانية والتي كانت معظمها تجري بحضوري، وإطلاعي على البرقيات المتبادلة بينهما والتي كتب القسم الأكبر منها بخط يده.

كذلك التي تسلمها من القيادة بحكم عملي مساعدا وقربي الشديد من الأحداث. عاتبني بشدة وقال لي «غازي إنت مثل ابني لماذا لم تفاتحني للعمل معكم؟ صدقني كنت سأكون معكم لو حصل ذلك، تركتني أتصرف بدون معرفة!».

كنت أسمعه وأحس أنه يكذب، فقد بدأ يحاول التملص من المسؤولية تجاه ما قام به من مجهودات ومن محاولة لإجهاض الثورة متعاوناً مع قائده عمر علي الذي نقله معه إلينا، ولو تمكن من ذلك لما تردد، إلا أن الأحداث، كما سبق أن بينت، لم تساعده خاصة حيث تمت السيطرة على اللواء الأول في المسيب من قبل الضباط المؤيدين للثورة والذي كان القائد يأمل في تحريكه ضدها بعد أن وصلتهما الأخبار بذلك. ولم نكن على علم بها ساعتها.

وكان هذا يعني قطع الطريق بوجه التحرك المزمع القيام به للتوجه نحو بغداد وفق ما كانا يرغبان، كما أن تسارع الأحداث لم يساعدهما إلا في تأخرهما وامتناعهما عن تأييد الثورة والتحرك الذي قاما به تجاهها والذي تسبب في إحالتهما على التقاعد ومحاكمتهما لما حصل منهما بعد ذلك. ثم كان ما كان نتيجة ما سمعه من حوار، أن أنهار الرجل تماماً..

كان الموقف صعباً علي من الناحية الانسانية، كنت بين خيارين، أما أن أجيبه بقسوة وبقوة المنتصر، أو أن ألطّف الجو بالنسبة له دون أن أتنازل عمّا آمنت به وتربيت عليه.

فأنت ترى آمر فوج «عقيد ركن» كان قبل ساعات أو دقائق بمنتهى العجرفة والتظاهر بالقوة والضبط العسكري ينهار فجأة ويصبح أمامك بهذا الضعف والمهانة، أجبته:

- «سيدي لم أكن أأمن لك. أنت محسوب على القائد عمر علي، والكل يعرف ذلك، كما أن كل ما عرفته عنك وما صدر منك لم يشجعني على البوح لك بأي شيء، وأنت تعلم أن هذا العمل لا يحتمل المجازفة، فليس أمامك سوى النجاح أو الإعدام، فكيف تريدني أن أتصرف دون التعقل والتروي في مثل هذه الامور؟».

أجابني:

- «ولدي لا أعلم بما سيحصل لي بعد الآن».

كان في تلك اللحظات ما يزال لم يُبلغ أو يسمع بقرار إحالته على التقاعد، إلا أنه شعر بفداحة عمله وسوء تصرفه واندفاعه مع قائده عمر علي، على ما أعتقد في حينه.

كذلك من تصرفاته اللاحقة حيث أصبح وديعا كالحمل، وبعدما رأيته منه من تخاذل وخوف لم أره في عينيه من قبل، وكذلك لهجته الودودة، عندها قلت له بكل صدق ووفيت بما تفوهت به: «اطمئن من جانبي سوف لن أقف ضدك في

أي مكان ولن أبوح بأي شيء مما صدر منك، ولكني لا أضمن لك ما قد يتصرف به غيري تجاهك».

وقد وفيت بوعدي تماماً. لذلك لم أتقدم بالشهادة ضده ولم أحضر أمام أي هيئة للتحقيق مع الرجل أو أمام محكمة الشعب للإدلاء بأي شهادة ضده، وقد كنت مخطئاً في ذلك على ما أعتقد وأترك ذلك لحكم القارئ والتأريخ.

لأن الرجل لم يكن يتصف بالوفاء لمن ساعده، وكذلك مع زعيمه عبد الكريم قاسم الذي عفا عنه وعيّنه في ما بعد متصرفاً للواء الكوت حينها، إلا أنه لم يكن مخلصاً لمن ردّ اعتباره وعينه بهذا المنصب الرفيع الذي لم يكن يستحقه، وهذا العمل وغيره من الأعمال التي تدل بما لا يقبل الشك على طيبة ونبل وحسن نية الزعيم الراحل عبد الكريم قاسم.

دارت الأيام حيث كان المذكور قد فتح صيدلية كانت قريبة من دارنا في الكرخ قريباً من جسر الشهداء بالاشتراك مع العقيد بدر الدين علي آمر الفوج الثالث الذي ورد ذكره آنفاً، بعد إحالتهما على التقاعد ثم العفو عنهما عن مدة محكوميتهما، شاهدته يوماً يجلس على كرسي أمام باب الصيدلية، سلمت عليه بكل أدب وطيبت خاطره وقلت له:

- «سيدي أن شاء الله يرد اعتبارك».

فأجابني:

- «ولدي أني مثل زجاجة تحطمت فكيف يمكن إعادة أجزائها؟».

ولكن أعاد الزعيم عبد الكريم قاسم كليهما كما أسلفت وبمناصب لم يحلما بها من قبل، حيث أصبح كل منهما متصرفاً للواء من ألوية العراق الأربعة عشر في حينه وهذا يعني أنهما أصبحا من أركان الحكومة، وهذه أحدى المآخذ التي تجمعت مع غيرها نحو الزعيم عبد الكريم قاسم عندما بدأت الأمور تنحى منحى آخر.

لقد استفاد العقيد عبد المجيد توفيق كثيراً من عدم إدلائي أو حضوري أمام أية هيئة تحقيقية أو أمام محكمة الشعب ووقوفي ضده، حيث أنكر وطمس الكثير

من الحقائق والأعمال والتصرفات التي قام بها تجاه الثورة نتيجة لعدم معرفة الشهود بتفاصيل الكثير منها.

كذلك المحادثات التي كانت تتم بينه وبين قائد الفرقة، أو بينه وبين آمر الفوج الثالث شريكه في الصيدلية، وكذلك الدرجة الوظيفية في ما بعد، حيث زعم على سبيل المثال عدم قيامه بأي شيء، واستشهد بالمساعد الرئيس شاكر الذي لم يلتحق بعمله إلا بعد ما يزيد على الشهر ونصف الشهر من قيام الثورة، كما لم أشاهده طيلة مدة بقائي في الفوج ولحين مغادرتي له،

عندها استعان المقدم حنا إفرام بأحد الضباط من فوجنا بديلاً عني كما أسلفت، وكان هدفه دفع الشبهة عنه وعن قائده بالتبعية.

كنت أنا وحدي أكثر المطلعين على ما قام به وما كتبه من برقيات كذلك المكالمات التي دارت بينه وبين القائد عمر علي، إلا أنني أنصرفت إلى عملي الجديد متجاوزاً ما حصل «لأن «ما كنا نبتغيه قد تحقق بقيام الثورة ونجاحها، إضافة إلى عدم رغبتي بالظهور أو التباهي لثقتي بنفسي وبمن كنت معهم، وهم أدرى بعمل كل فرد في خلية النحل إن جاز التعبير التي أنجزت هذا العمل الجبار بصمت ونكران ذات.

كنت بمثابة جندي من جنود الثورة، قمت بواجبي الذي حتمه علي ضميري وأنصرفت للقيام بواجبي في وظيفتي الجديدة، التي أشغلتني عن القيام بمثل هذه الأمور مع قناعاتنا في ذلك الوقت كضباط أن الإحالة على التقاعد لوحدها عقوبة كافية، لأنها لم تكن مألوفة بالشكل الذي حصلت فيه بعد الثورة، وقد أكون مخطئاً في ذلك كما ذكرت سابقا وذهب القائد مع تابعيه إلى غيررجعة.

وبدأ الموقف يستقر بعد أن غادر قائد الفرقة متوجهاً إلى بغداد وترك الآمر منصبه بعد تبليغه بأمر إحالته على التقاعد، كذلك بالنسبة لآمر الفوج الثالث، ثم وضع الثلاثة قيد الاعتقال متهمين بمقاومة الثورة، وكانوا قد شرعوا واتخذوا خطوات عملية لإجهاضها.

ولكن خاب مسعاهم، وأُنيطت أمرة الفوج الأول وكالة بالمقدم حنا إفرام باعتباره أقدم الضباط رتبة. وفي ليل ذلك اليوم التحق القائد الجديد (العميد الركن عبد العزيز العقيلي) كما التحق اللواء الركن أكرم أحمد بمنصبه في اليوم الثالث متصرفاً للواء الديوانية.

ونظراً لانتشار سرايا الفوج في مداخل ومخارج المدينة وفي الأماكن المهمة منها فقد أتخذ وكيل آمر الفوج من إحدى غرف بناية المتصرفية مقراً مؤقتاً له والتحقتُ معه بحكم عملي، وما أن باشر المتصرف بعمله حتى وردت الأنباء بتجمع عشائر الدغارة (أحد أقضية الديوانية). قاصدة التوجه نحو المدينة تأييداً للثورة،

وللدواعي الأمنية في حينه، فقد قرر المتصرف ملاقاة جموع هذه العشائر خارج حدود المدينة وايقافها هناك تلافياً لما قد يحصل، ورافقته مع حضيرة مشاة تأميناً لحمايته وإرشاده على الطريق، لعدم إطلاعه المسبق على جغرافية المنطقة ومكان تجمع العشائر فيها تنفيذا لأمر صدر لي من وكيل الآمر.

وقد تم ايقافهم بعيداً عن المدينة، وألقى المتصرف كلمةً شكرَ فيها هذه الجموع الغفيرة وطلب منها العودة إلى مساكنها بعد أن ثمّن فيهم الروح الوطنية ودعاهم إلى التكاتف والمثابرة في العمل.

وبعد أن انتهى من كلمته إلتفت إليَّ وسألني مستغرباً عن سبب وجود الأعلام الملونة التي كانت مرفوعة وبأعداد كثيرة بين افراد هذه العشائر؟

واستغربت بدوري من عدم معرفته بهذا التقليد العشائري، وهو لواء ركن لايعرف معنى علم العشيرة!! وقد تبيّن لي في ما بعد أنه لم يعمل في وحدات جنوب ووسط العراق أبداً، لذلك لم يصادف مثل هذا المشهد، ولم يكن له أي تصور عن مثل هذا الموضوع.

على أية حال نلت أعجاب الرجل وطلب مني عدم الذهاب بعيداً عن مقر المتصرفية علّه يحتاج مرافقتي له في مكان آخر.

التحرك نحو السماوة لإتخاذ موضع دفاعي هناك

مكثنا في الديوانية إلى اليوم السابع من الثورة، وبعدأن سارت الأمور سيراً طبيعياً، وفي عصر ذلك اليوم صدرت الأوامر من قيادة الفرقة تقضي بالإنسحاب من المدينة والعودة للثكنة تمهيداً للتهيُّؤ والاستعداد للحركة لاتخاذ موضع دفاعي هناك تحسباً لأي تدخل أجنبي قد يحدث عن طريق ذلك القاطع، كما صدرت الأوامر للفوج الثاني الموجود في الناصرية للانفتاح في قاطعه لنفس السبب، وبعد أن اكتملت الاستعدادات، تحرك الفوج صبيحة اليوم الثاني إلى السماوة.

وفي الطريق حدث ما لم يكن في الحسبان، فبعد أن تحرك الرتل وما أن أبتعدنا عن المعسكر وسارت السرايا حسب الترتيب المعتاد لسيرها حيث تكون السرية الأولى في المقدمة وتتبعها السرايا الأخرى ومن ثم سرية الإسناد في المؤخرة، اعتدى و(بوحشية) ضباط صف سرية الإسناد على آمر السرية المرحوم (المقدم صالح الشالچي حيث لقي حتفه على أيديهم ومُثل بجثته).

ولم نعلم بذلك في ساعتها، كون الرتل كان على الطريق في حالة الحركة، كذلك بسبب عطل الجهاز اللاسلكي المحمول مع آمر فصيل المؤخرة الذي لم يتمكن من الإبلاغ في حينه.

وقد عُوقب المعتدون، حيث نالوا الجزاء العادل على ما ارتكبوه من فعل شنيع لم تألفه النفوس البشرية، «رحم الله الفقيد وأسكنه الجنة».

وصلنا السماوة واتخذت السرايا مواضعها بعد أن اكتمل الاستطلاع وخصص

لكل سرية قاطع تم اختياره بدقة، كما توجهنا إلى معمل السمنت وتم وضع اليد على المتفجرات الموجودة فيه والتي كانت تستخدم لأغراض المعمل لقلع الصخور التي تعتبر من أساسيات المواد الأولية لإنتاج السمنت.

وأُغلقت المستودعات الخاصة بها وتم إبلاغ الإدارة بعدم السماح لأي أحد مهما كانت درجته الوظيفية بالتصرف بأي جزء منها دون أشراف من قبلنا، وبدوري قمت بواجبي الأساس (ضابط استخبارات الفوج)، حيث أنجزت خارطة للمواقع التي تمركزت فيها السرايا، وكذلك المقر، وغير ذلك مما يتعيّن عليَّ القيام به في مثل هذه الأمور.

استقر بنا المقام في بناية إحدى المدارس الابتدائية القريبة من محطة السكك الحديدية حيث اتخذت مقراً للفوج، كانت بناية المدرسة من أجمل وأكبر أبنية المدارس الابتدائية الموجودة في السماوة مساحةً وتجهيزاً وتنظيماً سواءٌ على مستوى أبنية الادارة أو غرف التدريس.

حينها وعن طريق مجلس الإعمار باشرت الدولة ببناء مثيلاتها على مختلف أنحاء القطر وقد أُنجز الكثير الكثير منها، إلا أن ما يدعو إلى الغرابة أننا كنا قد صدقنا قبل رؤيتنا لهذا البناء الحديث الذي لم يكن قد ألفَ مثله الكثير من المعارضين للحكومة الزعم القائل أن الدولة تقوم ببناء مقرات لإسكان وحدات من الجيش الأمريكي في هذه الأبنية، وانتشر هذا الزعم خاصة بعد انضمام العراق لحلف بغداد، أنه الجهل والانسياق دون وعي للمعارضة دون النظر لمصلحة البلد، وقد لايصدق البعض أن المدرسة هذه كانت مليئة بالتجهيزات الرياضية بما فيها العوارض الخشبية الخاصة برياضة سباق الموانع.

إن الجهل المطبق وعدم التروي مع شديد الأسف، أقولها أنصافاً وتقديراً لأولئك الرجال الذين خدموا بلدهم وظُلم الكثير منهم دون وجه حق.

خلال تلك الفترة، ولما لم تمض علينا أيام قلائل حتى وردتنا برقية من قيادة الفرقة مفادها الطلب بتهيئة مطار يكفي لنزول طائرة تقل شخصاً واحداً هو قائد الفرقة لتفقد مواضع سرايا الفوج والإطلاع على شؤون الوحدة العسكرية.

كانت الطائرة بحاجة إلى مدرج بطول لايزيد على (100) متر كونها طائرة صغيرة نوع (جب مانك) على ما أذكر. قمنا بتهيئة المطلوب وأعلمنا الفرقة بإنجاز المطار كما أبلغنا موظفي القائمقامية بموعد وصول القائد حالما وردنا ذلك لغرض اشراكهم باستقباله.

إذ كانت السماوة حينها قضاءً من أقضية العراق، عن طريقهم تم إبلاغ الأهالي، حيث قام أحد الدلالين بالتجول في المدينة مُبلغاً (بوصول قائد الثورة).

هكذا تصور الناس الذين تجمعوا من مختلف الأعمار وبأعداد غفيرة جداً لاستقبال قائد الثورة حسبما صور لهم وليس قائد الفرقة الذي كنا نود أن يكون استقبالا بروتوكولياً محدوداً. نزلت الطائرة وكان يقودها الملازم الطيار جسام محمد الجبوري الذي أصبح في ما بعد قائداً للقوة الجوية. وهي المرة الأولى التي أرى فيها قائد الفرقة الجديد (العميد الركن وقتها عبد العزيز العقيلي) كنّا قبلها قد هيَّئنا له سيارة مدنية تبرع بأعارتها لنا أحد رجال بيت الإِمامي من طراز شفروليت جديدة.

نظراً لبُعد المطار عن المدينة نسبياً لم نكن نتوقع أية صعوبة في الوصول إلى المقر وحدث العكس. كانت الجموع الغفيرة التي وصلت المطار كبيرة جداً، على الرغم من بعده كما بينت، حتى أن قسماً منهم قد وصل عن طريق الاستعانة بعربات الحمالين التي تدفع باليد لنقل كبار السن فيها (لاعتقادهم كما بينت آنفا أنه قائد الثورة وليس قائد الفرقة).

لذلك لاقينا صعوبة كبيرة في الوصول إلى مقر الفوج، ناهيك عن التأخير الذي حصل بسبب السير البطيء. حين وصلنا وحالما ترجل قائد الفرقة من سيارته التف حوله عدد لايصدق من الناس وتدافعوا حوله لدرجة إن الرجل كاد يختنق من شدة تدافعهم واحتشادهم قريباً جداً منه، مما يدل على حماس الجمهور في تقبل ثورة تموز.

إلا إنني تمكنت من سحبه من بينهم وإدخاله إحدى الغرف في المدرسة أي

مقرنا بصعوبة بالغة لاتوصف وإلى درجة اضطررت فيها إلى إغلاق الباب علينا عن طريق اسنادها بظهري بعدما جلست على الارض كما جلس هو أيضاً على الأرض متنفساً بصعوبة من شدة التعب والتدافع الذي حصل.

بعد فترة أخذ فيها قسطاً من الراحة وبعدما تمكنا من إخلاء المدرسة من الجماهير ومنعهم من الدخول إليها، أرتقى البعض من الجمهور سياج المدرسة وبدأ بإلقاء كلمته وكل حسب توجهه ثم صعد القائد إلى سطح المدرسة لإلقاء التحية على تلك الجموع التي أبت أن تغادر قبل أن تراه وألقى خطاباً بالحشود الغفيرة مشيداً بها وشاكراً لها تأييدها للثورة ورجالها ثم طالبهم بالوقوف صفاً واحداً بوجه أعدائها والتوجه إلى العمل المثمر على مختلف الأصعدة والاختصاصات وغير ذلك من التوجيهات التي ارتجلها في حينه.

بعد الانتهاء من إلقاء الخطاب وأخذه قسطاً من الراحة طلب القيام بجولة استطلاعية يتفقد فيها مواضع السرايا المنتشرة خارج المدينة حسب الخطة الموضوعة، استقل السيارة المدنية يرافقه فيها آمر الفوج وكالة المقدم حنا إفرام وتحركت بهما بسرعة تجنباً للازدحام الذي قد سببه الكثير من الجماهير التي لم تغادر المكان بعد، وكان عليَّ اللحاق به مع الخرائط المعدة التي أحملها معي لشرح الموقف له.

إلتفتُّ لعليٍّ أجد سائق السيارة التي كانت مخصصة لي، فلم أجده، (وهي سيارة جيب من المساعدات الأمريكية).عندها بادرت على الفور بالصعود فيها وقيادتها بنفسي دون انتظار وصول السائق أو البحث عنه، كي لا أفقد الاتصال بالسيارة التي تقل القائد ووكيل الآمر، وتمكنت من اللحاق بهما، ولكن ذلك كلفني امتعاض القائد مني وطلبه من وكيل الآمر معاقبتي على هذا التصرف دون أن أعلم في بداية الأمر (إذ أن قائد الفرقة إلتفت إلى الوراء فوجدني أقود السيارة بنفسي، لأن القيادة من قبل الضباط للسيارات العسكرية ممنوعة، فلكل سيارة سائقها، وكذلك لمنع سوء التصرف بها واستغلالها لصالحهم).

ترجل القائد حين وصل إلى موقع إحدى السرايا، وبعد أن تفقد الموضع عاد ثانية لتفقد المواضع الأخرى دون أن يشعرني بما دار بينه وبين وكيل الآمر حول تصرفي وقيادتي السيارة، في طريقنا إلى الموضع الآخر وصلت السيارة التي تقلهما إلى منطقة زراعية وأرض لايمكن للسيارة المدنية أن تجتازها، إضافة إلى وجود قنوات للسقي تعبرها قناطر صغيرة.

ترجّل الرجل منها وجال نظره في المكان وطلب مني أن أطلعه على بقية المواضع على الخريطة التي أعددتها لهذا الغرض، حينها اقترحت عليه أن أوصله إلى بقية المواضع بسيارة الجيب التي كنت أقودها، وافق الرجل وطلب من وكيل الآمر مرافقتنا حيث صعد في المقعد الخلفي.

في الطريق وبينما كنت أوصله من مكان إلى آخر بسلاسة وتمكُّنٍ ارتاح جداً للكيفية التي كنت فيها أجتاز القناطر الضيقة والطرق الصعبة سألني (متى تعلمت قيادة السيارة؟ أجبته أنني تعلمت قيادة السيارة على يد عمي أحمد النصر قبل دخولي الكلية العسكرية حيث أن عمي كان وما يزال يملك سيارة).

عندها قال لي أحسنت ولدي وتبسط بالكلام مضيفاً: ولدي إن الواجب يحتم على العربي كما يقال تعلم السباحة واستعمال السيف وركوب الخيل، وهذه إحدى الخصال، وكان يشير إلى السيارة حيث شبهها بالحصان والباقي الذي تعلمته في الكلية العسكرية وقصد بكلامه فنون القتال ثم قال لي:

- «ولدي اشكرك جداً... أنت ضابط جيد..».

وانتهى حديث الرجل. إلا أن الطريف في الموضوع، أنه وبعد أن أوشك على المغادرة عائداً إلى مقر الفرقة في الديوانية عاد وأبلغ وكيل الآمر بوجوب معاقبتي بسبب قيادة السيارة إلا أن لهجته لم تكن بالصرامة والحدة التي أمر بها في بادئ الأمر (حينها كان وكيل الآمر قد ذكر لي ما جرى بينهما في الحالتين التي أمر فيها بمعاقبتي بعد مغادرة القائد لنا).

ولم أعاقب في حينه ولم توجه لي أية إشارة سوى ما سمعته من وكيل الآمر، إلا أنني فسرت الموضوع على أنه تأكيد على أهمية الالتزام بالواجبات واللوائح والأوامرالعسكرية بحذافيرها ودون تفريط بها، والجانب الآخرمن زيارته كان إدارياً بامتياز، حيث أخذ بعد أن انتهى من خطابه يستفسر عن موجود الوحدة وسجلات السرايا، كذلك تجهيزات المراتب وإعاشتهم، وغير ذلك من الأمور الإدارية.

ثم عرج على موضوع التحقيق مع آمر سرية المقر الرئيس الأول عايد گاطع العوادي وما توصل إليه المحققون من نتيجة بشأن منح نائب الضابط المنتسب لسريته إجازة بدون نشر، الذي كان قد صدر الأمر بتشكيله قبل الثورة.

هذان الأمران يدلان دلالة واضحة على ترسخ القيم العسكرية والضبط العسكري والإلمام الواسع بشؤون الإدارة الذي كان يتمتع بها الرجل والتي أهلته لأن يتبوأ منصب قائد الفرقة بعد قيام الثورة المباركة، إلا أن أفكاره السياسية لم تكن بالمستوى الموازي لأفكاره العسكرية كما تبين في ما بعد، وكان أولها تأخره بالالتحاق إلى مقر الفرقة إلا في ساعة متآخرة من مساء اليوم الثاني من قيام الثورة أي بعد مغادرة القائد القديم بوقت طويل.

اليوم الأخير في السماوة وقبل الوداع

في اليوم الأخير من مكوثي في وحدتي في السماوة وعلى مائدة الغذاء وبوجود كافة ضباط الفوج أخذ بعضهم يتغنى بالثورة ويصطنع بطولات لم تحصل على أرض الواقع في أي يوم، بداية من قيامها والأيام التي تلتها ولحد الساعة التي جمعتنا على المائدة، حينها لم أتمكن من السكوت عما لقيته من البعض صبيحة ذلك اليوم فقلت لهم:

(كفاكم ما فعلتموه كل يدّعي الوصل بليلى الآن).

ثم التفتُّ إلى الرئيس الأول السيد عايد گاطع العوادي وقلت له:

- «سيدي هل نسيت ما كنا قد اتفقنا عليه بشأن الرئيس الأول جابر؟ وهل نسيت ما قاله لك الآمر العقيد نوري الراوي ليلة كنا في نادي الضباط قبل الثورة؟ ألم يكن ذلك التقاعس من جانبك سبباً في تآخرنا وعدم تمكننا من قائد الفرقة وزبانيته؟».

أجابني ضاحكاً:

- «لقد حصل لبس في الموضوع عندما شاهدتك متوجها إلى مقر الفرقة، وخشيت منك حيث تصورت حينها أنك في طريقك للوشاية بنا وبدلاً من إفهام الرئيس الأول جابر بما كُلفتُ به حذرته من الكلام معك وهذا ما كنت قد توصلت إليه حينها».

ثم أردف قائلاً:

- «والآن أعتذر أمام الجميع من هذا التصرف».

أجبته:

- «هل نسيت أنني أقوم بواجبات المساعد؟ وهل كانت هذه هي المرة الأولى التي أتوجه فيها إلى الفرقة بسبب متطلبات عملي الإداري؟ ثم لو كنت كما خطر لك وتصورت وظننت بي السوء، هل كانت الفرقة تنتظر كل ذلك الوقت لتتخذ إجراءاتها ضد الجميع؟ وهل يحتمل مثل هكذا عمل التأخر لحظة واحدة من السكوت عليه والتغاضي عنه؟.

وأخيراً قلت له:

- «شكراً وألف شكر سيدي».

كرر الرجل إعتذاره وتصافت القلوب، كما إن الرئيس الأول جابر حسن الحداد كان قد اعتذر عما بدر منه محملاً زميله نتيجة فعلته، وتصافحنا وودعت الجمع متوجهاً إلى عملي الجديد في اللواء الأول في المسيب.

باشرت العمل في وحدتي الجديدة بمنصب ضابط إستخبارات الفوج الثالث للواء الأول بناء على رغبة العقيد نوري الراوي (آمري السابق) الذي عُين بمنصب آمراً للواء المذكور، إلا أن تسارع الأحداث لم تمكني من اللحاق بآمري الذي عملت معه فترة طويلة، وكان ولم يزل حينها قدوتي في العمل الوطني.

حيث نقل آمراً للواء العشرين الذي شُكل حديثا ولهذا لم يتسنى لي اللقاء به أو العمل تحت إمرته من جديد.

كان آمر الفوج الثالث اللواء الأول هو العقيد كاظم مرهون الفتلي، وكان آمر الفوج الأول العقيد عبد الرضا عبيد، وهذان الضابطان من خيرة الضباط خلقاً وشهامةً ووطنية قل نظيرها في الكثير ممن كانوا بنفس رتبتيهما ومنصبيهما في الجيش في ذلك الوقت.

حين تركت السماوة كان الفوج قد توجه إلى الصحراء الغربية وتحديداً إلى منطقة (أج ثري) لحماية الحدود والسيطرة على الطريق المؤدي إلى بغداد تحسباً لما قد يقوم به الجانب الأردني من أفعال اتجاه الوضع الجديد.

شأنه شأن الفوج الأول الذي كنت قد غادرته بعد أن اتخذ مواضع دفاعية له هناك لنفس الغرض بالنسبة للجانب السعودي. أما قرار إغلاق الحدود البرية بين البلدين فقد صدر في الأيام الأولى للثورة، واستمر هذا الإغلاق لفترة غير قصيرة إلى أن تم فتحها بعد حين (أي بعد أن شعرت القيادة العامة باستقرار الأوضاع الخارجية وتأكدها من زوال خطر حدوث عدوان خارجي).

كنا هناك نقوم بحراسة حدودنا الغربية وقد اتخذنا من منطقة (أرضمة) مقراً للفوج، لوجود الآبار الارتوازية التي كانت تروي منتسبي منشآت محطة ضخ أنابيب النفط، التي قد أُنشئت لتصديره إلى الخارج في حينها.

لقد تسبب إغلاق الحدود في إحتجاز وعدم تمكن السياح الكويتيين، وكذلك البعض من السعوديين، ناهيك عن العراقيين الذين كانوا قد قصدوا سوريا ولبنان للاصطياف من العودة إلى بلدانهم، وحين فُتحت، بدأت جموع السيارات التي تحملهم بالتوافد للعودة إلى البلدان التي يقطنون فيها، وكُل يمرعبر هذا الطريق.

كُنا جميعاً نساعد هؤلاء ونقدم لهم التسهيلات اللازمة في حينه، وقد تعرفت على الكثيرين منهم، خاصة عميد عائلة بيت الكطامي الكويتية وأحد رموز الحكم في الكويت، إذ وجب مساعدتهم بشكل إستثنائي لحصول أعطال في بعض العجلات التي كانت تقلهم.

وقد نتج عن ذلك أن جرى حوار طريف مطوّل بيننا، إذ بعد أن أبدى إعجابة بأسلوبي في معالجة الأزمة، عرض عليَّ العمل معهم في الكويت، إلا انني رفضت قائلا بأنني الآن أشعر بأن العراق قد نال استقلاله التام وإنني أحلق في سماء الحرية بعيدا عن القيود التي كان النظام السابق يقيدنا بها، فلن أستطيع قبول العرض المغري الذي تكرمت به.

شكرني وقال، سابقى مديناً لك بمساعدتنا، إذا احتجت أي شيء لا تترد بطلبه مني.

مازال الفوج متخذاً مواقعه في منطقة الرطبة على الحدود، حتى ورد ما يفيد بترشيحي مع عدد كبير من الضباط للإلتحاق بدورة تعلّم إستخدام الاسلحة الروسية في القطر السوري آنذاك.

لذا تطلّب الأمر سفرنا إليه، بعد أن استدعي كافة الضباط المرشحين للحضور إلى بغداد في مديرية الاستخبارات العسكرية لتلقي بعض التعليمات قبل السفر، ثَم مقابلة رئيس أركان الجيش المرحوم اللواء الركن أحمد صالح العبدي الذي اختصر المقابلة بعد الترحيب بنا بكلمتين حيث قال لنا:

(ياغريب كن أديب).

ما أن إنتهت الدورة حتى وجدت أن الفوج قد أُعيد إلى مقره الدائم في معسكر المسيب. بعد بضعة أيام من إلتحاقي ودوامي حتى عدت إلى بغداد للإلتحاق بدورة الاستخبارات العسكرية وهذه حال العسكر كما يُقال.

كان ترتيبي الأول عند انتهائها، نُقلت على أثر ذلك إلى منصب ضابط إستخبارات اللواء الأول. وانتقلت من إحدى غرف مقر الفوج الثالث إلى غرفة مكتب ضابط استخبارات اللواء الذي لم يكن يبعد عن مقرات الأفواج إلا قليلاً حيث باشرت عملي ومهامي الجديدة.

كان آمر اللواء حينها هو العقيد حميد الحصونة الذي تبوأ بعدها منصب قائد الفرقة الأولى حين رقي إلى رتبة أعلى ثم أصبح متصرفاً للواء ديالى وأُحيل على التقاعد عقب الانقلاب الأسود.

لقد استفاد الرجل كثيراً من قيام الثورة، على الرغم من كونه لم يكن طرفاً مشاركاً فيها، في ما عدا أنه كان على خلق عالٍ مع زملائه وبقية الضباط الذين عمل معهم خلال خدمته وكان والحق يقال مخلصاً لقائدها خالد الذكر الزعيم عبد الكريم قاسم الذي أوصله إلى ما وصل إليه من مناصب وعلى الترتيب التالي:-

أ- كان الرجل قد دخل كلية الأركان، وقد فشل في اجتياز الصف المنتهي فيها، هو وزميله العقيد عبد الكريم محمد الذي عُين آمراً للواء التاسع عشر بعد قيام الثورة. وكان على اتصال دائم بذلك الرجل ولم أكن أعلم السبب سوى كونهما زميلين ارتبطا بصداقة دائمة حتى حلّ ذلك اليوم وتوضحت الصورة.

ب-في أحد الأيام، وحين حلّ موعد إجازتي الدورية بالنزول إلى بغداد، استدعاني آمر اللواء عن طريق الهاتف وكلفني بالذهاب إلى مقر اللواء التاسع عشر المرابط في معسكر الرشيد ومقابلة الآمر العقيد عبد الكريم محمد. وقد تم لي ذلك بالفعل، وبعد أن رحب بي الرجل الذي بدا لي في حينه إنه كان على علم مسبق بقدومي إليه، أبلغني بصدور المرسوم الخاص بمنحهما شارة الركن واعتبارهما ناجحين في الدورة وسلّمني نسخة مطبوعة من ذلك المرسوم، ثم ضحك الرجل وحمّلني رسالة تهنئة إلى العقيد الذي أصبح العقيد الركن حميد سيد حسين الحصونة، وضحك وقال لي: عليك أن تحصل على شارة الركن من بغداد وتقلدها لأخي حميد (الشارة لمن لايعرفها عبارة عن قطع قماش من القطيفة الحمراء توضع على حمالّة الكتف مع الرتبة في اللباس العسكري وعلى الخوذة أو السدارة عند ارتداء أيِّهما). وقد نفذت رغبة الرجل، حيث ذهبت إلى محل باينير المختص بالخياطة والتجهيزات العسكرية للضباط والذي كان معروفاً لدى كافة الضباط حينذاك.

ت-حين عودتي من الإجازة قمت وفي احتفالية بسيطة ضمت ضباط مقر اللواء، بتثبيت الشارة بنفسي على كتفيه، إذ كانت علاقتي به جيدة جداً وكان يناديني بكلمة ولدي غازي ويضيف قائلاً (أنت بمثابة ولدي مضر بل وقد يفوق ذلك فأنت بمثابة ساعدي الأيمن) خاصة بعد أن علم بعلاقتي السابقة مع من عملت معهم كالعقيد نوري الراوي الذي كان مسؤولي حينذاك.

العمل في مقر اللواء

حين باشرت عملي في مقر اللواء الأول، كانت مجموعة الضباط العاملين في المقر تتألف من العقيد (الركن في ما بعد) حميد حسين الحصونة آمراً للواء والمقدم الركن عيسى الشاوي بمنصب ضابط الركن الأول والرئيس الأول الركن جابر علي كاظم ضابط الركن الثاني والملازم الأول غازي شاكر الجبوري ضابط إستخبارات اللواء.

وكانت التناقضات السياسية قد بدأت تطفو على السطح، لذلك انقسم الضباط كل حسب ميوله وإتجاهه الفكري، أصبح الجميع يتعاطى السياسة علناً أو في الخفاء حسب شعوره بأهمية الموقع الذي يشغله وعلاقاته ببقية الضباط.

كما بدأت تتشكل مجاميع منهم وفقاً لتماهي أفكار هذه المجموعة أو تلك، لم تكن تجرأ على البوح بها قبل قيامها أصلا للأسباب التالية:-

أ- حين قامت الثورة كانت هناك في المجتمع تيارات وطنية متباينة الأفكار والاتجاهات وكان الغالب فيها الفكر اليساري الاشتراكي الذي كان قد ولد نتيجة العصر الذي عاش فيه الشخص وتفتحت أفكاره عليه عن قناعة منه أو بتأثير الغير. ففي فترة الأربعينات والخمسينات كنتيجة للحرب العالمية الثانية وما تخللها من دعايات، وكذلك انفتاح الحكومة حينها والسماح لبعض الأحزاب بالعمل العلني وما رافق ذلك من صحف، أصبحت الاشتراكية الصفة الغالبة لمعظمها، أخذ الكل يتغنى بها، حتى أن المرحوم صالح جبر (أحد رؤساء الوزارات في العهد الملكي كان قد أسس حزباً من كبار الاقطاعيين

أطلق عليه «حزب الأمة الاشتراكي»، والكل يعرف ما آل إليه الرجل من مصير بعد توقيعه على معاهدة بورت سموث السيئة الصيت مع بريطانيا وما تلاها من أحداث في وثبة كانون الثاني سنة 1948، ولم تقم للرجل قائمة بعدها).

ب ـ وبما أن للجيش خصوصية خاصة يحظر فيها العمل السياسي، فلم تكن هذه الأفكار تطفو عل السطح، أو حتى المجاهرة، بها نتيجة الوضع القائم آنذاك، سوى بعض القلة القليلة منهم، أمثال الشهداء المرحومين العميد الطيار الركن جلال جعفر الأوقاتي والمقدم الركن سليم الفخري والمقدم حسين خضر الدوري، كذلك المرحوم المقدم غضبان السعد وبعض الضباط الآخرين الذين أحيل قسم منهم على التقاعد أو الذين تم نقلهم بمثابة التأديب إلى مناصب ومواقع غير حساسة كالتجنيد والعينة وغيرها من الوحدات غير الفعالة. هذا الأمر يصدق على أي ضابط يجاهر بميوله السياسية يمينياً كان أم عروبياً أو يحمل أي فكر لا يتلائم مع سياسة الدولة آنذاك.

ت ـ كان كل من شارك في ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة، من الضباط وغيرهم، وطنياً صادقاً مخلصاً في وطنيته، وكان همه التخلص من الاستعمار والهيمنة الأجنبية على مواردها وكذلك رجال السياسة فيها الذين كان البعض منهم لايخفي تبعيته أو ميله لتلك الدول. كان هدف الجميع التخلص وتغيير وجوه النظام القائم آنذاك، ولم تكن بين أي أحد منهم خصومة أو تباين في الهدف الأسمى المتمثل في تخليص البلد من الاستعمار والتبعية وتحسين وتطوير البلد، بما يتوافق مع ذلك الوقت، لذلك لم يكن يُطرح أو تشعر بظهور أي هدف خارج ذلك النطاق سوى محاربة الاستعمار والتخلص من عملائه وإقامة الحكم الوطني والتحرر وتحقيق السيادة الكاملة على تراب الوطن وكسر القيود الأجنبية وإزالة القواعد الموجودة في الحبانية والشعيبة والخروج من التبعية المالية، ولم يتعد الأمر غير ما ذكرت وفي ما يخصني بطبيعة الحال حيث لم يفاتحني أحد بغير ما ذكرت.

ث-وحين تحقق الهدف بدأت الخلافات تدب بين الصفوف وظهرت بواطن الأمور وتأثير الدعاية المصرية التي كانت تصوّر الرئيس المصري المرحوم جمال عبد الناصر وتكيل له المديح على أنه البطل المنقذ للأمة العربية، بصرف النظر عما آلت إليه النتائج في ما بعد. ولم يقتصر الأمر على تنظيم الضباط الأحرار فقط، فقد تفشى سريعاً بين كافة الضباط وأخذ الكل يتعاطى السياسة وعلى أوسع نطاق، فمنهم المؤيد للوحدة الفورية مثلاً، ومنهم من يطالب بها على استحياء، ومنهم المعارض علناً أو في الخفاء وكذلك المؤيد لما يصدر من القيادة سلباً أو أيجاباً.

ج- كما ظهر الكثير من الانتهازيين الذين لم يكن لهم أي دور في ما حصل والذين كانوا يضعون مصالحهم الخاصة فوق أية مصلحة ويميلون مع الأقوى حيثما تساعدهم الظروف، واتضح ذلك الأمر بشكل لايقبل اللبس أو التأويل خلال عملي في مقر اللواء حيث شاهدت العجب، بدءاً من آمر اللواء وانتهاءً ببقية الضباط!!!. فمنذ اليوم الأول وبعد انتهاء المراسيم المعتادة للمجاملات خلال بداية اللقاء بآمر اللواء وبقية ضباط المقر، وعودتي لممارسة عملي والقيام بمهام وظيفتي، وبعد برهة أرسل لي آمر اللواء طالباً مقابلته، خلالها أبلغني إنه من أشد المعجبين بالثورة وبقائدها، وكذلك بما تكتبه جريدة صوت الأحرار، وخاصة في ما يتعلق بالإصلاح الزراعي، وفي النهاية طلب مني أن أوفر له نسخة من الجريدة صباح كل يوم تصدر فيه كي يتمكن من السير على خطى ما سيترشح له من أفكار منها، وأخذ بعدها يجاهر في ذلك أمام زائريه من المهنئين أو المتملقين، ويقول: إنني من أول المؤيدين للإصلاح الزراعي، على الرغم من أن عائلتي تمتلك الكثير من الأراضي التي سيشملها الإصلاح حسب تعبيره.

ح- في تلك الأيام أخذ المد اليساري كما أُطلق في حينه على حماس الناس المؤيدين للثورة يتنامى بسرعة شديدة، خاصة بعد أن احتضن الحزب

الشيوعي الزعيم عبد الكريم قاسم وكذلك بقية قوى اليسار إضافة إلى الانتهازيين الذين راق لهم الموقف وسارعوا إلى استغلاله، بحيث بدأ هؤلاء العمل بحماس منقطع النظير مظهرين ومؤيدين، وكأن أحدهم قد ولد وهو يحمل هذه الأفكار من بطن أمه. ففي أحد الأيام استدعاني آمر اللواء إلى مكتبه، وهناك وجدت كلاً من السيدين جعفر أبو العيس وعبد القادر بهية اللذين لم أكن على معرفة سابقة بهما وكذلك أجهل اسميهما، حيث عرفني عليهما وقال لي أمامهما «أنت حديث عهد بالمسيب وهذان الرجلان وطنيان ومخلصان للجمهورية والزعيم، وعليك الاعتماد عليهما في حصولك على المعلومات»، وكان يتحدث بحماسة وكأنه يريد أن يُسمع صوته خارج مقره ليصل إلى مسامع الجهات العليا، وقد علمت في ما بعد أنهما محسوبان على الحزب الشيوعي ويعملان بتوجيه منه.

- كما توضحت لي وبشكل جلي اتجاهات الكثير من الضباط يمينيا كان أو من أنصار اليسار، وكان الغالب على تلك الاتجاهات لغة العواطف دون التعمق في مجريات الأمور والكيفية التي تسير فيها، بحيث أثر ذلك وانعكس سلباً أو أيجاباً على العلاقات الشخصية في ما بين البعض منهم وبدأت التكتلات الجديدة والتجمعات الصغيرة تظهر هنا وهناك، وكنت أراها واضحة جداً على موائد مرتادي نادي الضباط ليلاً، حيث بدأ كل فريق ينأى بنفسه عن الفريق الآخر ويبتعد عنه ويجتمع لوحده مع مؤيديه. كما طغت العاطفة والانتهازية في كثير من الأحيان خلال النقاش الذي كان يدور بين معظمهم دون التوصل إلى نتيجة، على أن هذا لا يصدق على البعض من الذين كانوا يعتقدون بصحة وجهات نظرهم وتوجههم وانتمائهم الفكري دون ريب. وللتدليل على ذلك ما حصل في إحدى الليالي في نادي الضباط حيث بدأ النقاش والجدل ينصب على موضوع الوحدة أو الاتحاد دون حجج أو مسوغات علمية، حيث غلبت العاطفة وانتهى بالصياح والعربدة دون النظر إلى الرتب أو القدم ونسي الجميع الضبط العسكري، دون أن يتمكن أحدهم

من إقناع الآخر بوجهة النظر التي يحملها. تكرر ودار مثل هذا النقاش كثيراً وفي مختلف الأوقات، حيث أصيب الجميع بحمى السياسة، كل حسبما يعتقده أو يهواه أوينقاد إليه لهدف في نفسه دون معرفة أو تبصر، وأخذت الهوة والتباعد بين الفرقاء تتسع يوماً بعد آخر. كما توضح لي وما لمسته أن أغلب الضباط الذين كانوا يحبذون الوحدة الفورية أو الذين كانوا يميلون إلى الفدرالية والكيفية التي تتم فيها أي منهما، لايملكون أي قدر من المعلومات التي تمكنهم من إقناع محاوريهم لتفضيل خيار دون آخر. كانت العاطفة وتأثير الدعاية العامل المسيطر في هذه القضية تماماً، ففي إحدى الليالي التي تصادف أن جمعتني في النادي مع كل من المقدم الركن عيسى الشاوي والرئيس الأول الركن جابر علي كاظم اللذين كنت أعمل معهما في مقر اللواء كما بينت، دار الحديث المعتاد حول شؤون البلد وتشعَّب ثم عرجنا على موضوع الساعة في حينها كما يقال. حدثتهم عن مشاعر السوريين التي لمستها وعشتها بنفسي والتي شعر بها أغلب الضباط الذين إشتركوا معي في دورة الأسلحة هناك، وبينت لهم الكيفية التي كانت تجري فيها الأمور والتعامل الفض والتعالي الذي يصدر من المصريين تجاه إخوانهم السوريين، على الرغم من كونهم أصبحوا شركاء الوطن الذي يفترض أن يتساوى فيه الجميع. وأضفت أن هذا وغيره مما لمست أعتبره سبباً كافياً بالنسبة لي لتفضيلي الاتحاد على الوحدة الفورية الاندماجية كما كان يراد لها وكان ما ذكرته في حينه مجرد رأي لا أكثر، ولم أكن أدري أن حديثي هذا سيدفعهما إلى الإعتقاد بأنني من الخط المعادي لهما كونهما كانا وحدويين. وقد نسيا وقتها أنني لو لم أشاهد وأطلع على الأمور ميدانياً وعن كثب، لكنت معهما في ما كانا يعتقدانه «على الهواء كما كان يقال». وفي ما يلي بعض مما لمسته وشاهدته بنفسي تاركاً الحكم للقارئ في ما إذا كنت على خطأ أو صواب؟

أ- في أحد الأيام، وقبل إنتهاء الدورة بأسبوعين توجهت إلى سوق الحميدية

للتبضع وانتقاء بعض الهدايا والتذكارات، قبل ذلك لم يكن الوقت يسمح أو يساعد بسبب انشغالنا وانهماكنا في التدريب ومراجعة الدروس المكثفة. وتمكنت من استغلال الفسحة من الوقت التي أعطيت لنا، فضلاً عن أيام الجمعة من كل أسبوع التي تمتعنا بها كونها عطلة رسمية عادة شأنها شأن جميع الدول العربية. دخلت السوق وأنا مرتدي الزي الرسمي العسكري، حيث صدرت لنا الأوامر بالتقيد به قبل مغادرتنا العراق، وتصادف أن كان هناك الكثير من الجنود والضباط وضباط الصف المصريين والسوريين، كان السوريون من مختلف الرتب أكثر انضباطاً وعلى درجة عالية من التهذيب خلافاً عن أخوانهم المصريين الذين كان أغلبهم يتجاهل أداء التحية لمن هو أعلى رتبة منه (مع أن هذا التقليد متبع في جميع جيوش العالم) اذ يمكن تمييزهم من الزي العسكري الذي أحتفظ به كل طرف، ولم آبه لذلك، لأني أعلم أنني لم أكن في بلدي، ولكن ما شاهدته بعد ذلك ولمسته بنفسي من خلال التعامل الحاصل هناك جعلني أفكر أبعد من ذلك حول ما كان يجري، فقد توقفت أمام أحد المحلات لاختيار بعض الهدايا من الملابس الصوفية (بلوزات وغيرها) وبينما كان البائع منهمكاً معي في عرض بضاعته، حضر أحد العسكريين المصريين وكان برتبة نائب ضابط وأشار إلى إحدى القطع وطلب من البائع تقديمها له لمعاينتها بغية شرائها، التفت إليَّ ولم يبدِ أي أكتراث لوجودي، سأل البائع عن السعر؟ وحين أجابه الرجل؟ ما كان منه إلا ورماها بوجهه موجها له كلاماً جارحاً وألفاظا غير مؤدبة تاركاً المحل متبختراً بهذا التصرف غير اللائق. حينها قال لي البائع «مع الأسف ياسيدي، لو كنا نعلم أنكم ستقومون بثورة لما عملنا وحدة مع مصر!!. وأضاف، (كثيرون هنا من أمثال هذا العرص ابن العرص. إنهم يعاملوننا وكأننا عبيد لهم)». أنقل ما سمعته وشاهدته بكل أمانة وللتاريخ، دفعني هذا التصرف والكلام الذي سمعته من البائع إلى محاولة التقصي عن السبب بصورة مباشرة وغير مباشرة، فوجدت أن الكثير من السوريين لم يكونوا مرتاحين

للوحدة مع مصر، لأن أغلب المصريين الذين تواجدوا هناك خاصة منتسبي الوحدات العسكرية من مختلف الرتب والصنوف لم يحسنوا التعامل مع السكان، بل شكلوا وتصرفوا كمعاول هدم للوحدة بدل بنائها مع الأسف

ب ـ على العكس مما كنا نشاهده من المصريين هناك، تصرف السوريون معنا بكل أريحية وكرم ضيافة، فقد تم إسكاننا في بناية كلية الأركان السورية، حيث لم تبخل علينا إدارتها في كل شيء بدءاً من الطعام وإنتهاءً بتوفير الأسلحة التي خصصت بكميات تفوق الحاجة للتدريب اليومي. كما سمح لنا باستعارة ما نرغب به منها وجلبه إلى غرف النوم خلافاً للوائح العسكرية التي كانت تقضي بإعادة السلاح إلى المشجب بعد انتهاء فترة التدريب، لزيادة الاستفادة من التدرب العملي لكل منا. كما قررت الإدارة إبقاء المشاجب مفتوحة لنا طيلة النهار، بل وأتيح لنا الاحتفاظ بالسلاح معنا لليوم الثاني، إذ كان البعض يحتاج إلى المزيد من المهارة اليدوية، خاصة فيما يتعلق بالتفكيك والتركيب لبعض الأسلحة، أو القدرة على طي زعانف المقذوف كما في سلاح (الآر بي جي). وقد كاد هذا الأمر أن يتسبب لنا في حدوث كارثة كادت أن تودي بنا جميعاً مع مدربينا عندما (كنا في قاعة مغلقة) بسبب خطأ ارتكبه أحد ضباطنا المشاركين معنا في الدورة بعد حصوله على قاذفة غير معدة للتدريب وصالحة للرمي الحي مع مقذوف من مشجب السلاح دون معرفة أو تبصر منه، عوداً على ما بدئته في موضوع الوحدة، حيث أود أن أُضيف للقارئ المزيد عما لمسناه من إخواننا السوريين خلال تلك الفترة، أبينه كما حدث. ففي نهاية الدورة دعتنا كلية الأركان إلى حفل عشاء في أحد المطاعم، وقد أُبلغنا أن الحفل سيتضمن إتاحة الفرصة لنا للاطلاع على الفولكلور الشعبي السوري من أزياء وغناء وغير ذلك من فعاليات بمناسبة توديعنا، خلال تقديم فقرات الحفل، جاء دور المطربة السورية المشهورة آنذاك نجاح سلام التي كنا نسمع كل يوم الكثير من أغانيها عن الوحدة المصرية السورية التي كان يتضمن البعض منها الدعوة لانضمام العراق تلميحاً أو تصريحاً، إضافة إلى

التمجيد بما حققه زعيماها الراحلان جمال عبد الناصر وشكري القوتلي. إبتهج الجميع بحضور هذه المطربة وبدأت الغناء، وكان جل غنائها عاطفياً لم يتطرق إلى ما كنا نسمعه يومياً من إذاعة صوت العرب وزميلاتها. عندها كتب الكثير منا بعضاً من قصاصات الورق ودفعناها إليها كي نسمع منها تلك الأغاني، وتجاهلت الطلب رغم تكراره على الورق المرسل تباعاً أو بصورة مباشرة. عندها انتفض الجميع لعدم استجابتها لنا وهممنا بالمغادرة إحتجاجاً، عندها تدخل مضيفونا بكل أدب وأريحية وأعادونا إلى أماكننا مع الوعد بتلبية ما كنا نرغب به من تلك الأغاني. وخلال تلك الفترة وما تلاها من وقت الاحتفال، بيَّن قسم منهم سبب الامتناع صراحة كما لمح البعض الآخر بنفس السبب مع إضافة عوامل أخرى لايتسع المجال لذكرها هنا.

من كل ما تحصل لديَّ من مشاهدات وما سمعته ولمسته من أمور لاتخفى على أي متتبع يهمه أمر بلده وما ينتظره من مستقبل جعلني أميل أكثر فأكثر إلى الداعين إلى الاتحاد الفدرالي الذي يتيح للبلد المرونة في إدارته من قبل أبنائه دون التفريط بالوحدة كهدف وتطبيق على الأرض، شأن الكثير من الدول القائمة على الاتحاد، والتي لم يكن من قاوم هذه الفكرة يفهم المعنيين، حيث تم التفريط بكل أشكالها حين أتيح لهم ذلك.

بل أسرفوا بالقتل والاغتيالات غير المبررة إضافة إلى العداء المستحكم بين الحكام مما مزق ودمر ما كان قد تم بناؤه ولو على استحياء ووصلنا إلى ما نحن فيه.

الكل يعمل في السياسة

اتسمت تلك الفترة من العمل في مقر اللواء بعدم وضوح الرؤيا بالنسبة للجميع، إذ تتحرك بوصلة الميول والاتجاهات لأغلب الضباط يميناً وشمالا. فأنت ترى الكل يناقش ويحاور الكل للوقوف ومعرفة اتجاه الريح كما يقال، أخص منهم أولئك الذين لم يكن لهم ارتباط مسبق أو علاقة بالثورة.

ثم بدأ قسم لايستهان به يميل باضطراد باتجاه اليسار متوافقاً مع الداعين له رأياً وعملاً، والقسم المتبقي بقي على علاقته باليمين أو تظاهر بالتعاطف مع اليسار ولكنه كان يخفي علاقته بالجانب الآخر!.

ولقد استغل الانتهازيون الموقف خاصة بعد فشل حركة الشواف في الموصل وأصبح بعض هؤلاء يساريا بل وشيوعيا وأخذ يعمل بحماس منقطع النظير، وكأنه قد ولد وهو يرضع هذا الفكر.

الحزب الشيوعي وموقفه من هؤلاء

ساد الاعتقاد لدى هؤلاء الانتهازيين أن مصلحتهم تقتضي الانضمام للحزب طمعاً في المكاسب التي حلموا بها، كما أن قيادة الحزب الشيوعي بدأت تضم إلى صفوفه الكثير دون تدقيق أو تمحيص بماضي وخلفية أي منهم.

فكنت ترى كيف أخذ معظمهم يحمل بطاقة الترشيح علانية (بطاقة خضراء) وهي استمارة يتوجب على من يرغب الانتماء إلى الحزب أن يقوم بالإجابة على ما دون فيها من أسئلة للتعريف به وغير ذلك مما احتوته تلك البطاقة والتي بقيت لدى بعضهم دون أن تسلم إلى من كان قد سلمها لهم اعتقاداً منهم أنها بمثابة جواز مرور يمكنهم إبرازها عند الحاجة.

كما نشط آخرون باتجاه فتح مكتبات للوحدات تضم ما يمكن الحصول عليه من الكتب والكراريس اليسارية والشيوعية إضافة إلى النسخ اليومية من جريدة صوت الأحرار التي كان يتفاخر آمر اللواء باقتنائها وقرائتها يومياً وعرضها على زائريه، لاعتقاد البعض أن الكل أصبح بهذا الاتجاه.

بدأ أغلبهم بمحاولة إشعاري بذلك بطريقة وأخرى، لأنني ضابط الاستخبارات، لاعتقادهم إنني سوف أكتب عنهم التقارير بخصوص ميولهم واتجاهاتهم الوطنية (الشيوعية) كما كانوا يسمونها، حتى وصل الأمر بأحدهم أن حضر إلى مكتبي وطلب مني ورقة الترشيح كما كان يسميها، وحين أجبته بأني لا أملك مثل هذه الاستمارة لم يصدق ذلك، بل تركني وهو ممتعض معتقداً أني لا أريد الخير له أو أني أقف ضده وذهب غاضباً ومعاتباً متهماً بأني أتعمد ذلك،

ومتناسياً كوننا كنا نعمل في فوج واحد اجتمعنا وأكلنا على مائدة واحدة لفترة طويلة وأن لكل منا حقوقاً على الآخر.

ثم عاد بعد بضعة أيام وهو يحمل الورقة الخضراء وعرضها لي وقال (الله يخليك يريدون مني الاسم الحزبي. شتگول؟ ماجد؟ صارم؟).

أجبته بكل مودة:

- «أخي الموضوع يخصك وليس لي علاقة به»،

ولم يتقبل ماحدثته به. وحين وقعت الواقعة في شباط الأسود، وكان قد جاهر بما سبق له أن حدثني حول ميله السياسي وتم اعتقاله حينها لتبجحه وادعائه بأنه ينتمي للحزب الشيوعي وإنه مناصر للزعيم عبد الكريم قاسم.

بالمقابل وخوفاً من المد الشيوعي كما أطلق عليه في حينها وما زال يتداول بين القوى المعادية، وخوفاً من تنامي وتعاظم هذا المد ونتيجة لطبيعة الأشياء وبسبب معاداة المعسكر الإشتراكي من قبل الغرب وقع الآخرون أسرى للدعاية الغربية المعادية بقصد أو بدونه.

وتم استغلال هؤلاء لغرض إفشال الثورة وحرفها عن مسارها، وبالتالي أفشالها، وقد تمّ لهم ذلك في النهاية.

والتحق العقيد الركن فاضل العزاوي

حدث ما حدث خلال أحداث الموصل، حين أعلن العقيد الركن المرحوم عبد الوهاب الشواف عصيانه الذي كان من نتيجته أن سارع المقر العام بإجراء التغييرات في بعض القيادات الهامة على مستوى عموم فرق وتشكيلات الجيش وسد الشواغر التي حصلت فيها نتيجة إلقاء القبض على المشاركين في العصيان أوالمؤيدين له وإحالة قسم كبير من المشكوك بولائهم للقيادة على التقاعد، وجرى الأمر بسرعة كبيرة لتلافي الفراغ الذي حدث نتيجة لذلك التمرد والعصيان.

وبعد أن تم تعيين العميد الركن حميد سيد حسين الحصونة قائداً للفرقة الأولى، وتم تعيين العقيد الركن فاضل العزاوي آمراً للواء الأول ليحل محله. في تلك الفترة ساد شعور من الخوف لدى غالبية الضباط الذين لم يكن لهم ميل لأي طرف، كذلك الذين لم يحسموا مواقفهم خلال الفترة التي سبقت العصيان، ناهيك عن الذين كانوا قد عملوا سراً مع الضباط المشاركين فيه أصلاً أو كان لهم أي إتصال بهم خشية أن ترد أسمائهم خلال التحقيق مع المقبوض عليهم. !

في البادية الجنوبية

في نهاية الشهر الثالث من السنة وحينما استقرت الأوضاع نسبياً بعد انتهاء تمرد الشواف، اتصل بي ضابط الركن الأول في مقر الفرقة وأبلغني بضرورة الحضور إلى الديوانية لأمور تتعلق باستطلاع أماكن معينة من البادية الجنوبية، وأبلغني بضرورة اتخاذ ما يلزم لذلك وتهيئة نفسي لتقبل المكوث والتجوال هناك لفترة ليست بالقصيرة، قد تطول لأسابيع أوتزيد بسبب حجم المهمات المكلف بها، كما أبلغني بأن قيادة الفرقة كانت قد أحاطت آمر اللواء علما بذلك.

في اليوم الثاني كنت قد وصلت الديوانية حيث وجدت أن كل شيء قد أُعد لهذه المهمة تقريباً، سواء ما كان منه متعلقاً بالمناطق المستطلعة والمعدات اللوجستية بما فيها وسائل الاتصال وعدد الأفراد المرافقين وغيرذلك، ثم تسلمت من ضابط الركن الأول الشفرة الخاصة بالاتصالات في ما بيننا إضافة إلى الخرائط المتعلقة بالباديتين الجنوبية والوسطى.

بعدها أُبلغت بالتوجه إلى مكتب قائد الفرقة لتلقي بعض التعليمات منه، وتوجهت إلى غرفة قائد الفرقة آمري السابق، الذي كنت أعمل معه في المسيب، طلب مني الرجل الجلوس بعد أدائي التحية العسكرية المعتادة، وكان يجلس أمامه رجل يرتدي الملابس العربية (بدوياً) عرفني عليه وأبلغني بأن هذا الرجل الجالس سيكون دليلك في الصحراء لتنفيذ ما طُلب منك عن طريق ضابط الركن الأول.

ثم أضاف بعد خروج الشيخ ومغادرته غرفة القائد:

ـ «أن هذا الرجل شيخ من أهالي الناصرية محترم جداً وأود مساعدته مادياً من خلال هذه المهمة وما بعدها وستجده بانتظارك».

وأثناء ذلك دخل شخص مدني فهمت أنه من أقارب القائد وإنه سيتوجه معنا إلى الناصرية ومن هناك إلى البادية الجنوبية.

باختصار شديد نفذت المهمة التي استغرقت أربعةً وعشرون يوماً، زرت فيها المخافر الحدودية واطلعت على أحوالها، إضافة إلى (سجن نقرة السلمان واطلعت على كافة مرافقه وأحوال نزلائه) والذي عدت إليه في ما بعد سجيناً، وهذه إحدى سخريات القدر.!

قدمت تقريراً مفصلاً عما شاهدته ولمسته هناك، شرحت فيه أحوال السكان والمناطق السكنية والرعوية، وعززته بالمقترحات المؤدية إلى تحسين أداء الجهات الرسمية المتواجدة هناك، بما فيها شرطة الحدود والمنشآت المدنية إضافة إلى صيانة الآبار الارتوازية منها أو العادية المنتشرة في الصحراء والتي تعد المورد الرئيس للمياه.

رُفع هذا التقرير إلى مديرية الاستخبارات العسكرية ومديرية الخطط في وزارة الدفاع، ولم أكن أدري أو أتوقع أن يُحال إلى الزعيم عبد الكريم قاسم الذي علمت في ما بعد أنه كان قد أعجبه، مما حدا به إلى استدعائي لمقابلته، وهكذا مثلت أمامه في 5/ 7/ 1959.

الحزب الشيوعي

في الفترة التي تلت انتهاء العصيان ازداد نفوذ الحزب الشيوعي زيادة كبيرة جداً بين مختلف القطاعات الحكومية والشعبية، ناهيك عن الجيش، وقد التقط الانتهازيون هذا النفوذ لتجييره لمصلحتهم وبما يحقق أغراضهم الأنانية، مما أدى إلى تطرف يساري لم يتمكن حتى قادة الحزب من الوقوف ضده.

كما استغلت تلك الفترة لافتعال الحوادث والأزمات التي تمكن المعادين للحزب والثورة من إلصاقها بالحزب واتهامه بما جرى من حوادث مؤسفة، وما جرى في كركوك خيرُ مثال على ذلك، كما تمكن البعض من المحيطين بالزعيم عبد الكريم قاسم من التأثير عليه وتحريف الكثير من الحقائق التي أدت بالنتيجة إلى نفوره وخوفه من تسلط هذا التيار على مجريات الأمور، وبالتالي سيطرة جهة وتفردها بالسلطة دون باقي الفئات الأخرى، وهذا ما لم يكن يؤمن به هذا الرجل الذي حاول تصحيح المسار وإعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية.

التي كان يعتقد بضرورة اتخاذ بعض التدابير التي ستمكنه من السير بسفينة الثورة إلى بر الأمان. وانطلت عليه ما كانت قوى الظلام تدبر له من مكائد، بالتالي قادته مع الأسف إلى السير عكس ما كان يرغب به للوصول إلى بر الأمان كما كان يردد ويدعي في الكثير من المناسبات، ولم تسلم سفينة الثورة من المكائد التي حيكت لها.

الخديعة الكبرى وردّة فعل الزعيم عبد الكريم قاسم

أخذت الأمور تنحى منحى لايمكن التكهن به والسيطرة عليه أو المحاولة في توضيح بعض ملابساته من قبل كافة الضباط المخلصين للزعيم ممن كانوا قريبين منه، بعد أن تمكن المقدم الركن جاسم العزاوي الذي شغل منصب سكرتير القائد العام وبمعاونة الرئيس الأول عبد الستار الجنابي مرافق رئيس أركان الجيش من خداع الزعيم عبد الكريم قاسم(في العاشر من حزيران 1959).

حيث لفقا تهمة دبرت بإحكام مستعينين بأحد نواب الضباط من منتسبي اللواء المدرع السادس مفادها أن منتسبي اللواء المدرع المذكورمن الضباط يتهيَّؤون للقيام بحركة تستهدف الاستيلاء على السلطة وتسليمها للشيوعيين، وقد انطلت هذه الفرية على الزعيم مع شديد الأسف، حيث أطلق بعدها يد جاسم العزاوي ومن عاونه في تلفيقها وإبعاد كافة الضباط المخلصين له من مراكز القوة والسيطرة وإحلال ضباط قوميين محلهم.

وبهذا تمكن من تحقيق الخطوة الأولى التي كان يطمح إليها، وهي إضعاف الزعيم عبد الكريم قاسم ثم الاجهاز عليه في الوقت المناسب، وقد تحقق له ذلك ولتأكيد صحة كلامي أقتطف بعضاً مما دونه وأقر به الزجل في كتابه الذي أصدره عن ثورة تموز، إذ يعترف صراحةً بما قام به الرجل ودون خجل.

فقد ورد في الصفحة 235 من هذا الكتاب نصاً بعد أن أسهب في وصف ما قام به من خديعة لولي نعمته:

«أما أنا فقد واصلت العمل المكلف به حتى شروق الشمس، فنقلت كبار

الضباط إلى ضباط تجنيد في مناطق مختلفة في العراق كما أحيل آخرون إلى أمرة الإدارة».

(اي إنه أبعدهم عن العمل في القطعات).

ثم يضيف متبجحاً:

«مهدت هذه التصفية الطريق باقتراح مني أمام الحركة البديلة».

(ويقصد بها مجموعته من المتآمرين واقناع عبد الكريم قاسم أن كل أولئك الذين تم إحلالهم محل الذين تم نقلهم هم من الضباط الأحرار الذين سبق أن عملوا معه في بعض الأوقات).

ثم يضيف وبلغة المنتصر:

«مهدت هذه التصفية الطريق أمام الضباط القوميين للسيطرة على كتائب الدبابات التي أصبح آمروها من تنظيم الحركة البديلة».

كذلك الحال بالنسبة إلى ألوية ووحدات المشاة، حيث أُنيطت أمرة الفوج الثاني من اللواء العشرين الموجود في بغداد بالعقيد الركن سعدون حسين، والكل يعرف أن هذا الرجل قومي الاتجاه وحدوي العقيدة، وتبع ذلك أن تمكن جاسم العزاوي من تعيين المقدم الركن هادي خماس بتاريخ 9/ 7/ 1961 معاوناً لآمر الفوج.

ثم تبع ذلك أن تم نقل آمر الفوج في 22/ 7/ 1962 وتركت أمرة الفوج بعهدة المعاون المقدم الركن هادي خماس الذي كان أحد الضباط الذين هم موضع ثقة جاسم العزاوي الذي كان يسعى بكل ما أوتي من مكر وخداع للوقيعة بسيده كما بينت.

وأترك للقارئ الكريم تقدير خطورة ما ورد على لسان العقيد الركن فيما بعد هادي خماس الذي كان أحد المساهمين في انقلاب الثامن من شباط الأسود حيث تبوَّأ بعدها مناصب عدة كان آخرها مدير الاستخبارات العسكرية.

حيث يقول ما نصه:

(في يوم 15/ 2/ 1962 نُسِّبْتُ كآمر الفوج الثاني للواء العشرين، ولخطورة هذا المنصب أصبحت أُمثل أهم قوة في بغداد، وذلك لسيادة قوتي الكاملة على قاطع الكرخ ودار الإذاعة والمرسلات في بغداد ومطار المثنى الدولي، ومما ساعدني في تولي هذا المنصب الخطير صديقي الأخ المقدم الركن جاسم العزاوي سكرتير الزعيم عبد الكريم قاسم والمشرف العام على الإذاعة والتلفزيون).

وهكذا ومع كل الأسف وبرغم كل التحذيرات والتقارير التي يسمعها الزعيم أو يطلع على ما كتب منها تمكن جاسم العزاوي من إبعاد خيرة المخلصين للزعيم من مراكز القوة التي كان يخشاها المتآمرون دون أن يشعر الزعيم أو يعير أية أهمية لما كان يصله عنه.

ثم زاد الطين بلّة كما يقال خطابه الشهير في كنيسة مار يوسف بمناسبة افتتاحها حين أطلق عبارته الشهيرة:

(إنني فوق الميول والاتجاهات).

والتي اتخذها أعداؤه حجة لتصفية وإبعاد الموالين له، بل وإحالة البعض منهم إلى المحاكم بعد تلفيق التهم والوشايات الكيدية ضدهم، دون أن يتنبه الزعيم لما كان يُدبر له، بسبب اعتماده على أمثال جاسم العزاوي من المحيطين به واعتماده على حدسه الشخصي من ناحية ولاء الضباط له دون التدقيق في ميولهم السياسية أو اتجاهاتهم الفكرية.

كما صمّ أذنيه تماماً عن نصائح الآخرين، بل أخذ يبتعد شيئاً فشيئاً عن أخلص الموالين له لاعتقاده وكما صور له من خدعه أن سياسته هذه ستعمل على إحلال التوازن بين الفئات السياسية، ولم يفرق بين المتآمر والمخلص، حيث أبقى على المتآمرين وأبعد المخلصين وبقي متمسكاً بجاسم العزاوي وأمثاله حتى آخر يوم من حياته (رحمه الله).

إن عبد الكريم قاسم لم يكن سياسياً محترفاً، كان وطنياً صادقاً ذا خلق عالٍ، وشتان بين الاثنين. السياسة مصلحة لاتعرف صديقاً ولا عدواً ولا تأتلف مع ماهو أخلاقي وغير أخلاقي، أما الوطنية فشيء آخر، إخلاص وتضحية ووفاء وثبات على المبادئ دونما تذبذب أو انحراف.

لقد أدى ثبات الكثيرين من الوطنيين على مبادئهم إلى صعودهم المشانق وهم يتغنون بحب الوطن والإخلاص له، أما السياسي المحترف فيتقلب حسب مصلحته.

نتيجة لما تقدم، ومع مرور الوقت، أحيط مقره بالكثير من الضباط الذين لايملكون ذرة واحدة من الإخلاص له، ناهيك عن تآمر القسم الأكبر منهم ووقوع البعض تحت تأثيرهم نتيجة الضغط الذي كان يمارس ضدهم وخوفهم من اتهامهم بالشيوعية كما حدث للكثيرين وقد تم تحييد المتبقي منهم.

كُنا نضرب المثل بابن العلقمي كونه رمزاً للخيانة والغدر ولم يدر في خلدنا وجود الكثيرين منه من الذين تمكنوا من الخيانة وسلمواعبد الكريم قاسم وصحبه الأبرار للمتآمرين المدعومين من الغرب الذين أوصلوا العراق إلى هذا المصير السيِّئ.

فلقد خلت أغلب دوائر وزارة الدفاع من الضباط المؤيدين له أو يضمرون له الولاء خفية ولو وجدت أياً منهم تجده شبه موقوف عن العمل ولا حول له ولا قوة، بل منعت أو حجبت عن أي منهم أية معلومة تتعلق بتحركات المتآمرين، في حين أطلقت يد من تعاون معهم بكل شيء يضره أو يسيء إليه دون أن يعلم، وكيف له أن يعلم بعدما نجح في خداعه من كان موضع ثقته وسكرتيره الذي استمرأ الخداع ومضى به إلى النهاية.

ولبيان مدى تغلغل وهيمنة هؤلاء في وزارة الدفاع والوقوف على الحالة التي كانت عليها، فلنبدأ بمديرية الحركات العسكرية وضباطها ممن كانوا يعملون مع أعدائه، لوجدنا العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار الذي كان الضابط الخفر

في صباح الثامن من شباط الأسود، كان يوجه المتآمرين ويبلغهم بالموقف لحظة بلحظة، كما اتخذ موقفاً سلبياً من القطعات التي كان يعتقد بتحركها بأمرة الزعيم، والتي كان يجب أن يحركها لصالحه ولم يوصل لها أية أوامر من التي كان يصدرها إليه رئيس أركان الجيش كما تبين في ما بعد.

هناك حادثة تخص ضابطاً آخر برتبة مقدم ركن، كان هذا الضابط قد دخل كلية الأركان وهو برتبة نقيب قبل الثورة، وفي أحد الأيام، وبينما كان الفريق الركن رفيق عارف رئيس أركان الجيش حينها (رحمه الله) يزور الكلية المذكورة، وجد هذا الضابط منتظماً في صفوفها فاستغرب من ذلك، لأنه كان على علم بعلاقاته المشبوهة، فما كان من الرجل إلا أن أعاده إلى وحدته وترقين قيده من الكلية، أذ لم يتحمل رئيس الأركان أن يحظى هذا الضابط بشرف الانتماء للكلية المذكورة للسبب أعلاه.

وحين حدثت الثورة أعيد إلى الكلية وتخرج منها بعد أن صور الموضوع بغير حقيقته وكذلك بسبب تسامح قائدها عبد الكريم قاسم، وأصبح ضابط ركن واستقام له الأمر حتى وصل إلى رتبة مقدم ركن يعمل في مديرية الحركات العسكرية (أخطر دائرة في الوزارة).

وبدلاً من أن يرد الجميل لعبد الكريم قاسم ويخلص للرجل الذي أعاد إليه ما لم يكن يحلم به، سلّم هذا خطة أمن بغداد التي كانت بعهدته إلى المتآمرين على عبد الكريم قاسم بحيث سهلت لهم الكثير من الأمور للسيطرة على الموقف في شباط الأسود، إلا أن مصير هذا الرجل وبعد كل ما قدمه وعمله خدمة للمتآمرين لم يكن أفضل من مصير أي خائن لبلده أو قائده الذي إئتمنه.

فلم يحظَ أو ينطْ به أيُّ منصب ولم يعترف له بجميل، لأن معظمهم يعرف ماضيه المشبوه، لذلك لم يفز بأي شيء، وهكذا مات ملوماً محسوراً جراء فعلته التي لا تشرف أحداً.

وما يصدق على هذا يصدق على غيره منهم؛ أشباه جاسم العزاوي وسعيد

الدوري وعبد الستار الجنابي وغيرهم ممن تواجدوا في وزارة الدفاع في تلك الفترة.

لقد أختلطت الأوراق وأصبحت كل مديرية من مديريات الوزارة تعمل لوحدها وكأنها حكومة منفصلة، وهذا الأمر يشتمل على دائرة رئيس أركان الجيش ومديرية الاستخبارات العسكرية.

الكل يعمل باسم عبد الكريم قاسم ويتآمرون عليه بنفس الوقت، وكلٌّ يعاون الجهة التي تعمل معه من زمرة المتآمرين بمختلف اتجاهاتها ويأتمر بأمرها.

ثم تطور الأمر نحو الأسوأ وتصاعدت وتيرة التدهور بعد أن أقنع الزعيم عبد الكريم قاسم بتسريح الضباط الاحتياط الذين كانوا في غالبيتهم من المؤيدين لسياسته، كما أحيل البعض من الضباط إلى المحاكم العسكرية العرفية بتهم ملفقة شأنهم شأن الكثيرين من المدنيين.

وقد أبلى كل من العميد شمس الدين عبد الله والعميد شاكر مدحت السعود رئيسي المجلسين العرفيين الأول والثاني بلاءً مشهوداً ومنقطع النظير في إصدار الأحكام الجائرة بحق من ساقهم سوء الطالع أمام أي منهما، حيث أخذت الأحكام تصدر بحق المواطنين والضباط بالجملة ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

- الرئيس الأول جواد كاظم والملازم الأول قاسم جراد وغيرهم الكثير.

وهكذا خلا الجو رويداً رويداً للمتآمرين ولمن لا يحمل الولاء له وكأنه كان يسهل الأمر على من يتآمر ضده.

ومن الجدير بالذكر أن المرحوم جواد كاظم قد نفذ فيه حكم الإعدام من قبل الانقلابيين بعد تمكنهم من السلطة. وكان الزعيم عبد الكريم قاسم قد أعفاه من العقوبة بعد حين. لقد ذهب البعض بعيداً في عدم الوفاء والإخلاص ونكران الجميل لهذا الرجل إلى حد التهجم عليه سراً وعلانية إن أمكنهم ذلك وساعدتهم

زمر الخيانة والتآمر وتطوعوا ليكونوا خدماً أذلاء للمتآمرين، فمنهم من لم يحظ بأي مركز أو منصب يوازي أو حتى أقل من ثمن حجم الخدمات التي أداها هؤلاء لزمر المتآمرين بعد استيلائهم على السلطة، ولم يحصلوا أو يفوزوا بشيء سوى الندم والحسرة، فالخائن لايحظى بأي احترام ولا يكافأ، وهذه قاعدة لايعرفها ضعاف النفوس من الذين تآمروا عليه أمثال جاسم العزاوي الذي فقد كل شيء.

كان معززاً مكرماً في مقر الزعيم عبد الكريم قاسم وانتهى أمره في اليوم الأول من شباط الأسود حيث أحيل على التقاعد وغيره الكثير وسيرد ذكر البعض منهم في مواضع متفرقة من هذا السرد التاريخي للوقائع.

موقف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر من الثورة

لقد وقف الرئيس الراحل جمال عبد الناصر (رحمه الله) موقفاً بدا للكثيرين ممن لم يطلعوا على بواطن الأمور موقفاً إيجابيا من الثورة، غير أن واقع الحال لم يكن كذلك، فقد فتحت الثورة شهية الرجل منذ اليوم الأول لقيامها وبدأ يعمل على ضم العراق إلى دولته الكبرى التي كان يحلم بتأسيسها.

من هذا المنطلق أرسل أول دفعة من جيشه تمثلت في سرب من الطائرات من القطر السوري مع ما يستلزمه من طواقم الخدمات الأرضية والصيانة من القطر المصري، وهذا عمل جيد يحسب له لمن لم يعرف ضباط مخابراته الذين رافقوا تلك الطواقم.

ثم انتقل القسم الأكبر منهم للعمل في السفارة المصرية التي استوعبت أضخم عدد من العاملين في أية سفارة من سفارات دول العالم أمثال السيد عبد المجيد فريد ومن رافقه من الضباط والمراتب إضافة إلى ما خصص من البرامج الإذاعية الموجهة من مختلف المحطات التي كانت تعمل من داخل القطرين السوري والمصري، كصوت العرب وغيرها تأييداً وإشادة بما تحقق في بلدنا.

ولم يستمر الحال طويلاً، حيث بدأت البوصلة تتحرك بالاتجاه المعاكس شيئا فشيئاً وكلما اقتضت الحاجة لذلك، أو حدث ما يعكر صفو الحلم. أخذت طابعاً عدائياً سافراً بعدما حدث في الموصل من أحداث قوضت كل ما كان يدور في مخيلته، وبدأ يشجع صراحة ودون مواربة كل أعداء الثورة وقادتهم، بل قام بدور المذيع والمعلق بنفسه، فلم يترك مناسبة إلا واستغلها لهذا الغرض.

حتى أنه أخذ يتنقل من محطة إلى أخرى ومن بلدة إلى أخرى، فمن دمشق إلى حلب واللاذقية ودير الزور وغيرها وهو يكيل السباب والشتائم لقائد الثورة في العراق الذي لم يتفوه بأية كلمة ضد الرجل ولم يردَّ عليه ولو تلميحاً، على الرغم من كل ما كان يكيله له من سباب وشتائم لايجوز أن تخرج من فم أي موظف، فكيف برجل دولة يطمح وينادي بوحدة العرب؟.

كما ترك القاهرة وسكن سورية فترة ليست قصيرة مكرساً جلّ وقته لهذا الغرض. كما سمح لنفسه وتعاون مع الأجنبي، وما موقفه من خطاب الزعيم عبد الكريم قاسم حين طالب بضم الكويت إلى العراق قبل أن تصبح دولة مستقلة إلا خير دليل على ذلك

(ألم تكن الأرض الكويتية جزءاً مقتطعاً من العراق؟ أليس ما فعله يتنافى مع دعوته للوحدة العربية التي كان ينادي بها؟ وكيف سمح لنفسه بقبول مرور قطع حربية تعود للأسطول البريطاني وتعبر قناة السويس حماية لحكامها؟ أو لم يعترف بها قبل أية دولة من دول العالم نكاية بالزعيم عبد الكريم قاسم؟).

ويبدو أن الإعتراف بالكويت كدولة يساعد على وحدة العرب بزيادة عدد دولهم. لقد مد الرئيس جمال عبد الناصر (رحمه الله) يد العون لكل من وجد فيه القوة والأمل لتقويض الحكم في العراق والمجيء بمن توسم فيهم أية إمكانية لذلك، دون مراعاة أو تحسب لما سيؤدي به الحال في النهاية.

وقد كان البعض منهم مرتبطاً بالأجنبي، إذ اعترف قسم كبير من الذين تآمروا على الثورة بارتباطهم بجهات مشبوهة وتسلمهم الأموالَ من جهات عدة، ودونت اعترافاتهم وبما صدر من بعضهم من تصريحات أو في ما كتبوا من كتب بعد صحوة ضمير منهم، وبالتالي فلم تتحقق الوحدة، ولم يتمكن من المحافظة على ما تحقق منها بسبب السياسة غير المسؤولة التي اتبعها الراحل عبد الحكيم عامر الذي تعامل مع القطر السوري كمستعمرة مصرية وتصرف كل ضباطه بهذه العقلية مع الضباط السوريين، تحققت التجزئة بفضله بدل الوحدة

وكذلك بفضل من ناصرهم لتقويض الحكم في العراق، وزاد عدد الدول العربية وحكامها، وهذه إحدى مآسي الشعب العربي.

واستمر التهجم وكيل السباب والافتراء على الزعيم عبد الكريم قاسم وحكومته حتى آخر يوم من حياته ولم يسلم بعد وفاته دون وجه حق أو مبرر سوى الحقد الأعمى والطمع والسيطرة على مقدرات وخيرات البلد.

ذيول حادثة العاشر من حزيران سنة 1959

بعد تلك الحادثة التي دبرت بليل ونجاح جاسم العزاوي ومن عاونه في تدبيرها وخداع الزعيم عبد الكريم قاسم بفرية المؤامرة وتمكنه من نقل وإحالة الكثير من الضباط إلى إمرة الإدارة كما بينت سابقاً صدر توجيه من القيادة العامة للقوات المسلحة إلى قيادات الفرق بضرورة مراقبة منتسبي وحداتها والعمل على رفع الكتب والمجلات وغير ذلك من المطبوعات التي تروج لليسار بحجة (ابعاد الجيش عن السياسة).

وفي منتصف حزيران اتصل بي ضابط الركن الأول في مقر الفرقة وأبلغني برغبة قائد الفرقة بمثولي أمامه لأسباب تتعلق باللواء ومنتسبيه. توجهت إلى الديوانية للمرة الثانية بعد أن كنت قد ذهبت إليها قبل يومين من المخابرة. استغربت من ذلك، ولكن هذه هي الأوامر.

حين وصلت إلى هناك وقابلت القائد، أبلغني بضرورة رفع الكتب ومنع إعادة المكتبات في الوحدات وجمع كل الكتب التي تروج للمبادئ الهدامة كما وصفها في حينه وقال لي كلمة لاتزال في أذني:

(غازي إبني أحنه ويه الزعيم، شيريد أحنه وياه، ما أوصيك بعد لاتخلي شيء يسيء إلى سمعة لوائك).

وانقلب الحال رأساً على عقب، فبعدما كنا نتعاون مع الذين وقفوا مع الزعيم وحموا الحكم، بدأنا نعاديهم اليوم ونتعقبهم حتى في ما يقرؤون.

في حضرة الزعيم عبد الكريم قاسم

أُبلغت عصر يوم الرابع من تموز هاتفياً من القيادة العامة للقوات المسلحة بوجوب الحضور إلى وزارة الدفاع في صبيحة اليوم التالي لمقابلة الزعيم عبد الكريم قاسم في مكتبه في وزارة الدفاع. وهكذا توجهت في الصباح الباكر من اليوم الخامس من تموز لسنة 1959 إلى بغداد، وما أن وصلت إلى وزارة الدفاع حتى أبلغني الضابط الموجود في مكتب الاستعلامات، بعد أن تعرّف على هويتي بوجوب الصعود فوراً إلى الطابق الأول من الوزارة حيث يوجد مكتب القائد العامْ للقوات المسلحة (مقر الزعيم عبد الكريم قاسم).

دخلت فوجدت الرجل(رحمه الله) جالساً على الكرسي ومعه المقدم عبد الغني عبد الستار الذي كان يعمل بمثابة السكرتير الشخصي الذي يقوم بالتدوين لما يدور من أحاديث بين القائد وضباطه، وبعد أن أديت التحية والتعريف بنفسي حسبما تقتضيه القواعد العسكرية، أجلسني الرجل قبالته على كرسي موجود أمام مكتبه وبادأني بالحديث عن التقرير الذي كتبته عن البادية الجنوبية، أعتقد أنه كان يقصد منه طمأنتي ورفع التحفظ الذي قد يلمسه من جانبي ولجعل الحديث أكثر ندية وليس بين آمر ومأمور.

وبعد قليل من الأسئلة بشأن ما ورد فيه وملاحظاته عليه، دخل في صلب ما كان يبتغيه حول سير الأمور والعمل داخل اللواء وعن صحة بعض الاخباريات المبالغ فيها عن آمر اللواء فاضل العزاوي وموقفه من الحركات والجماعات المدنية في المسيب وعن صحة اجتماعاته المستمرة ورعايته للشيوعيين «ولم يكن الرجل كذلك»، كذلك عن قائد الفرقة وموقفه من المؤسسة الدينية حينها.

وبعد أن تفهم الموقف على حقيقته انتهى الحديث، وعاد وأبلغني بضرورة

الاتصال به في أي وقت أو الحضور إلى مقره في وزارة الدفاع لطلب مقابلته وشرح ما يتوجب شرحه من أمور بعيداً عن الهاتف، ثم أبلغ سكرتيره بوجوب تسهيل ذلك وطلب منه إتاحة الفرصة لي لمقابلته في أي وقت بعد أن اقتنع بالشرح الذي قدمته له عما كان يدور في عموم اللواء وما جرى من أحداث ثم أهداني صورته الشخصية بعد أن دون عليها تاريخ الإهداء إزاء التوقيع، وبعد أن فرغ منها سلمها لي وقال:

(غازي آني أكتب على الصورة تاريخ قيام الثورة إزاء كل توقيع أوقعه 14تموز ولكن اعتزازي بك ومعزتك عندي وبعدما سمعته منك، أرختها في هذا اليوم الخامس من تموز وأرجو أن تكون تذكاراً بيننا).

شعرت عند هذا الموقف بكل الفخر والاعتزاز والإكبار لهذا الرجل الذي أوحى لي أن علاقتي به ليست علاقة آمر قائد بمرؤوس لديه، وإنما علاقة ندية بين صديق وصديقه عليه أن يحترم هذه الندية وهذا ما التزمت به طيلة حياة الرجل وسأبقى على ماعاهدت نفسي عليه وفياً ومخلصاً ما حييت، ولم أخيب ظنه أو أتقاعس عن القيام بالدفاع عنه أو تلبية نداء الواجب الوطني اتجاهه، ولم أفارقه في الساعات الحرجة، كما لم أتوقف عن أداء أية مهمة كلفت بها في ذلك اليوم الثامن من شباط الأسود، بل بقيت أقوم بتنفيذ أي واجب كان يتطلبه الموقف خلال تلك الساعات الحرجة.

استمر عملي معه ومع المجموعة القليلة من الضباط الشرفاء الذين كانوا يدافعون عن الجمهورية ومؤسسها، حتى ساعة قراره بالانتقال إلى قاعة الشعب وتكليفي بالبقاء مع بعض الضباط في المقر الرئيس والعمل بإمرة الشهيد العميد وصفي طاهر مرافقه الأقدم، وانتقل برفقة كل من الشهداء العميد الركن طه الشيخ أحمد مدير الخطط العسكرية والعميد فاضل عباس المهداوي رئيس محكمة الشعب كما صحبه العميد الشهيد عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري ومرافقه المرحوم المقدم الركن قاسم الجنابي.

لنعد إلى ما ترتب على تلك المقابلة وما حصل بعدها من تصرفات بعض منتسبي اللواء من الضباط، فلم أكد أصل إلى مقر اللواء حتى وجدت الكل ينتظر بفارغ الصبر وهو يتطلع لمعرفة نتيجتها، وكنت قد عدت إليهم مزهواً بما أحمله

(صورته التي تحمل ما كتب من إهداء بخط يده ومذيلة بتوقيعه).

تحدثت لجميع ضباط المقر وأخبرتهم بما حصل ابتداء من آمر اللواء وانتهاء بآمر فصيل الدفاع والواجبات، كما تبارى أمراء الوحدات على زيارتي يدفعهم حب الاستطلاع لمعرفة ما جرى بيننا، وقد تجلت في تلك الأيام واللحظات مظاهر الانتهازية حتى أن بعضهم نسي أو تناسى رتبته العسكرية وقِدَمه أمامي

(يشهد الله إنني كنت أخجل أشد الخجل حين يحدث ما كنت لم أخطط له أو أحسب له حساباً بسبب تربيتي البيتية والانضباط العسكري الذي كان يسري في كياني)

إذ لايجوز للأقدم أن يؤدي التحية للأدنى، أنما العكس هو الصحيح، ولكن الذي حدث في حينه أمورٌ لايصدقها العقل.

صور من الانتهازية والطموح غير المشروع

حينما تعود بي الذاكرة إلى تلك الأيام التي تلت فشل التمرد في الموصل، تترأى لي صور عجيبة من الانتهازية والتملق إلى حد التذلل من البعض، ويتجلى لك كيف يتلبس المنافق اللبوس الذي يعتقد فيه أنه يلائم طبعك أو ينال رضاك، كذلك الطموح غير المشروع لدى البعض الآخر من الضباط الذين كانوا في الأعم الأغلب يجهلون بطبيعة عمل ضابط الاستخبارات الحقيقي المتمثل بالعمل الاستخباري في الميدان كلواء مقاتل له علاقة بالعمل الحربي فقط ولا يرتبط بأية جهة أخرى سوى مقر الفرقة من هذه الناحية، كما لايرتبط بالعمل الذي تمارسه مديرية الأمن العامة وغيرها من الدوائر المسؤولة عن الأمن الداخلي التي تديرها وزارة الداخلية، وبالتالي فإنهم حين يتقربون مني سوف يحصلون على رضاي الذي سينعكس حسب تصورهم على التقارير التي سوف أبعثها إلى القيادة العامة (والتي لم تكن ابداً من صميم عملي أو واجباتي كما بينت).

وأتحدى أيّاً منهم إن كان قد اطلع أو حصل على أية ورقة أو تقرير صادر مني على أي ضابط أو منتسب من منتسبي اللواء، خاصة بعد أن أتيحت الفرصة للكثير ممن تآمروا على الجمهورية التواجد والاطلاع على كافة مفاصل ملفات مديرية الاستخبارات العسكرية أو مديرية الأمن العامة وغيرها من الدوائر التابعة لهما، بعد الثامن من شباط الأسود.

ولو كانوا قد وجدوا أي شيء من هذا القبيل لما توانوا عن إبرازها للهيئة التحقيقية التي قامت بالتحقيق معي في السجن رقم واحد، حيث كنت قد طلبت

منها إبراز أي مما كان يدور في مخيلتهم من تقارير لإدانتي على الأقل، وكان أن عجزوا عن ذلك للسبب الذي بينته أعلاه.

إن تصرفهم الذي كان قد حصل في تلك الأيام يدل على جهل كبير عن طبيعة عمل ضابط استخبارات اللواء الذي كان محاطاً بالكتمان من قبل سلفي أعانه ورحمه الله، وكان من أبرز هؤلاء الانتهازيين على سبيل المثال لا الحصر.

عقيد ركن يؤدي التحية لملازم أول

من المفارقات المؤلمة التي بدأت تطفو على السطح تَخلي الكثير ممن كان يفترض فيهم الالتزام بالضبط العسكري والحصانة المهنية وقيم الوظيفة عن كل ما يفترض بهم الحفاظ عليها، بسبب ما حصل بعد أحداث الموصل دون سبب مبرر سوى الخوف الذي تلبسهم من انعاكسات الحدث ومحاولتهم التبرؤ مما حصل في ذلك الوقت، على الرغم من سلامة موقفهم من الثورة مع الأسف الشديد.

على سبيل المثال لا الحصرعلى تلك التصرفات أخص ما كان يقوم به البعض من رتب عالية في الجيش (عقيد ركن وآمر فوج من الذين كانوا يزوروني بمناسبة وغير مناسبة مختلقة)، وكانوا حينما يخرجون من غرفتي يؤدون التحية وكأني آمرهم، ثم يقول لأصحابه: (ملازم أول وغرفته أحسن من غرفتي وآني آمر فوج) في حين أني كنت أشعر بالخجل الشديد من هذا تصرفه اتجاهي ولم يحصل في أي يوم من الأيام وكنت ان ناديته أو كلمته دون تسبق دائما ذلك كلمة (سيدي) باعتباره الأقدم والأكبر. وكنت أترك مكاني خلف المنضدة وأجلس قبالتهم احتراماً لهم وكان هذا تصرفي هذا معهم وديدني مع كل ضابط أقدم مني، (فليس من الخلق أن ينسى الإنسان نفسه حين يكلف بواجب عسكري مهما كان: الضبط والخلق هما العمود الفقري للجيش).

وبالمناسبة، لم تكن الغرفة التي شغلتها سوى غرفة تشابه غرف بقية ضباط اللواء، حيث كان المقدم الركن داوود البدر (رحمه الله) شاغلاً لها قبل إحالته على التقاعد أثر ثورة الرابع عشر من تموز باعتباره ضابط استخبارات اللواء، ولم

أضف لها أي شيء لأنها تعود للدولة وليست لي. شغلتها كما وجدتها، اللهم إلا مرتبة صغيرة اشتريتها لأضعها على الكرسي الخشبي والتي لا يمكن لأحد مشاهدتها سواي.

أما الطموحون وطلاب المناصب الذين لايردعهم وازع أخلاقي عن اتهام غيرهم بأبشع التهم أمثال أخوين وصلا رتبة رائد، كذلك كان هناك ضابط آخر لايقل عنهما في هذا المجال إضافة إلى الوصولية والتذلل مع إنه كان ضابطاً حديثاً، كان هؤلاء يساريين أكثر من قادة اليسار أنفسهم وتسببوا بالكثير من المشاكل التي نفرت الكثير من الضباط، وكذلك الأذى لبعض المراتب دون ذنب.

ولن أنسى مادمت مسترسلا بإيراد بعض ما كان يحصل ضمن الرقعة الجغرافية لسلطة اللواء أن أعرج على البعض من الجبناء الذين لم يكونوا بمستوى المسؤولية ولا الرتب التي كانوا يحملونها، أمثال مقدم ظافر أمر معمل الأسلحة والعتاد والذي رفع إلى عقيد وأحيل على التقاعد لسبب لايتعلق بالسياسة أبداً وإنما لعدم توفر الملاك والقدم المعمول به في الجيش كما هو معروف علماً بأنه لم يكن يطمح بأكثر مما وصل إليه.

لقد أعنت هذا الرجل في يوم من أيام صعود نجم المقاومة الشعبية على التخلص من أحد منتسبي معمله ممن انتسبوا إليها في حينه دون إيمان بها، بل طلباً للوجاهة والشعور بالقوة. وكان إن استنجد بي طالباً مني حمايته من هذا المنتسب الذي كان يمكن لآمر المعمل نفسه طرده دون الرجوع إلى أي أحد كونه مدنياً (توابع) وباعتبار ذلك من صلاحياته، إلا أن جبنه منعه من ذلك، وحين لبيت طلبه وتوجهت إلى المعمل قمت بطرد ذلك المنتسب وسحبت السيارة التي كانت مخصصة لآمر فصيل المقاومة ومنعته من استخدامها بعد أن لفت نظره إلى تقصيره تجاه منتسبيه وعدم ضبط تصرفات البعض منهم تجاه الغير.

لم أكن أبتغي من ذلك سوى تأدية واجبي، وواجبي فقط، ولكن آمر المعمل

بعد أن تخلص من ذلك العامل صرح لمقربيه ما نصه تجاه مساعدتي له (أكيد هذا لو مو منهم ما كان يجرؤ على فعلته وتمكنه من طرد العامل) وكان هذا جزائي من أمثال هذا وغيره ممن على شاكلته ولم يتوقف الأمر على تصرفات صغار الضباط ممن ورد ذكر البعض منهم، بل تعداه إلى من هم في مواقع القيادة العليا المدنية والعسكرية وسأورد البعض منها ليطلع القارئ على الجو السياسي الذي ساد تلك الفترة من عمر بلدنا الغالي.

لنبدأ أولاً بقائد الفرقة حينذاك
السيد حميد الحصونة

سبق لي أن بينت الكيفية التي تدرج فيها الرجل بعد قيام الثورة وتحوّل من عقيد بمنصب إداري في الحبانية إلى عقيد ركن آمراً للواء الأول ثم عميد ركن مع رفيقه في دورة الأركان العميد الركن عبد الكريم محمد الذي تقلد منصب آمر اللواء التاسع عشر خلفاً للزعيم عبد الكريم قاسم.

منذُ اليوم الأول من التحاقي بمنصبي كضابط استخبارات اللواء ولقائي الآمر، وجدت الرجل مفتوناً بالثورة وباجراءاتها التقدمية، كما كان يصفها وخاصةً في ما يتعلق بإلغاء قانون العشائر وإصدار قانون الإصلاح الزراعي الذي أصبح من أشد المتحمسين له (مع أنه كان يمتلك مقاطعة واسعة في الناصرية شملها القانون) كما أنه كان قد افتتن بكافة الاجراءات التي كانت قد اتخذت نتيجة لأفكار المخلصين من الثوار والمؤيدين للثورة، وكان يقصد الشيوعيين الذين حدثني طويلاً عنهم، ثم عرج ومنذ اللقاء الأول على المقاومة الشعبية وقيامها بتجنيد المخلصين من أبناء الشعب لحماية الثورة ومكتسباتها على حد وصفه في تلك الأيام، لم ينسَ المسؤول المحلي عن إدارة وتدريب منتسبي المقاومة الشعبية في المسيب، حيث كال له المديح دون أن يعرف أنه كان ملازم احتياط قليل الخبرة، ولم يكن بمستوى المسؤولية، حيث تجرأ البعض من منتسبيهاعلى بعض الضباط، لدرجة إخافتهم وشلهم عن العمل دون أن يتمكن من ردعهم، ولا ننسى حادثة آمر معمل الأسلحة التي ورد ذكرها آنفاً إلا أنه كان كما وصفه لي وطنياً محسوباً على الحزب، وآمري مفتون باليسار في حينه.

وهكذا أصبح آمر اللواء محسوباً على الشيوعيين أو المؤيدين لهم على أقل تقدير، خاصة بعد أن راح يستقبل بين فترة وأخرى الوجوه البارزة منهم في المسيب أمثال جعفر أبو العيس وعبد القادر بهية وغيرهم الكثير، وأخذ يفتخر بصلته بهم لكل من يقابله.

ولم يطل الأمر بالرجل حتى أصبح قائداً للفرقة الأولى في غمرة أحداث الموصل، حيث ساعدت الظروف التي واكبت الأحداث على ذلك في حينه بعد إحالة اللواء الركن عبد العزيز العقيلي قائد الفرقة على التقاعد لاتهامه بعلاقته بالتمرد الذي حصل هناك.

للأمانة وأنصافاً له وللتاريخ فقد كان الرجل من الناحية الإنسانية بسيطاً متواضعاً لا يحب إيذاء أحد حريصاً على عمله وعلى جميع منتسبي القطعات التي بإمرته، إلا أنه كان مولعاً بالمجاهرة بحبه للزعيم، كما كان يكرر ذلك دوماً وأشد إيماناً من أي أحد بأفكاره وأفكار كل المخلصين له في حينه، وكأنه كان يريد أن يصل صوته إلى المقرات العليا في بغداد عرفاناً منه على الثقة التي أولته إياها بتعيينه في منصبه الجديد.

ولم ينقطع اتصالي بالرجل بسبب طبيعة عملي ضمن أحد تشكيلات الفرقة، وكذلك العلاقة الشخصية التي نشأت بيننا خلال فترة عملي بإمرته مباشرة في مقر اللواء وقربي من الأحداث والمشاكل التي كانت تجري وتتفاعل بسرعة والتي كان يقتضي حلها حسب نوعها وطبيعة الاجراءات التي ينبغي اتخاذها إزاء كل منها.

وهكذا بقيت أعمل بإمرته بعد استلامه قيادة الفرقة إضافة إلى عملي الاعتيادي في مقر اللواء، إذ كلفني بعد فترة وجيزة من مباشرته العمل في مقر الفرقة في الديوانية، فقد استدعيت إلى هناك بعد أن صدر الأمر القاضي بتكليفي بالقيام باستطلاع البادية الجنوبية، حيث تسلمت الأمر التفصيلي بالواجب من ضابط الركن الأول مع كافة الخرائط والمستلزمات الضرورية ومعدات السفر، كذلك

مقابلة القائد وتبليغي بالأمر الشفوي وتعريفي على الدليل المصاحب، ومكثت هناك مدة تزيد على الأربعة والعشرين يوماً، قدمت بعدها تقريراً عما أنجزته، كما ضمنته مقترحاتي الخاصة بالموضوع، وكان من نتيجته أن نال أستحسان الجميع، بما فيها القيادة العامة للقوات المسلحة التي زودت بنسخته الأصلية مع كافة مرفقاتها كما بينت سابقاً.

وبعد أن حصل ماحصل بعد أحداث كركوك وخطاب الزعيم عبد الكريم قاسم في كنيسة مار يوسف، بل وقبل ذلك حين أثمرت مساعي ومخططات المقدم الركن جاسم العزاوي ومن عاونه ممن كان على شاكلته من الضباط، وتوجه الزعيم نحو ما نادى به كونه (فوق الميول والاتجاهات)، تحول الرجل بسرعة البرق من اليسار إلى اليمين وأخذ يردد أمام كل من يصادفه إننا نسير على هدى الزعيم عبد الكريم قاسم (شيگول الزعيم إحنه وراه)، وهكذا أصبح الرجل يمينياً بين ليلة وضحاها، حيث طلب مني بعد أن استدعاني إلى مقر الفرقة أن أرفع كافة الكتب اليسارية من المكتبات الخاصة بالأفواج وأخذ يسب اليسار (لم تكن هناك كتب لعدم وجود مكتبات حيث تم رفعها قبل ذلك التاريخ لحصول توجيه سابق بشأنها) إلا أنه كان يريد أن يسبق الآخرين بإظهار ولائه المطلق للرجل الذي أوصله للمنصب، وللتدليل على ما أوردته، أورد بعضاً من القضايا والحوادث التي حصلت في ذلك الوقت والكيفية التي عُولجت فيها على ضوء التوجهات المتقلبة لقائد الفرقة انسجاماً مع الظروف التي تسود في حينه، أنقلها دون أية إضافة أمانة للتأريخ وإنصافاً لمن تضرر من التصرفات التي حدثت سواء كان يمينياً أو يسارياً أو من أية جهة كانت.

وهكذا كان حال الكثير من الضباط غير المسيسين أو الذين لم تكن لهم أية ميول نحو أحد. كان ولاء مصلحة لايمت بصلة للوطن أو المواطن مقروناً بعدم الحرص على الثورة التي بدأت تتقاذفها الأمواج وأهواء البعض من الذين كانوا يحاولون الحفاظ على مراكزهم ومواقعهم في المؤسسة العسكرية.

والأمر نفسه ينطبق على حال الموظفين الكبار الذين كان بيدهم زمام الأمور، حيث كان همهم الوحيد تأمين الحماية لأنفسهم وفقدوا البوصلة نتيجتها، وخير مثال على ما ذكرته من أمور متناقضة أعرض للقارئ تفاصيل ما اتُخذ في أعقاب حادثة من الحوادث وكيف تمت معالجتها بمنتهى السلبية والتهكم في البداية، وما آلت إليه بعد أن تحول موقف الزعيم عبد الكريم قاسم من القوى التي ساندته وضحت من أجله.

ردة فعل قائد الفرقة من حوزة النجف الأشرف

بحكم عملي ضابط استخبارات اللواء، وردتنا معلومات تفيد بحدوث قلاقل في منطقة عين التمر (شثاثة كما كانت تسمى من قبل المواطنين) استدعت ذهابي إلى هناك، وعند عودتي عرجت على المتصرف (المحافظ) عبود الشوك رحمه الله لإطلاعه على حقيقة الموقف وتفاصيل ماحدث.

وصلت إلى داره مساء ذلك اليوم، استقبلني الرجل وقبل أن أبدأ بالحديث عما ذهبت من أجله، بادرني بالقول «وصلت في وقتك، فهناك اشكالية كبيرة ينبغي حلها سوية» ومفادها (أن السيد محسن الحكيم قد اتصل به هاتفياً وأوفد رجلاً يحمل رسالة ينبغي علينا الاطلاع عليها، علماً أن المومأ إليه قد أبلغه أن هذه الرسالة موجهة كذلك من السيد عبد الكريم الجزائري حسبما فهمه من المحادثة الهاتفية).

انتظرنا الرجل، خاصة وأن طلبهما كان يتضمن إيصال صوتيهما للزعيم عبد الكريم قاسم، وكان نصها الآتي (سيادة المتصرف موفدنا يحمل رسالة شفوية نرجو إيصالها للزعيم عبد الكريم قاسم) وقد ذيلت بتوقيعيهما ومهريهما واسميهما الكريمين.

وبعد مضي أكثر من ساعة ونصف الساعة على وصولي، وصل الرجل، وكان من السادة رجال الدين شاباً بحدود الخامسة والثلاثين من العمر. اشتكى الموفد من مضايقات منتسبي المقاومة الشعبية وكذلك مضايقات الناس لرجال الدين والتطاول عليهم لدرجة اضطرتهم لعدم مغادرة بيوتهم، وطلب من المتصرف

حمايتهم من هؤلاء الذين يسببون لهم الأذى والمرارة حسب قوله. استمعنا إلى حديثه، وأحسسنا بالألم الذي كان يعانيه ويحمله وتوصلنا إلى نتيجة بعد ذهابه مفادها أن نطرح الأمر على قائد الفرقة السيد اللواء الركن حميد الحصونة بعد الاجتماع به لمعالجة الأمر ووضع الحلول المناسبة إدارياً وأمنياً.

بادرالمتصرف بعد ذلك بالاتصال بالقائد الذي اقترح علينا التوجه من كربلاء إلى النجف الاشرف للقائه حيث سيتحرك هو من الديوانية للاجتماع بنا هناك. وكان الاقتراح مناسباً للجميع، حيث سيتم اللقاء في دار قائمقام النجف، اذ لم تكن النجف محافظة في حينه وهكذا تحركنا من كربلاء صوب النجف الأشرف.

ثلة من أفراد المقاومة الشعبية تفتش سيارة المتصرف

في الطريق صادفنا ثلة من أفراد المقاومة الشعبية (نقطة تفتيش) طلبت منا التوقف للتفتيش وأوعز أحدهم لزميلين له في النقطة بعد أن توقفت السيارة بتفتيشها. أفهمتهم بعد أن عرفتهم بنفسي ووظيفتي وارتباط آمرهم بمكتبي من الناحية الإدارية أن هذه السيارة حكومية وأن الشخص الجالس هو متصرف اللواء وليس من اللياقة أو واجب احترام المنصب القيام بتفتيشها وهو جالس فيها، عندها سمحوا لنا بالمرور ولكن!

كان موقف المتصرف (رحمه الله) هزيلاً في حينه حيث سمح لهم بالتفتيش ولم يزجرهم أو يوجههم للتصرف الحسن بل عاونهم على ما كانوا يفكرون فيه وقال لي (شباب أحداث كانوا يعتقدون أنهم وحدهم المخلصون للثورة والمدافعون عنها) وبارك لهم هذا العمل.

حينها ازداد يقيني بصدق وصحة ما أفاد به رجل الدين وثقل المهمة التي يجب معالجتها قبل أن تفلت الأمور نتيجة قلة الوعي بالنسبة لأمثال هؤلاء الشباب وقد تُستغل لغير صالح الثورة من المتربصين بها.

في الطريق قلت له:

- سيادة المتصرف أعتقد أن تصرف هؤلاء الشباب يعتبر تجاوزاً على السلطة الرسمية، لأن السيارة تحمل سيادتك وأنت شخص معروف، ولم تكن تنقل غيرك وينبغي وضع حد لهذا التصرف.

أجابني الرجل:

ـ ولدي، طالما أنهم يخدمون الثورة فلا ضير في ذلك، وينبغي أن نشجعهم.

(كان الرد غير مناسب وغير معقول لرجل يمثل أعلى سلطة في الإدارة).

وصلنا النجف الأشرف، وهناك التقينا بقائد الفرقة في دار القائممقام.

موقف قائمقام النجف من شكوى الحوزة

بعد أن استقر بنا المقام بدأ السيد المتصرف(رحمه الله) بسرد ما دار بينه وبين موفد السيدين الحكيم وعبد الكريم الجزائري أجابه قائد الفرقة:

طيب لنستمع إلى ما لدى القائمقام حول هذين الرجلين باعتباره المسؤول الإداري!

وإذا بالقائم مقام يحمل عليهما ويندد بهما ويصفهما ومن معهما بأبشع الصفات «رجعيون»، «متآمرون»، «عملاء أمريكا» وختمها بكلمة «عجم متآمرون».

وتلقيت نصيبي من القائد بعد أن فرغ من المتصرف

وهنا يبرز بوضوح موقف القائد السيد حميد السيد حسين وكلماته التي مازالت عالقة في ذهني والكيفية التي وردت فيها، حيث التفت إلى المتصرف المرحوم عبود الشوك وبادره بنبرة حادة فيها من التساؤل والعتاب والكثير من التهكم:

ـ عبود الم تخشَ الله؟ (عبود ما تخاف من ربك جبتني من الديوانية لهنا حتى تسمعني هيجي حجي؟ هذولة عملاء الاستعمار موزين إحنه ساكتين عليهم) ثم سكت ليلتقط أنفاسه وبعد هنيهة قلت له (سيدي الموقف يتطلب أن نسمعهم ومانحاربهم حتى لايصيرون أعداء).

احتدَّ عليّ وقال لي بكل قوة:

ـ (گوم أطلع، هذولة شنو؟ شتريد نسويلهم؟ تريد نسويلهم قيمة؟).

خرجت من الغرفة وتنحيت جانباً في غرفة أخرى وبعد فترة لم تطل كثيراً ترك مكانه دون أن أشعر وأذا به يقف فوق رأسي، مسكني من رأسي ومسح على كتفي وقال لي:

ـ (ولدي أنت حديث العهد بهؤلاء ولا أريدك أن تنجر وتصدق ما يقال أو يُنقل عنهم فهم عملاء أذلاء).

وانتهى الموضوع على هذه الشاكلة بعد أن نلت نصيبي من التقريع والنصيحة وتطييب الخاطر إن صح التعبير، ثم خرجنا جميعاً لزيارة الامام علي عليه السلام، وبعد انتهائنا وقد كان الوقت قد قارب الفجر وحانت ساعة الصلاة، صلى الجميع ثم عدنا أدراجنا، كل يحمل همه وانطباعه أو تصوره لما ستؤول إليه الأمور.

ودارت الأيام وتقلبت المواقف

أليس من المستغرب أن ترى أن من تحدث مع متصرف اللواء بتلك القسوة والحدة ثم عرج يخفف أو يعتذر من أحد ضباطه، وبعد أن تحول المسار إلى الناحية الأخرى، أن يعود الرجل نفسه بشحمه ولحمه وهيلمانه بزيارة النجف الاشرف لنيل شرف الصلاة خلف من وصفه بما وصفه من نعوت ويداوم على صلاته كلما سنحت له الفرصة؟

إن هذ الموقف وما تلاه من مواقف يكذب ادعاءه باستشارته المرجع الديني حين خطب الزعيم عبد الكريم قاسم وطالب بالكويت وزعمه بامتناعه عن التحرك نحوها بعد تلك الاستشارة، لأن الزعيم عبد الكريم قاسم لم يأمر بتحريك أية قوة عسكرية بل كان موقفاً سياسياً لتبنى عليه المواقف المستقبلية تجاهها ولتثبيت أحقية العراق بما يطلبه من حقوق في تلك الأرض.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، هل يعقل أن يمتنع قائد الفرقة عن تنفيذ أوامر القيادة العامة دون أن ينال عقابه وهل سيغفر له عصيانه دون أن يكون قد أعدم قبل ذلك؟ أنه تحريف للتاريخ نطق به الرجل بعد أن انتهت ثورة الرابع عشر من تموز وبعد أن كان قد تبوأ منصب متصرف لواء ديالى بعد حوالي سنة من تاريخ الخطاب وبقائه في ذلك المنصب لغاية شباط الأسود.

آمر اللواء العقيد الركن فاضل العزاوي

كنت قد بينت أن العقيد الركن فاضل العزاوي قد أصبح آمراً للواء الأول بعد أحداث الموصل، وبعد أن استلم قيادة الفرقة آمر اللواء السابق السيد حميد الحصونة. وقد عملت مع الرجل وبإمرته فترة ليست بالقصيرة، كان دمث الأخلاق،استحق منصبه بجدارة ولم يكن يحمل ميولاً سياسية قبل الثورة، إلا أنه سار مع التيار في ذلك الوقت بل واندفع قليلاً، وحين كنت أُلمح إليه بالتروي في بعض الأمور كان يرفض ذلك مبرراً اندفاعه تارةً بالحرص على الثورة، وتارةً أخرى بسبب أخطاء الآخرين والخوف من عودتهم للتآمر ثانيةً.

إلى أن حانت اللحظة التي أحس فيها أن عليه أن يخبرني بالحقيقة بعد أن وثق بي على ما أعتقد وبعد أن تمادى بعض المدنيين الذين أخذوا يراجعون مقر اللواء لغرض الحصول على التأييد المعنوي لهم، سواء بحضور الرجل في اجتماعاتهم ومهرجاناتهم التي كانوا يقيمونها تأييداً للثورة ومناسباتها الوطنية، إذ أن ظهوره وحضوره تلك المناسبات سيعني لهم أن السلطة معهم وبيدهم حسبما كانوا يتصورون أو يبتغون إظهار ذلك للقوى الأخرى، وكثيرا ماكنت أعرقل مساعيهم للمقابلة بمختلف الحجج، حينما كانوا يحضرون إلى مقر اللواء بعد أن كثرت وتعددت أيام المراجعة والمناسبات التي يطلب منه الحضور فيها، حتى أني كنت أتركهم في بعض الأحيان جالسين على المصاطب الموجودة في الممر لأوقات طويلة دون السماح لهم بذلك حرصاً مني على عدم إشعار الآخرين بتأييدنا جهة على حساب جهة أخرى، وهذه أبسط مبادئ ومباني الإدارة في ما عدا المسيئين طبعاً.

وبعد أن استراح لي واطمأن من جانبي حيث توطدت علاقتنا كثيراً بعد أن جنبته الكثير من المتاعب قال لي:

ـ (إن السبب في مجاراته لهؤلاء يعود إلى كونه كان مرافقاً لنوري السعيد في الفترة التي سبقت الثورة وأنه يخشى أن تحسب عليه هذه المسألة وتُستغل ضده).

وقد شعر بسعادة كبيرة حين أسرَّ لي بمخاوفه، ولكن بعد فوات الأوان، إذ كانت قوى الردة والظلام تعمل بجد وبهمة عالية كما ورد على لسان المقدم جاسم العزاوي في كتابه سيّئ الصيت الذي فضح فيه خيانته لولي نعمته وتمكنه من بالحصول على ثقته المطلقة التي أدت إلى إطلاق يده بشؤون الضباط ومناصبهم في عموم الوحدات العسكرية والمناصب الحساسة، وبعد أن تحول الزعيم عبد الكريم قاسم غير منهجه وأخذ يكرر القول إنه فوق الميول والاتجاهات كما كان يحلو له أن يسمي نفسه ويصفها بذلك.

حيث أحيل الرجل إلى إمرة الادارة شأنه شأن بقية الضباط المخلصين للثورة ولعبد الكريم قاسم نفسه، حيث كانت هذه بداية النهاية له ولكل من عمل معه وسانده بتجرد وإخلاص. وقد أحيل على التقاعد لاحقاً لا لذنب جناه، ولا لعدم كفاءته، بل كان كغيره من ضحايا جاسم العزاوي وحلقة من حلقات تآمره التي بدأ بها لإضعاف سيده وولي نعمته عبد الكريم قاسم.

وانتهت علاقتي باللواء الأول شأني شأن الكثير من الضباط الذين تمكن منهم أعداء الثورة والزعيم عبد الكريم قاسم، حيث تمكنوا من إحداث فتنة في المسيب بعد أن ازدادت تحرشات القوى المعادية حين شعروا بالدعم من المقر العام ومن الضباط اليمينيين وجرى ماجرى وكنتُ حينها متمتعاً بالإجازة في بغداد، إذ عَلمتُ في ما بعد أن آمر اللواء قد نقل إلى إمرة الادارة وأنا معه بالتبعية، حيث أبلغت هاتفياً بذلك، ولم أعد إليه إلا بعد حين.

السير نحو الهاوية

مع شديد الأسف لم يكن الزعيم عبد الكريم قاسم قد شعر بمدى تغلغل الضباط المعادين له في مختلف أقسام وزارة الدفاع أو الوحدات الذين مكّنهم المقدم جاسم العزاوي من الوثوب إليها بدلاً من المخلصين له، حيث انطلت عليه المكيدة التي دبرها له الذي كان يُفترض فيه أن يكون من أشد المخلصين له،ولكن جاسم العزاوي كما بينت، وبسبب ثقة الزعيم غير المبررة به لم يكن يسمع إلا صوت من كان يخونه ويدبر له المكائد.

كما لم يخطر ببالي أنني سوف لن أتمكن من مقابلته إلا في المناسبات الوطنية والبروتوكولية التي لا تتعدى أداء التحية والمصافحة حتى حل يوم الثامن من شباط الأسود، لولا أن بعض المكالمات الهاتفية قد حصلت بيننا دون أي قصد منا، حين كان في بعض الأحيان يتصل بالمحكمة (قبل القطيعة التي حدثت بين الزعيم والمهداوي) لسبب أن المهداوي وماجد أمين كانا يبديان رأيهما بصراحة عن التوجه المختلف وغير المنطقي في تغير الخطوات التي أخذ يسير عليها الزعيم عبد الكريم قاسم إلا انه كان يمتعض ويتضايق منهما، ثم أخذ يتجنبهما ولا يقابلهما) وأكون أنا على الخط لأرد على المكالمة.

استمر الزعيم عبد الكريم قاسم في سياسته التي انتهجها محاولاً إيجاد توازن بين القوى المؤيدة له والقوى المعادية، سابحاً لوحده ومخدوعاً بمن حوله دون أن يفكر بأي طوق نجاة له أو لمن يؤيده. أطلق العنان للصحف المعادية لكل من أيده، كما شجع القوى اليمينية، بل وساعدها على الاستحواذ على المنظمات المدنية والنقابات الواحدة تلو الأخرى بعد أن حلّ المقاومة الشعبية إضافة

إلى تسريحه كافة ضباط دورة الاحتياط الذين كانوا في غالبيتهم من المؤيدين والمخلصين له كما بينت سابقاً.

واستمر على هذا النهج حتى بعد محاولة اغتياله وافتضاح أمر الجهات المعادية له المشتركة في تلك المحاولة التي لولا وقوف القوى المؤيدة والمخلصة له على اختلاف مشاربها وعناوينها والتي سارعت إلى وزارة الدفاع وأفشلت مخططات المتآمرين حينها. كل ذلك لم يؤثر على سياسته تجاه الضباط المعروفين بولائهم لأعدائه.

لقد تلبسه اعتقاد خاطئ كرسه له من خدعه بوجود ولاء شخصي من بعضهم، كما تصور أنه بعمله هذا المتمثل بجمع النقيضين في مكان واحد سيجعلهما تحت السيطرة (فعلى سبيل المثال لا الحصر فقد نقل صالح مهدي عماش إلى منصب ضابط ركن القوة الجوية على الرغم من معرفته بتاريخ وميول الرجل وخضوعه للتحقيق أمامه عدة مرات).

أعاده للعمل تحت قيادة الشهيد المرحوم اللواء الركن جلال جعفر الأوقاتي، وهكذا أصبحت الأمور مكشوفة لأعدائه في هذا المرفق الحيوي من مرافق الجيش دون أن يحتسب. وما حصل للقوة الجوية سرى على كافة صنوف ووحدات الجيش، وهكذا اختلت كفة الميزان لصالحهم.

كما لم يكن يملك جهازاً أو شعبة واحدة في كل الأجهزة الأمنية أو الجيش مخلصاً له كل الإخلاص. الأغلبية تعمل لصالح من كان يضمر له العداء، سوى بعض المديريات والمؤسسات التي لم تكن تملك القوى التي يمكن أن تؤثر في الميزان أو ترجحها لصالحه لعدم وجود قطعات مؤثرة تحت أمرتها لحسم وإنهاء أي محاولة تحاك ضده، مثل مديرية الخطط العسكرية، ومحكمة الشعب، وقسم من مديرية الانضباط العسكري، ولم يكن لها سوى تأثير معنوي وهذا ماحصل.

لقد أخذت الفرق والوحدات العسكرية تتآكل شيئا فشيئا، حيث جرى العمل الحثيث على افراغها وإيذاء كافة الضباط الذين كان لهم رأي سياسي مخالف أو

ميل أو ولاء شخصي لهذا الرجل بمختلف الحجج أو التهم الجاهزة التي أخذت تُلفق ضدهم كونهم محسوبين على اليسار.

بل وتمادى قسم كبير من آمري الوحدات في أساليب الإقصاء والإيذاء، بحيث أطلقوا يد الضباط المعادين له للاعتداء على زملائهم واستفزازهم واستغلال أية فرصة للتخلص منهم، كما تحولت بعض مدارس الضباط المختصة بالتدريب العسكري للدورات التي تفتح دورياً لأغراض الترقية وغيرها إلى وسيلة أخرى للنيل من المخلصين، حيث يتم منح درجات التفوق والنجاح للموالين لهم والعكس يصدق على الآخرين، فلا يحصلون إلا على أدنى الدرجات المطلوبة للنجاح، وقد يكون الرسوب الذي يؤدي إلى حرمانهم من الترقية رغم كفاءتهم المهنية وكان معلمو هذه الدورات يتباهون ويتفاخرون بإيذاء مخالفيهم، وكانت مدرسة المشاة في الموصل خير مثال على ذلك، والويل لمن كان يقع تحت أيدي آمريها أو معلميها من الموالين للزعيم أوالمحسوبين على اليسار ولو خطأ.

وكانت مديرية التدريب العسكري في وزارة الدفاع ملغومة بالضباط المعادين الذين لم يتوانوا في العمل على التخلص من قائد الثورة، أمثال المقدم محمد يوسف طه الذي ساهم في الهجوم على وزارة الدفاع في ما بعد، وكذلك الحال في مديرية الاستخبارات العسكرية، ولم يحدث أن اتُّبعت في أي وقت من الأوقات مثل هذه الاساليب القذرة من قبل، ومنذ تأسيس الجيش العراقي.

وبالمقابل لم يكن الزعيم عبد الكريم قاسم حازماً مع من كان يسيء إليه، وحتى مع أعدائه بل لم يكن يريد إيذاء أحد من الضباط أو منتسبي القوات المسلحة فضلاً عن أبناء الشعب، وقد استغل هؤلاء الأشرار طيبته وتسامحه لتنفيذ مآربهم الموسوم بالعمالة والتبعية للأجنبي.

بداية النهاية

لم يكن يوم الثامن من شباط الأسود سنة 1963 سوى خاتمة لأيام التآمر العلني والسري على الذي أنجز ثورة الرابع عشر من تموز المجيدة، والذي كانت له اليد الطولى فيها. فمنذ أن صدرت منه عبارته المشهورة (إنني فوق الميول والاتجاهات) التي استغلها المتآمرون أبشع استغلال، حتى أطلق العنان للصحف والمجلات وللدوائر الأمنية لمحاربة كل من كان مخلصاً له يمينياً كان أو يسارياً ومن كل الاتجاهات.

كأنه لم يكتفِ بما عمله جاسم العزاوي سيِّئ الذكر من خلخلة وتشتيت القوة التي كان يمكن أن تنجده وقت الحاجة، إلا أنه فرّط بكل أداة كان يملكها دون وعي منه، لما كان يدبر له في الخفاء وبحجة الإخلاص له والتفاني في خدمته، حتى أن البعض منهم وعلى رأسهم ثعلبهم الماكر كان يبكي في حضرته وأمامه (من شدة اخلاصه) هكذا حورب كل من كان مخلصاً له ونُعت بأقسى النعوت وفُصل أو نُقل من وظيفته عسكرياً كان أم مدنياً، ومن يقرأ جريدة الثورة أو غيرها من الجرائد الصفراء التي كانت تصدر في ذلك الوقت والتي تحولت إلى كلاب مسعورة (تنتقد وتسب وتحرض على كل من يشتبه بكونه يساري الميول فما بالك بالشيوعي) التي أصبحت سُبّة، حيث شملت هذه المفردة وعُممت من قبل مناوئي النظام على خصومهم بحجة مناصرة ومساعدة الزعيم والإخلاص له والوقوف معه بوجه المد الشيوعي المزعوم.

وكانت هذه الصحف لا تتوانى لحظة واحدة عن مباركة أي خطوة يخطوها تصب في مصلحة أعدائه، وبالتالي فقد تمكن هؤلاء من تفريغ كل الوحدات إلا من كان موالياً لهم أو من يقف على التل في أحسن الاحوال.

وهكذا بدأ صباح يوم الثامن من شباط الأسود وعلى التفصيل التالي:

في الساعة التاسعة والربع من صباح الثامن من شباط الأسود رنّ جرس الهاتف وحين رفعت السماعة، كان على الخط المرحوم الشهيد العميد الركن ماجد محمد أمين المدعي العام في محكمة الشعب.

قال لي:

- «غازي هل سمعت شيئا؟».

وحين أجبته بالنفي طلب مني فتح المذياع وسماع ما يذاع والإسراع بالتوجه إليه. وهكذا بدأت العمل في ذلك اليوم الذي كان من المفترض فيه أن يكون يوم راحة، شأنه شأن كل يوم جمعة.

بدأت اللحظات تمر سريعاً وبدأت أسابق الزمن لارتداء ملابسي العسكرية والتهيؤ للخروج باتجاه بيت المرحوم بعدما سمعت ما سمعته في لحظتها. لقد تصدت لي في تلك اللحظة شقيقتي ناهدة ورجتني البقاء في الدار ولم استمع إليها، وحين تمكنت من الخروج باتجاه سيارتي لحقت بي وتمسكت بالسيارة لمنعي من التحرك إلى درجة أني سحلتها بجانب السيارة، وقد كان هذا شعوراً أخوياً لامثيل له، حتى شاهدها الكثير من الناس في تلك الحالة، أذكر منهم السيدة رتيبة التي كانت تدير محل بيع الخضراوات قريباً من مدخل الشارع الذي نسكنه (دكان ركن) وما زالت هذه المرأة تذكر الحادثة وتسردها للناس حين يصدف أن أذهب إليها لشراء بعض الحاجيات من دكانها.

على أية حال، تحركت وعبرت جسر الصرافية متجهاً إلى دار الشهيد المرحوم ماجد محمد أمين، وحين وصلت إلى هناك لم أجده فيها فتبادر إلى ذهني أن أحداً من أصدقائنا قد وصل إليه قبلي (علمت في ما بعد أن صديقاً مشتركاً لنا قد سبقني ووصل دارهم أسرع مني كونه يسكن في دار قريبة من سكن المرحوم الواقع في راغبة خاتون وصديقنا يسكن الأعظمية في ذلك الوقت).

تصورت أن الرجل قد توجه إلى بناية المحكمة حيث مقر عمل جميع المتسببين وهكذا تحركت إلى هناك.

حين وصلت بناية المحكمة استقبلني رئيس العرفاء شرهان وضباط صف وجنود حراسة المحكمة، وكان الجميع في حالة ذهول ولا يعرفون شيئا عما حصل في تلك الساعة، وعلى الفور طلبت من رئيس العرفاء المباشرة بتسليم السلاح لكافة منتسبي الفصيل والتهيؤ للدفاع عن عرينهم كما وصفته حينها ومنع أي فرد من غيرمنتسبي المحكمة مهما كانت صفته من الاقتراب أو الدخول، وعدم الاستماع أو تنفيذ أية أوامر توجه إليهم من الخارج بأي شكل كان.

الاتصال برئيس المحكمة

عندها بادرت بالاتصال بدار رئيس المحكمة لمعرفة الموقف والتصرف على ضوئه، فوجدته هناك وأخبرني أن مداخل الشارع الذي تقع فيه داره محاصرة (كانت هناك أعداد من قطيع المتآمرين قد تجمعوا في مدخل الشارع الذي تقع فيه الدار من جانبي المدخل إلا أن أحداً منهم لم يجرؤ بالذهاب إليه لوجود حضيرة من الحرس أمام الدار) وطلب مني الرجل الحضور إن أمكن لفك الحصار عنه وإخراجه من الدار والتصرف بعد ذلك حسبما تقتضيه الظروف.

وتنفيذاً لما صدر إليّ توجهت إلى المشجب وتناولت غدارة السترنك مع مخزني عتاد إضافيين لها فضلاً عن المسدس الذي كنت أحمله مع عتاده وطلبت من السائق «خليفة» تهيئة السيارة «الزيل» التي كانت مخصصة لحمل جنود الحماية للشهيد أثناء تنقله من داره إلى المحكمة أو الخروج منها عند العودة، وحيث أن اليوم كان جمعة، لذلك كانت السيارة أمام بناية المحكمة لعدم وجود حاجة إليها في ذلك اليوم.

التوجه إلى دار الشهيد رئيس المحكمة

بعد أن أكملت الاستعداد وتجهيز من كنت قد قررت اصطحابهم معي من الأفراد المتواجدين بالسلاح، توجهت إلى دار الشهيد ومعي كل من الشهيد المرحوم نائب ضابط قوة جوية صادق عمران ونائب العريف محمد، وجنديان بعد أن جُهز الجميع بالسلاح والعتاد اللازم من المشجب واتجهنا صوب دار الشهيد المرحوم العميد فاضل عباس المهداوي الكائنة في المسبح.

وحين وصلنا إلى مدخل الشارع الذي تقع فيه الدار شاهدت بعض الشبان لايتجاوز عددهم الخمسة وقد علمت في ما بعد أن طارق عزيز وسليم الزيبق كانا من ضمن هؤلاء واقفين تحت إحدى الاشجار. استوقفونا وسأل أحدهم عن الوجهة التي نروم الذهاب إليها، وحين أخبرتهم، طلب أحدهم كلمة السر فأجبت على الفور» ليس لدينا وقت لذلك، لا تعطلنا».

لم يحرك أي منهم ساكناً ولو حصل ذلك لكانت... بسبب عزمنا على إزاحة أي شخص يقف في طريقنا.

وصلت دار الشهيد، حيث سمح لي بالدخول بعد أن بلغ آمر الحرس أصحاب الدار بوصولي، وعند دخولي وجدته كان قد ارتدى ملابسه العسكرية منذ وقت طويل وكان متهيئاً للخروج حيث بادرني بالقول:

(شفت غازي؟ هذا الذي كنا نحذر منه). بعدها ودّع العائلة بشكل عادي جداً ولم يبدُ على أي منهم أيُّ ارتباك أو خوف. ثم خرج الرجل وصعد إلى السيارة عندها جلست إلى يمينه وأجلست نائب الضابط في يساره، كما طلبت من نائب

العريف الجلوس جنب السائق «خليفة» والجنديان خلفنا وتوجهنا بقصد الذهاب إلى المحكمة في بادئ الأمر.

كان الوقت قد قارب العاشرة أو تجاوزها بقليل، ولهذا كانت جموع غفيرة من الناس قد خرجت إلى الشارع حيث تنبهت إلى خطورة ما كان يصدر من دار الإذاعة على لسان الانقلابيين، وكانت تهتف بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم وتندد بالانقلاب.

سارت بنا السيارة بين هذه الجموع حتى وصولنا شارع الجمهورية الذي وجدناه قد أوشك على الامتلاء بالناس التي كانت قد أحاطت بالسيارة بمجرد مشاهدتنا، حيث تصاعد الهتاف بحياة الزعيم عبد الكريم قاسم وحياة الرجل الذي كانت تشاهده وجهاً لوجه (الشهيد المهداوي)، وكان من نتيجة ذلك أن بدأنا نشق طريقنا بصعوبة بالغة دفعتني في كثير من الحالات إلى أن أدفع بعض الأيادي التي كانت تتشبث بالسيارة بقوة كي يتاح لنا السير والوصول إلى مقصدنا.

في تلك اللحظات خطرت لي فكرة، اقترحت فيها على رئيسي أن نذهب إلى مدينة الثورة، ومن هناك نحشد الجماهير ونقودها ونوجهها إلى حيث نتمكن من مقاومة الانقلابيين والسيطرة على الإذاعة وغيرها من المواقع التي وقعت وسقطت تحت أيديهم وطردهم منها.

وافقني في بادئ الأمر ونحن ما نزال في الطريق ولم نكن قد وصلنا إلى تقاطع ساحة النهضة التي كان بإمكاننا التوجه منها إلى مدينة الثورة، إلا أنه غيّر رأيه بعد مدة وقبل أن نصل التقاطع وليته لم يفعل، وقال لي:

ـ (دعنا نذهب إلى وزارة الدفاع لاستطلاع الأمر، ومن هناك نذهب إلى مدينة الثورة إذا اقتضى الأمر ذلك، وكانت الطامة الكبرى).

ووصلنا إلى بناية وزارة الدفاع

كان الزعيم عبد الكريم قاسم قد وصل قبلنا وباشر بإصدار أوامره لمعالجة الموقف ومنها طلبه من رئيس أركان الجيش المرحوم اللواء الركن أحمد صالح العبدي الاتصال بالفرق كافة لمعرفة الموقف لديها.

كانت أجوبة الفرق حسبما ورد على لسان رئيس الأركان مطمئنة جداً، حيث نقل عن لسان الفرقة الثانية بجواب مفاده السيطرة على الموقف ولايوجد أي شيء يدعو للقلق، كما أن جواباً مماثلا صدر أيضاً من الفرقتين الأولى والثالثة، حيث ساد نوع من الاطمئنان لدى الموجودين.

هكذا كانت أجوبة الفرق كما نقلها رئيس الأركان إلى رئيسه المباشر، وكان في نفس الوقت يحاول أن يُدخل في روع الزعيم عبد الكريم قاسم، أن الأمور لا تستوجب القلق وأن التمرد سيحسم أمره في وقت قصير جداً على حد قوله.

تجدر الاشارة هنا أننا حين وصلنا إلى مقر القائد العام لم يكن هناك سوى نفر قليل من الضباط حيث التقى العميد فاضل المهداوي بالزعيم بعد فترة القطيعة التي سبقت اللقاء وتعانق الاثنان كما أديت التحية إلى قائدي الأعلى بمنتهى الانضباط والاحترام النابع من القلب ووقفت جنب آمري المباشر الشهيد فاضل المهداوي وبقى الجميع واقفين في المكتب فترة ليست بالقصيرة حيث أتاحت لنا الوقوف على ما كان يجري لحظة بلحظة.

الزعيم عبد الكريم قاسم يتصل باللواء التاسع عشر

بعد فترة قصيرة من مغادرة رئيس الأركان مكتب القائد العام التفت الزعيم الشهيد إلى أحد الموجودين في الغرفة وطلب تأمين الاتصال باللواء التاسع عشر الموجود في معسكر الرشيد والذي كان الزعيم يعتمد عليه كثيراً كونه لواءه، حين كان يقوده قبل الثورة ولغاية يوم تنفيذها وما تلاها من أيام حتى عهد بقيادته إلى العميد الركن عبد الكريم محمد الذي ورد ذكره في سياق الكتاب.

وينفعل الزعيم الشهيد أيما انفعال

حين تم تأمين الاتصال باللواء المذكور وبعد أن نطق الشهيد بعبارة (آني الزعيم عبد الكريم قاسم) لم نسمع الجواب الذي جعله ينفعل كثيراً إلى الحد الذي دفعه أن يصيح بصوت مرتفع (ولك انتظر آني جايك).

علمت في ما بعد أن الذي كان على الجانب الآخر من الخط هو طه الشكرجي الذي كان حينها رئيس أول ركن نقله جاسم العزاوي إلى هناك استكمالاً لما بدأه في الهدم والتدمير والتآمر كما سبق أن بيناه.

وتدرج طه في الرتب بعد أن فعل مافعله بالضباط المعتقلين في السجن (رقم واحد) خلال التحقيق الذي كان يجريه معهم وتفننه بأساليب تعذيبهم دون وازع من ضمير أو احترام لشرف المهنة كونهم زملاء له ولكن (فاقد الشيء لايعطيه).

على أية حال، تدرج الضابط (طه) في الرتب حتى وصل إلى رتبة فريق، بعدها نزل إلى مستوى ضابط صف من ضباط الصف في الجيش العراقي حين أمره صدام حسين بالقيام بتدريب فصيل من فصائل متطوعي جيش القدس الذي أنشأه في أواخر فترة حكمه، حيث كان المذكور يهرول مع فصيل المتطوعين شأنه شأن أي نائب عريف مع جل احترامي لضباط صف جيشنا الباسل ولكنها التقاليد العسكرية فأين هي من هؤلاء؟

الزعيم يستدعي آمر فوج الحماية ويعتزم الخروج لمقاتلة الانقلابيين

بعد أن سمع الزعيم ما سمعه من طه الشكرجي استدعى العقيد عارف يحيى الحافظ آمر فوج الحماية المتواجد في باحة وزارة الدفاع حينها، وطلب منه تهيئة الفوج للخروج بغية السيطرة على مداخل بغداد إضافة إلى تخصيص سرية يقودها الزعيم عبد الكريم قاسم بنفسه للتوجه إلى معسكر الرشيد لتأديب ذلك الرجل الذي كان على الخط أثناء المكالمة والذى أجابه بالشكل الذي أهاجه أيما هياج كما أسلفت.

وحضر آمر فوج الحماية

لم تمضِ إلا فترة قصيرة حتى كان آمر الفوج العقيد عارف يحيى الحافظ حاضراً بملابس الميدان ومعتمراً خوذته الفولاذية وهو يؤدي التحية للزعيم عبد الكريم قاسم قائلاً له:

(الفوج حاضر للحركة سيدي).

في هذه اللحظة تحرك الزعيم عبد الكريم قاسم تاركاً غرفته يتبعه آمر فوج الحماية متجهاً نحو السلم للنزول وقيادة القطعة التي توفرت تحت يده وتبعناه جميعاً ولكن؟؟!!!

ما أن وطئت أقدام الزعيم الشهيد أول درجة من السلم حتى ظهر فجأة اللواء الركن أحمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش وهو خارج من غرفته مهرولاً نحو الزعيم مستوقفاً أياه في بداية السلم.

الفرصة المضيعة وسوء التقدير

كان خروج أحمد صالح العبدي من غرفته واللحاق بالزعيم نقطة التحول والفرصة المضيعة التي كان يمكن فيها أن ينقلب السحر على الساحر كما يقال، حيث أن مجرد ظهوره في الشارع فضلاً عن جنوده يُمكن الزعيم من تغيير الموقف لصالحه لو أنه خرج من وزارة الدفاع وتوجه إلى معسكر الرشيد كما كان ينوي (خاصة أن ظهوره سيكذب وينفي ادعاء المتآمرين بقتله) علماً أن الوقت كان مبكراً بالنسبة للانقلابيين، حيث لم تكن قد توفرت لهم القوة الكافية في الساعات الأولى، بل يكاد أن يكونوا قد سيطروا على المرسلات في (أبو غريب) التي لم تكن محمية بفضل تآمر جاسم العزاوي والتي كانت من ضمن مسؤوليته وبعض الأماكن التي لم تكن تؤثر في سير العمليات، الا أن رئيس الأركان قلب الموقف رأساً على عقب ولا أدري هل كان بقصد منه أوبدونه وعندها يكون قد أساء تقدير الموقف وقد تصرف على النحو التالي:

استوقف الزعيم في بداية السلم كما بينت ثم بادره متوسلاً وبالعبارة التالية:

(سيدي لاتعرضنا وتعرض نفسك للخطر. ساعات وينتهي كل شيء)، وبدأت الدموع تنهمر من عينيه.

عند هذا الموقف المؤثر وحيث أن من المفترض أن يكون رئيس الأركان على علم بحركة القطعات التي تحت أمرته، عاد الزعيم أدراجه مقتنعاً بكلام رئيس أركانه وموضع ثقته وكانت الطامة الكبرى.

الوقوع في الشرك وقبول الحصار

وهكذا وبمرور الوقت فُقدت وضُيعت المبادرة وتطور الموقف من سيّئ إلى أسوأ جراء سوء تقدير الموقف على الأرجح، ولا أريد أن أُحمّل الموضوع أكثر من هذا.

أخذ الوقت يمر دون أي عمل سوى استخدام الهواتف التي لم تنقطع، حيث لم يتمكن الانقلابيون من السيطرة أو إيقاف عمل أية بدالة من بدالات بغداد أو المحافظات.

وعدنا أدراجنا كل إلى مكانه، حيث جلس المرحوم الشهيد فاضل المهداوي في غرفة المرافقين المقابلة لمكتب الزعيم الذي رافقه في عودته آمر الفوج ورئيس الأركان، وجلست أنا على الأرض نظراً للتعب الشديد الذي كنت أعانيه حينها، كما جلس إلى جانب المرحوم الشهيد فاضل المهداوي الشهيد المرحوم العميد الركن طه الشيخ أحمد وأزدحمت الغرفة لصغرها ولتواجد بعض المرافقين فيها.

تصرفت دون شعور بالمسؤولية أو حساب للعواقب

كان باب الغرفة التي جلسنا فيها مفتوحاً على مصراعيه ولمْ تمر سوى دقائق قليلة حتى عاد من تحرك مع الزعيم كل إلى مكانه وخرج هو حاملاً جهاز راديو صغير بيده اليمنى وأخذ يقطع الممر ذهاباً وأياباً يستمع فيه إلى إذاعة بغداد.

وعندما وصل خلال سيره بالقرب منا، توقف وأخذ يتفحصنا نحن الجالسين وأذا بالمذيع قاسم نعمان السعدي يبدأ بصوته الكريه والناكر للجميل بالتهجم على الزعيم ويطلب من الجماهير (حسب وصفه للمتآمرين) المساعدة في القضاء عليه ناعتاً إياه بأبشع النعوت والعبارات البذيئة، وحين سمع ذلك لم يتفوه سوى بكلمة (لا يا زنيم).

عندها وفي تلك اللحظة وأنا جالس على الأرض كما أسلفت منهكاً من التعب بسبب تنقلي بين المحكمة والوزارة من خلال الباب التي توصل بين المقرين لأغراض جلب بعض المواد من هناك، وتفقد الحراس والتأكد من سلامة موقفهم وثباتهم وعدم تعرضهم لأي ضغط بغية معالجته ومنع أي قوة معادية من التقرب عن طريق هذا الجانب، قلت له دون شعور مني (صوجك سيدي) نظر إليّ، ولم ينطق بأي حرف وتركنا قاطعاً الممر ذهاباً واياباً.

رحم الله رجل التسامح والحلم وأعلى مراتب الخلق الرفيع.

الوضع في وزارة الدفاع

بالنظر لحصول حركة التمرد وتوقيتها في يوم الجمعة ولتعاون بعض الضباط الذين بثهم جاسم العزاوي في مختلف دوائر الوزارة مع المتآمرين، فضلاً عمّن تخاذل منهم ومن بقي على التل، لم يلتحق الكثير من الضباط الذين يُفترض أن يلتحقوا حال علمهم بما حصل ولعدم وجود حالة إنذار تستدعي تواجد عدد معين من منتسبي الدوائر فيها حسب درجة ذلك الإنذار كما هو معروف في السياقات العسكرية، لم يكن يتوفر في المقر من الكتبة أو الطباعين ونواب الضباط العدد الكافي ولا حتى الحد الأدنى منهم للقيام بالمهام والأعمال المطلوبة في مثل هذه الحالات، كطباعة بيان ونشره بين الناس وهذا أضعف الإيمان كما يقال.

بل لم يتمكن أحد من تهيئة جهاز رونيو للاستنساخ لنشر بيان كان الزعيم قد أعده لتوزيعه على الجماهير بغية إعلامها أنه على قيد الحياة، إضافة إلى تشجيعها على المقاومة وبث روح اليأس لدى المتآمرين، ولا أدري لماذا لم يتمكن أحد من توفيره وتشغيله من داخل مقر الوزارة.

وحين تمكنت من جلبه من المحكمة لم يتمكن أحد من تشغيله بعد أن عانيت ما عانيت من التعب والإرهاق حتى تمكنت من إيصاله بسبب ثقله آنذاك، بحيث جلست على الأرض بعدها وحصل ماحصل بعد سماع قاسم نعمان السعدي كما أسلفت.

والأدهى من ذلك حين تكتشف أن المقر الخاص بالقائد العام للقوات المسلحة يفتقر إلى أبسط أمور السلامة وتأمين الاتصال سوى الهواتف الأرضية

الثابتة، كما لا يوجد أي جهاز لاسلكي أو حتى أبسط محطة إذاعة صغيرة لمخاطبة الناس من خلالها على الأقل.

كانت بعض هذه الاجهزة متوفرة في مديرية الحركات العسكرية ولكنها اختفت أو أخفيت بقدرة قادر.

لاشك أن هناك أياديَ خفية عملت على إخفائها وعدم توفيرها في الوقت المناسب، وقد ظهر ذلك جلياً في صبيحة اليوم الثاني، حيث تبين كل ذلك حين ظهر العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار الذي كان الضابط الخفر في مديرية الحركات العسكرية، وهو من الضباط الموالين للانقلابيين والذي اتضح أنه قد تسلم واجب الخفارة في ذلك اليوم لتسهيل عملهم والتغطية على حركاتهم وإعطاء معلومات مضللة لرئاسة الأركان عن الموقف العام للقطعات والتغطية على تحركات الانقلابيين، كونه كان جزءا من المنظومة التي زرعها جاسم العزاوي ومن عاونه في خيانته.

مواقف مشرفة لمدير إذاعة الحرية وسفير عراقي

لقد ساعد وضع وزارة الدفاع شبه الخالي من أية وسيلة اتصال مع الخارج على تأخير المعلومات إلى الجموع المحتشدة أمام بوابة الوزارة، كما أن تعمد حجب الزعيم عن هذه الجموع بمختلف الحجج وعدم التمكن من إيصال أية أخبار لهم عن وجود الزعيم داخلها، وتسبب ذلك في إحداث حالة من خيبة الأمل لديها، حيث لم نتمكن من طباعة أو توزيع أي بيان أو نشرة تُكذب إدعاء الانقلابيين.

وظهر فجأة بصيص أمل أطفأه الخونة

خلال دوامة البحث عن وسيلة اتصال، رن جهاز الهاتف وكان المتصل أحد الرجال الشرفاء (مدير إذاعة الحرية) وأبلغ من هناك استعداده على إذاعة البيانات أو الخطب التي يمكن إيصالها إليه بسهولة كونها منشأة على طريق المدائن في الزعفرانية ولم تقع في قبضة الانقلابيين لبعدها عنهم وحداثتها أو عدم معرفتهم بتأثيرها.

على أية حال، فقد شجع ذلك الاتصالُ الموجودين مع الزعيم ومنحهم الأمل بأمكان إيصال صوته للشعب عن طريق تلك الإذاعة لو توفر لديهم جهاز تسجيل (يا لبؤس وفقر مقر قيادة البلد. لاتوجد أبسط وسيلة للاتصال سوى الهاتف كما بينت، ولو كان قد قُطع لكانت الطامة الكبرى التي تأجلت إلى اليوم التالي).

ولكنا بقينا لانعلم بما يدور حولنا، وهذا أحد أسباب نجاح الأعداء.

ويعود الامل من جديد على يد السفير فاضل

خلال تلك اللحظات وصل إلى المقر سفير العراق في اليابان (السيد فاضل لا أذكر اسم أبيه) الذي كان يتمتع بإجازة في بغداد على ما فهمت في حينه، وصل الرجل مبدياً استعداده لبذل أي جهد لدعم الزعيم بكل قواه، وحين علم أن الموضوع يتعلق بعدم توفرجهاز لتسجيل خطاب للزعيم (كان قد أعده لغرض أذاعته)، سارع الرجل إلى إبلاغ الزعيم بتوفر مثل هذا الجهاز لديه واستأذنه بالخروج لجلبه من داره بأسرع وقت.

وخرج الرجل مهرولاً إلى داره لجلب الجهاز الخاص به وبالفعل، أحضره بعد فترة من الوقت أحسسنا بطولها، على الرغم من أنها لم تكن كذلك بحساب تلك اللحظات الفارقة، حيث استبشر الجميع (كان جهاز التسجيل من نوع كروندك ألماني الصنع مع عدد من الأشرطة الخاصة به وهو من أجود الأنواع حينها).

وبالفعل، بادر الزعيم بتسجيل خطابه الذي لم أكن أعرف محتواه في حينه، لأني كنت منشغلا بواجبات أخرى كان قد كلفني بها رئيسي المباشر الشهيد المرحوم فاضل عباس المهداوي، وحين عدت، كان الزعيم ما يزال في غرفته لإنجاز تسجيل الخطاب الذي لم ير النور ولم يطرق مسامع أحد سوى من كان بجواره أثناء تسجيله.

وعندعودتى أبلغني الشهيد المرحوم وصفي طاهر وأحد الضباط الموجودين:

(أن مدرعة قد جهزت وهيِّئت لنقلي إلى الإذاعة لتأمين إيصال الشريط إلى هناك، إلا أن ذلك لم يتم، وبقيت أجهل سبب وكيفية استبعادي من هذا الواجب لسوء الطالع كما يقال).

وأودع الشريط لإيصاله إلى هناك بيدٍ لم تكن أمينة عليه

وأخيراً تم تسليم الشريط بيد سعيد الدوري (السكرتير الصحفي للزعيم عبد الكريم قاسم) كنا نطلق عليه اسم سعيد هاكرتي تشبيهاً له باسم الناطق الصحفي للبيت الأبيض جيمس هاكرتي في ذلك الوقت، كان برتبة رائد، وهو أحد الضباط المنسوبين للواء التاسع عشر، وهذا يعني أنه كان يعمل بإمرة الزعيم قبل الثورة وبقي كذلك حتى ساعة استلامه الشريط.

ولم يكن الرجل على قدر المسؤولية الملقاة على عاتقه، لذلك حين كنا نشبهه بذلك الرجل في البيت الابيض تندُّراً، وقد أَطلق عليه هذا اللقب بدايةً الشهيد وصفي طاهر في إحدى المرات التي كان يزور فيها المحكمة مساءً ويجلس مع الضباط لتبادل الحديث معهم حين لا يكون منشغلاً مع الزعيم.

لنعد إلى ماحصل بعد أن تسلم الشريط سعيد الدوري الذي غادر المقر مودعاً ومتجهاً إلى المدرعة المخصصة لهذا الغرض واستقلها تاركاً الجميع بانتظار وصوله إلى دار الإذاعة لإذاعته والكل يحسب الوقت حسب تقديره للمسافة بين وزارة الدفاع وموقع المحطة فقط ودون أي حساب آخر، فلم يكن بالإمكان تصور وتوقع غيرهذا.

أليس هو أحد ضباط المقر على أقل تقدير؟ ألم يكن من النخبة المقربة؟ ولكن ومع شديد الأسف لم يكن على قدر من الشجاعة أو الالتزام الأخلاقي على أقل تقدير لتحمل تبعات ما أُسند إليه، فقد ذهب الرجل إلى دار خاله الذي كان وقتها مدير صنف المخابرة في الجيش وسلمه الشريط بغية التوسط له لدى

الانقلابيين كي ينقذ نفسه منهم، ومن هناك بادر خاله إلى تسليمه لهم (وقد يكون متواطئاً معهم أصلاً) وهذا مثال واضح على الكثير من زمرة المحيطين بالزعيم عبد الكريم قاسم خلال تلك الفترة مستغلين طيبة الرجل دون الإخلاص له.

وهكذا قطع اتصال الزعيم الشهيد بالعالم الخارجي

لقد ساهم سعيد الدوري في عملية التعتيم على الجماهير، والقوات المسلحة على وجه الخصوص، حول مصير قائدهم، بعدما سبقه في تلك العملية المقدم جاسم العزاوي (مؤتمن الزعيم كما كان يدعي) حين أوقف البث التلفزيوني بمبادرة منه وقبل أن يطلب منه أحد ذلك، حتى القائمون بالانقلاب لعدم وصول أحد منهم إليها في حينه وكان يفترض فيه أن يكون وفياً ومحافظاً على ما أُئتمن عليه.

لقد خان الاثنان وليّ نعمتهما الذي أعطاهما مكانين لايستحقانها ومنحهما شرف العمل معه ولم يستطيعا أو يتحملا مثل هذا الشرف ولم يحصل أي منهما على أي مكسب سوى الفتات الفتات، فمات الأول كمداً كما وصف لي حاله أخي العزيز المرحوم المقدم الركن قاسم الجنابي أثناء عملنا سوية في متابعة التحضيرات لتأبين الزعيم الراحل الشهيد عبد الكريم قاسم والاحتفال بثورة الرابع عشرمن تموز في صيف سنة الفين وثلاثة.

أما العزاوي فقد لفظه الجميع بعد فترة قصيرة وانتهى به المطاف يدير معملاً للطحين في بعقوبة تملكه حين عُين وزيراً للزراعة لفترة وجيزة ثم أصدر كتاباً يعترف فيه بخيانته لولي أمره وولي نعمته خلال عمر الثورة كما يتملق فيه لصدام حسين حيث أشاد فيه ودون ذلك في كتابه حين يردد فيه عبارة الرئيس القائد حفظه الله ورعاه وهو القومي المتعصب والمناوئ لفكر البعث، وهذا مصير كل خائن (راجع كتاب جاسم العزاوي حول ثورة تموز).

لقد أدى عملهما هذا إلى عزل الزعيم عن الجماهير والقوات المسلحة، وبالتالي ساعد هذا على انهيار معنويات الكثير من الجماهير والضباط وباقي القوات والفعاليات التي كان من الممكن أن تبادر بردة فعل إزاء الانقلابيين لو سمعت صوت الزعيم في ذلك اليوم أو تأكدت من عدم استشهاده كما حصل في تمرد الشواف في حينه:

(لقد عول الانقلابيون كثيراً على نجاحهم في تمرير كذبة القضاء عليه، وقد حصد من ساعدهم على تمريرها الذل والهوان ولعنة الجماهير لما اقترفت أيديهم بحق الشعب والوطن).

خلال تلك الفترة، ونحن ننتظر وصول الشريط وإذاعته على الناس، وصل العميد الركن سعدون عوني المدفعي وكان يحمل مسدسه بيده والدموع تنهمر من عينيه واتجه مباشرة إلى الزعيم وهو يقول: (سيدي كلنا فداك، آني حاضر لأي أمر تطلبه مني).

كان هذا تصرفاً فردياً من قبله يحتسب له، ولقد بقي معنا لفترة طويلة ولم يطلب منه أحد عمل أي شيء.

ويطول الانتظار

كان الوقت يمضي والعمل في المقر يسير ببطء شديد، وليس هناك أي ردة فعل من أية قطعة عسكرية. الجميع يترقب وينتظر دون جدوى وكلهم كانوا يبنون آمالهم على وصول الشريط وسماع صوت الزعيم، ولم يصل ذلك الشريط كما بينت.

أما الزعيم الشهيد نفسه فكان يتحرق شوقاً للخروج والذهاب إلى معسكر الرشيد، إلا أنه كلما همّ بذلك، كان هناك من يتصدى له ويتوسل إليه لمنعه من ذلك. حيث ساهم المرحوم رئيس أركان الجيش اللواء الركن أحمد صالح العبدي بذلك بل واستمات في منعه عن الخروج بداعي الخوف على حياته.

ولم تكن وزارة الدفاع قد حوصرت لحد ذلك الوقت، بل العكس، فقد كانت محاطة بالجماهير الغفيرة جداً والكل يهتف بحياة الزعيم وتطالب بالسلاح ولم يلتفت إليهم أحد، بل ولم يُتح للزعيم بالخروج إليهم بحجة وأخرى، وهكذا فاتت فرصة أخرى كان يمكن أن تكون بداية للاجهاز على التمرد لولا زمرة المحيطين به من الذين ذكرتهم.

بعدها تحرك الطيران المعادي

تبدد السكون ولحظات الانتظار حين ظهرت في السماء طائرة معادية وبدأت الهجوم، ولكن رجال مقاومة الطائرات سارعوا لمعالجتها بكل عزم وأقتدار، فلم تصب أي هدف ولم تسبب إلا أضراراً لا يعتد بها، ثم عاودت أخرى ولم يكن فعلها أشد تأثيراً من الأولى.

ثم تكرر القصف وأصيب أحد المدافع المضادة للطائرات واستشهد أغلب طاقمه بعد أن كان قد أصاب إحدى الطائرات المهاجمة، ونحن لم نزل في أماكننا في الطابق العلوي مع من تبقى من بعض الضباط المتواجين في مقر الزعيم.

هنا وفي تلك اللحظات ظهر المرحوم اللواء الركن أحمد صالح العبدي تاركاً غرفته واتجه إلى الزعيم عبد الكريم قاسم وخاطبه متوسلاً:

(سيدي أرجوك أنزل إلى الملجأ أحنه نخاف عليك).

لم يوافق الزعيم الشهيد في بادئ الأمر، إلا أن إلحاح رئيس أركان الجيش وتطمينه وتأكيده للزعيم بأن التمرد كما كان يصفه (سينتهي قريباً) وأنه لا يريد أن يعرض حياة الزعيم كما كان يردد مع كل مفردة ينطقها.

نزول الزعيم الشهيد إلى الملجأ

بعد التأكيدات والتطمينات التي سمعها الرجل، أقتنع بكلام رئيس أركان الجيش. ترك غرفته ونزل متجهاً إلى الملجأ وتبعناه جميعاً وليته لم ينزل. فلم يكن الملجأ مهيئاً لهذه الأمور ولمثلها حيث كان مليئاً بالقذارة وأكداس زجاجات الفلورسنت المعطوبة ونفايات أجهزة أخرى.

أنه أشبه بمكب نفايات، طابعات مستهلكة، كراسي مكسرة، وصفائح فارغة وغيرها من النفايات. كانت زجاجات الفلورسنت المعطوبة تتكسر تحت الاقدام ولم نكن نسمح لأنفسنا بالتحرك إلا لبضعة خطوات تجنباً لإعادة أصوات تكسرها لكثرتها احتراماً لقائدنا وزعيمنا الشهيد.

والأدهى من ذلك، لم تكن هناك أية أجهزة اتصالات ولا حتى جهاز هاتف أرضي فكيف يمكن أن تسمي ذلك ملجأ تتمكن منه من إدارة معركة أو حتى إدارة مؤسسة عادية؟ كان حاله حال أي مخزن مهجور لاحياة فيه ناهيك عن رائحة العفن والرطوبة.

ومن المهازل التي حدثت في حينه أن آمر فصيل الدفاع والواجبات الملازم عوض كامل شبيب كان متواجداً في مدخل الملجأ بصحبة جنوده الذين استقبلوا الزعيم الشهيد بالهتاف الذي بدأه آمر فصيلهم وهم يرددون بعده ذلك الهتاف ونزل مع فصيله معنا بدلاً من البقاء في مدخل الملجأ للدفاع عن الموجودين في داخله حتى أشار إليه:

(الشهيد المرحوم العميد الركن طه الشيخ أحمد الذي لازم صديقه ولم يتركه

على الرغم من سحبه أغلب صلاحياته، ولكنه الوفاء والاخلاص الذي كان يتصف به الرجل).

عندها ترك الملجأ وغادر مع جنوده لتنفيذ ما طُلب منه، ولكن حين غادرنا عائدين إلى المقر بعد أن ترك الزعيم الشهيد الملجأ (الذي أبدى أستغرابه الشديد من الوضع المزري الذي كان عليه ذلك المكان وعدم توفر أية وسيلة اتصال ناسياً أن مقره الرئيس لم يكن يصلح للقيادة لفقره الشديد لوسائل الاتصال)، كان الزعيم وحده مع القلة الأقل من القليلة لمساندته في إدارة المعركة كما يجب، وحيث كان من المفترض أن نرى آمر الفصيل متواجداً مع جنوده لم نشاهد أحداً، فقد اختفى هو وجنوده ولم يتضح لنا سبب اختفائه حينها، ويبدو أنه حدث بإيعاز من أحد المتآمرين المتواجدين داخل أروقة الوزارة أمثال العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار وغيره من المتآمرين.

عاد الزعيم إلى غرفته منتظراً كتيبة الدبابات

عاد الزعيم إلى غرفته (مقره في الطابق الأول) ثم خرج منها وأخذ يسير في الممر ذهاباً وأياباً منتظراً انتهاء الأمر على الصورة التي صورها له رئيس أركانه الذي كان قد أخذ يؤكد له باستمرار وأمامنا جميعاً أن خطة أمن بغداد تنفذ بشكل جيد وأن الأمور تسير على أكمل وجه حتى أنه أكد له أن كتيبة الدبابات التي كان آمرها (العقيد الركن خالد مكي الهاشمي) قد تحركت لأخذ مواقعها لصد المتآمرين على حد زعمه، في حين إن ذلك الرجل لم يحرك ساكناً وبقي في داره كما اتضح في ما بعد.

الاجراءات والأخطاء القاتلة المتعمدة منها وغير المتعمدة

وهكذا أرتكبت جملة أخطاء قاتلة أودت به وبحياة الكثير من المخلصين له إضافة إلى ما سبق من ارتكابه من أخطاء بعد السنة الأولى من عمر الثورة وما تلاها، والتي كان من الممكن تلافيها لو أخذ ولو بقسم قليل من النصائح التي كانت قد قيلت له وللذي وصله من الناس الأحرص عليه لما وصل به الحال والآخرين الذين بقوا معه إلى الحالة التي وصلوا إليها ومنها:

أ- لم يبعد أي عنصر من العناصر التي ناصبته العداء على الرغم من معرفته بالكثيرين منهم.

بل قلّد القسم الأكبر من هؤلاء مناصب حساسة تُمكنهم من التسترعلى أعوانهم وأعمالهم. ولنا من التمسك والإبقاء على المقدم الركن جاسم العزاوي بمعيته على الرغم مما قيل له عنه، بل كان قد ورد له اسمه ضمن جملة من أسماء الضباط (المتآمرين) فشطب اسمه بيده، وكان يردد دائماً (جاسم ميخون لأنه بغدادي) ثم جعله في نهاية المطاف مشرفاً على الإذاعة والتلفزيون وأطلق يده فيهما فأبعد من أبعد من المذيعين والمعلقين وعلى رأسهم المذيع المعروف حافظ القباني وغيره الكثير، على الرغم من كل ما سمعه وما لمسه من تآمر الرجل ضده، وكانت النتيجة أن أوقف البث التلفزيوني متعاوناً مع الانقلابيين.

كذلك الحال بالنسبة إلى صالح مهدي عماش الذي عينه ضابط ركن في قيادة القوة الجوية، وقد مكّنه هذا المنصب من الاطلاع على سير الأمور ومعرفة

الكثير مما كان يجب أن لا يقع تحت يديه ساعدت كثيراً زمرة المتآمرين، إضافة إلى ما أحدثه في كافة مديريات وزارة الدفاع وصنوف الجيش بما فيها مديرية الاستخبارات ومديرية الحركات العسكرية التي تركت في ذلك اليوم بأمرة العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار المتعاون أصلاً، إن لم نقل أحد الانقلابيين الذي سهل لهم الكثير من الأمور، كما أخفى معظم المعلومات عن تحرك القطعات المعادية عن رئيس أركان الجيش، وكذلك مقر الزعيم، بل توجه باللوم والعتب إلى المتآمر المقدم الركن محمد يوسف أمامنا في اليوم الثاني حين دخل بفوجه إلى مقر الوزارة قادماً من الحبانية لامَهُ قائلاً: (تأخرتوا) أمامنا دون حياء أو خجل.

ولم يكتفِ بما تحقق له من مكاسب، بل أخذ يلاحق بعض الضباط الذين تعاونوا مع الزعيم الشهيد في ذلك اليوم بالشهادة ضدهم أمام اللجان التحقيقية والمجلس العرفي العسكري الذي أحيلوا إليه لمحاكمتهم بتهمة مقاومة الثورة، وقد نلت نصيبي من تلك الشهادات والتي ورد فيها مايفيد كوني أحد مقاومي الانقلاب الذي كان يسميه ثورة، واصفاً لهم ما كنت أقوم به من أعمال وكأنه كان يراقبني بدقة، ولولا إصراري وتمسكي بادعائي، كوني كنت الضابط الخفر لكنت في خبر كان بسبب شهادته ضدي، مع العلم لم تكن لي به أية صلة سوى كوني أحد منتسبي محكمة الشعب التي كان يحقد عليها كبقية الانقلابيين الحاقدين على عبد الكريم قاسم ومن ناصره قبل تحركهم أو خلاله.

ب ـ لم يمارس أي ضغط أو مراقبة على أي من تحركات الشخصيات المعادية له، على العكس من مناصريه الذين مكن أعداءه منهم بالنقل والتشريد والإحالة على التقاعد وتسليم المناصب الحساسة والفاعلة إلى أعدائه دون تقدير للعواقب، حيث وصل به الأمر إلى أنه كان قد تخاصم مع الشهيد المهداوي للأسباب التي ذكرتها ولم يكلمه واستمرت القطيعة

بينهما لمدة تقرب من السنتين والنصف قبل الثامن من شباط الأسود، ولولا ماحدث في ذلك اليوم لما التقيا.

كما سحب أغلب الصلاحيات من الشهيد العميد الركن طه الشيخ أحمد وعرقل عمله (من المفارقة التأريخية أن هذين الرجلين كانا الوحيدين اللذين التحقا به واستشهدا معه دون أي من ضباط مقره) الذين كوفئ البعض منهم أمثال سعيد الدوري وجاسم العزاوي لبعض الوقت، ولم يصبهم أي أذى سوى التوقيف لمدد قصيرة أو الإحالة على التقاعد في أحسن الأحوال في ما عدا الشهداء المرحومين النقيب نوري ناصر والملازمين الطيارين طارق محمد صالح ابن شقيقة الزعيم وكريم صفر ونائب الضابط صادق عمران الذين استشهدوا في المجزرة المعروفة في النادي الأولمبي بعد أن أقتيد الجميع إلى هناك من موقف سرية الخيالة وكنت من ضمنهم، حيث نلت نصيبي من الرصاص الغادر والجبان الذي أطلقه (ابن شيتا) الملازم أيوب وهبي صبري والتي عدت منها إلى الحياة بقدرته تعالى وسنورد تفاصيل تلك الجريمة لاحقاً.

ولو قيست ردود فعله بالنسبة لمناصريه لوجدنا أن ما أصابهم لايمكن مقارنته مع تساهله مع أعدائه إذ أصاب كل من نصره نصيب من الإعدام أو السجن أوالتعذيب من قبل الزمر الحاقدة والضباط عديمي الخلق كطه الشكرجي وعادل الخشاب.

ولا ننسى قصر النهاية والسجن الرقم واحد وسجن الهندسة وغيرها من أقبية التعذيب التي أستحدثوها في تلك الفترة المظلمة من عمر العراق.

ج- ترك أمر اختيار الضباط لشغل المناصب إعتماداً على السلم العسكري في القدم دون التأكد من ولاء أي منهم له أو للثورة بمعنى أصح. وكان لأعدائه النصيب الأوفر من تلك المناصب وبالأخص الحسّاسة منها بفعل جاسم العزاوي ومن ناصره من الحاقدين والمتآمرين.

د- على الرغم من عدم ميوله الحزبية وميله إلى احتواء جميع العراقيين على شتى مذاهبهم وأهوائهم، لم يتمكن من الاقتراب من الفئات المعادية له. بل استفادت هذه الفئات من جو الحرية المتاحة لها، إذ مكنها من الحركة والنيل من مناصريه بشتى الوسائل بحيث أتاح لهم ما كانوا يصبون إليه دون عناء بسبب تساهله المفرط، وهكذا سهل لهم إحكام الطوق عليه والنهاية المحزنة لكل مناصريه من شرفاء هذا الوطن ومحبيه.

ح- إن اتخاذه وتبنيه شعار (الرحمة فوق القانون) قد أوقعه ومن ناصره في متاعب جمة، وفسح لأعدائه المجال للعمل ضده بكل حرية ودون خوف أو وجل.

ثم وصلت الدبابات الموعودة

انقضى معظم النهار وبدأت تباشير الظلام تلف المكان ولم يحصل أي تقدم في الموقف لصالحه، بل ازداد سوءاً على ضوء نتيجة القصف وفقدان واستشهاد أطقم مقاومة الطائرات. وفي هذه الأثناء وصلت الدبابات التي وعد بها رئيس الأركان والتي كان من المفترض أن يقودها أحد أنصار الزعيم لحماية الموقع والقضاء على الانقلابيين، وإذا بها دبابات معادية.

وصلت، وليتها لم تصل، كانت الدبابات بقيادة العقيد الركن عبد الكريم نصرت، حيث وضع صور الزعيم عليها (الحرب خدعة)، وبادعاء حماية مقر الزعيم، تمكن فيها من خداع الجماهير والوصول إلى وزارة الدفاع دون عقبات تذكر سوى حشود الجماهير المتشوقة لحماية قائدها ومؤسس جمهوريتها وأملها في الحياة الكريمة وبالتالي تلقت الرصاص والقتل جراء إخلاصها له.

هكذا حوصرت بناية وزارة الدفاع وفتحت النار علينا

وهنا بدأ فوج الحماية بالرد على نيران المهاجمين وتجلت بكل فخر روح الشجاعة والإخلاص بكل معانيها، حيث تمكنوا من إعطاب وتدمير البعض منها وقتل أعداد من القوة المهاجمة وتوقف الهجوم الذي كان من المفترض القيام به تنفيذاً لأمر الزعيم ورغبته بالذهاب إلى معسكر الرشيد والذي أحبطه رئيس أركانه اللواء الركن أحمد صالح العبدي بداية ثم أوهمه ثانية أن الدبابات قد تحركت لتنفيذ خطة أمن بغداد بقيادة آمرها الأصلي العقيد الركن خالد مكي الهاشمي كما بينت سابقاً.

الزعيم يترك مقره إلى موقع بديل

قبل حلول الظلام بقليل حضر العميد المرحوم عبد الكريم الجدة إلى مقر الزعيم عبد الكريم قاسم. (كان الرجل متواجداً في موقع آمرية الانضباط العسكري الواقع في مدخل وزارة الدفاع يقود منتسبيه للدفاع من ذلك الموقع.

وهو والحق يقال كان أحد الرجال المخلصين لقائدهم وكان متحمساً للدفاع عنه ومتوافقاً مع أفكاره وكان يضمر العداء لكل مناصريه بادعاء أنهم شيوعيون أو شعوبيون كما كان يصفهم يونس الطائي صاحب جريدة الثورة وغيرها من الجرائد التي سخرها الزعيم للحد من نفوذ الشيوعيين كما كان يدّعي أمام الآخرين ثم انقلبت بعد ذلك لمعاداة كل من يناصره دون أن يعي ذلك.

وأصبحت هذه الصحف الصفراء سلاحاً بيد أعدائه، وقد تمكّن العميد عبد الكريم الجدة من اقناع الزعيم بترك مقره والذهاب معه إلى مقر بديل أكثر أمناً بعد تكرار القصف ومباشرة الدبابات المعادية بفتح النار على المدافعين.

وهكذا تحرك الزعيم عبد الكريم قاسم عند حلول الظلام مستصحباً معه المرحوم المقدم الركن قاسم الجنابي وكل من الشهيدين العميد فاضل عباس المهداوي والعميد الركن طه الشيخ أحمد ولحق بهم رئيس أركان الجيش بعد فترة من الوقت إلى المقر البديل صحبة الشهيد المرحوم عبد الكريم الجدة الذي قاتل حتى النهاية واستشهد دفاعاً عن الزعيم ورفاقه.

أما أنا فقد أُمرت بالبقاء مع الشهيد المرحوم العميد وصفي طاهر في مقر القيادة الأصلي لمتابعة ما يجري أو ما يتوفر من مستجدات على أن يتولى القيام

بنقلها المرحوم المرافق حافظ علوان إلى المقر البديل (وقد فارقنا الرجل بعد برهة قصيرة ولم أشاهده إلا في اليوم التالي) وهكذا بقيت والمرحوم وصفي طاهر وحدنا في المقر كل منا في جهة منه.

رئيس الأركان يتخلى عن سيده

في منتصف الليل تسلل رئيس أركان الجيش المرحوم اللواء الركن أحمد صالح العبدي خارجاً من الجهة الغربية، حيث احترقت القاعة الملاصقة لبناية الوزارة والتي كان يطلق عليها (بهو أمانة العاصمة) وسار بمحاذاة نهر دجلة تاركاً آمره لمصيره (تخلى عن عبد الكريم قاسم الذي أوصله لهذا المنصب).

كذلك فعل آمر فصيل دفاع وواجبات رئاسة أركان الجيش الرائد عبد الستار الجنابي الذي كان يعمل إضافة إلى واجباته كآمر فصيل مرافقاً لرئيس أركان الجيش، حيث لم يحضر وفصيله إلى وزارة الدفاع كما كان يفترض، بل توجه إلى دار الإذاعة لتأييد الانقلابيين بدلاً من الدفاع عن آمره وحمايته.

والأدهى من ذلك، جلس في إحدى الغرف وكتب برقية تأييد للانقلابيين سلمها إلى المقدم عرفان وجدي طالباً منه تسليمها إلى المسؤول عن الإذاعة لإذاعتها، إلا أن الأخير رفض ذلك لعدم ثقته به.

فهل يُعقل أن تترك مرسلات الإذاعة على سبيل المثال دون حراسة أتاحت لعبد الستار وثلاثة ممن رافقه السيطره عليها وإذاعة بياناتهم من هناك؟ ويقال أن جاسم العزاوي كان مخلصاً للزعيم في حين أنه ترك التلفزيون والإذاعة منذ اللحظة الأولى، في الوقت الذي كان يوهم الزعيم عند اتصاله به أنه سيذيع ما يكذب إدعاء الانقلابيين بالقضاء عليه، فكيف تكون الخيانة؟

تناقص أعداد المدافعين وتسرب الغالبية منهم

في جُنح الظلام تسرب الكثير من الجنود وبعض الضباط من قوة الفوج خارج الوزارة، ولم يستمروا بالدفاع، نتيجة للاحباط الذي حصل لهم لعدم ظهور الزعيم عبد الكريم قاسم أمامهم نهاراً وعدم معرفتهم بمصيره ليلاً ولم يبقَ في الموقع إلا عدد قليل، استمر بالدفاع حتى الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم ثم توقف كل شيء، وأطلت الأفاعي برؤوسها، وأولهم العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار الذي تولى مهمة الدلالة للمهاجمين وتسليمنا كأسرى لهم.

وخرجت الأفاعي من جحورها

انقضى الليل وبدأ الظلام ينقشع شيئا فشيئا. كنا ما نزال متحصنين في أرجاء المقر وكان معنا كل من النقيب الشهيد المرحوم نوري ناصر أحد المرافقين البدلاء وكان مخلصاً للزعيم ونائب الضابط الشهيد صادق عمران، وكان أن استشهد العميد وصفي طاهر منذ وقت ومكان ليس ببعيد عنا (رحمه الله).

في الصباح نزلت من الطابق الأول إلى المدخل فلم أجد أحداً، فعدت إلى مكاني في الطابق الأول. من هناك شاهدت كلاً من العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار الذي تبيّن لي بجلاء إنه كان يعمل في الخفاء مع الانقلابيين منذ صباح الجمعة ويتعاون معهم من الساعات الأولى، بل وقد يكون قبل ذلك، حيث تَعمّد الحضور بحجة كونه الضابط الخافر لذلك اليوم دون أن يثير انتباه أحد.

(ويا لسوء التقدير والتدبير من مجموعة مقر الزعيم الذي مكن كل أعدائه من السيطرة على كل مفاصل مديريات وزارة الدفاع وتسهيل الانقضاض عليه بسهولة إلا ماندر من بعض الضباط وضباط الصف المخلصين).

انتهى النزال وسكت السلاح

مكثت فترة في الطابق الأول، كان المكان شبه خالٍ ولم أجد إلا بعض الاشخاص القليلين، ولما لم أتمكن من فعل أي شيء هناك رجعت إلى الطابق الأرضي وتوجهت نحو الساحة وكنت لا أزال أحمل سلاحي كاملاً، وهناك فوجئت بتجمع الضباط؛ كل من العقيد الركن عبدالرحمن عبد الستار والعميد الركن سعدون عوني المدفعي والمرحوم الشهيد نوري ناصر والشهداء كل من الملازم الطيار طارق محمد صالح والملازم الطيار كريم صفر ونائب الضابط قوة جوية صادق عمران إضافة إلى المرحوم الرائد حافظ علوان وكان العقيد عبد الرحمن يتحدث إليهم ولم اسمع ما كان يقوله، وحين اقتربت منهم شاهدني المومأ إليه عندها انتفض وصاح بأعلى صوته:

(أخي أنت تريد تقتلنا وصل المهاجمون وعليك أن تسلم معنا، ألق سلاحك بأي مكان فلم يبقى لدينا شيء نقوم به سوى التسليم).

ولما وجدت الجميع على هذا الحال وليس بمقدوري العمل بمفردي ألقيت سلاحي في إحدى الغرف القريبة والتحقت بهم واجتمعنا سوية ننتظر مصيرنا. لقد ساد الهدوء في هذه الأثناء إلا من بعض الرشقات من السلاح الخفيف هنا وهناك.

ووصلت طلائع الانقلابيين وانكشف المستور

لم تمضِ إلا فترة قصيرة حتى وصل الضابط دخيل علي الهلالي أحد منتسبي اللواء الثامن، كذلك المقدم الركن محمد يوسف آمر أحد أفواج ذلك اللواء، عندها بادرهم العقيد عبد الرحمن دون خجل منا بل قال لهم وبلهجة المنتصر (هاى وين تآخرتوا ليهسة)؟.

كان هؤلاء قد وصلوا من الجهة اليمنى لمقر الوزارة وعن طريق بناية محكمة الشعب الملاصقة لسياج أبنية وزارة الدفاع، بعد أن لم يتمكنوا من احتلالها إلا في تلك الساعة نتيجة بسالة المدافعين عنها. وتعانق المقدم محمد يوسف مع العقيد عبد الرحمن الذي أجهش بالبكاء فرحاً بالانتصار، ثم تبين لنا أن عبد الرحمن هذا هو الذي أوعز لهم بالتسلل عن هذا الطريق ونبههم عليه بعد أن تعذر عليهم الدخول من البوابة الرئيسية للسياج الأمامي للوزارة.

وهكذا وقعنا في الأسر

حين تفرس محمد يوسف بوجوه الضباط ووجدني بينهم طلب من أحد الضباط الملازمين المرافقين له بتفتيشي دون البقية، بعد أن تم اقتيادي إلى مكان غير بعيد عن مجموعة الضباط الذين ذكرتهم، ومن ثم أمرهم بنقلي إلى مكان قريب منه كي ينظر في أمري بعد أن سألني بحدة وبلهجة مستغربة (شجابك هينة؟).

نُقلت وحدي بسيارة جيب كانت بإمرة الرائد كريم محمود الذي كان يوماً صديقاً لي، حيث سكنّا غرفة واحدة في الديوانية لفترة غير قصيرة ومعه ضابط آخر أعرفه ولا أتذكر اسمه، توجها بي إلى موقع بغداد في الثكنة الشمالية غير البعيدة عن بناية وزارة الدفاع وهناك التقاني العقيد الركن منعم المصرف الذي كان يقوم بالإشراف على الموقع متعاوناً مع الانقلابيين أيضاً، وكان معه مجموعة من الضباط لهذا الغرض، وبقيت هناك قيد الاعتقال، ولم تمضِ إلا نصف ساعة حتى وصل بقية الذين تم أسرهم من مجموعة الضباط الذين كانوا معي في الساحة في ما عدا العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار والعميد الركن سعدون عوني اللذين لم يتعرض لهما أحد للسبب الذي أسلفت، وأودعنا جميعاً رهن الاعتقال في موقع بغداد.

النقل إلى سرية الخيالة

بعد مرور بعض الوقت، وبعد أن تم تأمين فصيل حضيرتي حراسة نقلت مع كل من الشهداء المرحومين (أسرى وزارة الدفاع) النقيب نوري ناصر والملازمين الطيارين طارق محمد صالح وكريم صفر ونائب الضابط قوة جوية صادق عمران (الأخ غير الشقيق لأولاد الشهيد العميد فاضل عباس المهداوي) إضافة إلى المرحوم الرائد حافظ علوان حيث أودعنا التوقيف هناك.

كانت أبنية سرية الخيالة تقع في منطقة الكسرة جوار معهد الفنون الجميلة القديم وأمام أبنية البلاط الملكي (التي أزيلت في ما بعد وأُنشئت على أرضه أبنية نادي الضباط القادة دون اعتبار لقيمته التاريخية)، كما أزيلت أبنية سرية الخيالة وشيد على أرضها أبنية تتبع وزارة الدفاع، حيث مكاتب مديرية التعبئة والإحصاء وغيرها من الدوائر التابعة لها.

وبسبب معرفتي السابقة بآمر السرية المقدم شهاب ولتعاطفه معنا فقد أودعنا نحن الستة في غرفة واحدة، معتقدين أننا سنمكث هناك لفترة قد تطول أو تقصر، وفقا لما سيتخذ بحقنا من أجراءات من قبل الحكومة الجديدة شأننا شأن بقية من أوقف هناك.

وقد توفر لنا خلال وجودنا هناك البعض من الوقت لخلع قسم مما كنا نرتديه خلال ما يزيد على الثلاثين ساعة التي مضت، كما سارع الأخ المقدم شهاب الذي اتسم موقفه معنا بمنتهى النبل وسمو الخلق إلى الاتصال بذوينا بعد أن عاد إلينا مستفسراً عن عنوان سكن كل منا حيث اتصل بأهالينا مشكوراً طالباً منهم

بعض الملابس الضرورية لاستخدامها في الموقف معتقداً أننا سنمكث موقوفين لديه، حيث لم نكن نملك سوى ملابسنا العسكرية.

وبالفعل تم ذلك، ولكن بعد فوات الأوان، ولم يكن أي منا يعلم أو يعتقد أنه سينقل إلى جهة أخرى قبل أن تصل إلينا ملابسنا الضرورية حيث توزعت في ما بعد بين الموقوفين هناك.

وقد علمت في ما بعد أن الملابس التي تخصني قد وقعت بيد السيد يونس الطائي صاحب جريدة الثورة المعروفة بتهجمها على المحكمة ومنتسبيها في حينه، والذي لم يتورع عن استخدامها لصالحه حيث أخذ يتبختر بالروب العائد لي وكان يصرح بذلك دون خجل من بقية الموقوفين الذين يتعاطفون معنا.

وشاءت الظروف سنة ألفين وثلاثة أن ألتقيه في مكتب المهندس طلال ابن أخت الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم حيث كنا مجتمعين للتداول في التحضيرات اللازمة لإقامة الحفل التأبيني لفقيد العراق الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم وكذلك الاحتفال بثورة الرابع عشر من تموز وقد ذكرته بما فعله في ذلك الوقت فاطرق رأسه ولم يجبني.

ونقلنا نحن الستة إلى النادي الجمهوري (النادي الأولمبي سابقاً)

لم يطل مكوثنا في سرية الخيالة، حيث عاد إلينا المقدم شهاب آمر السرية المذكورة وهو يبلغنا، والأسى بادٍ على وجهه وطلب منا التهيؤ للانتقال إلى مكان آخر وتركنا لهذا الغرض، ثم عاد إلينا وأبلغنا بلهجة ملؤها الحزن بأننا سننتقل إلى النادي الجمهوري ولم يفصح لنا عن السبب.

ولم نكن نعلم بداية أن (المجرم الحاقد المقدم محمد يوسف هو الذي أمر بذلك لتنفيذ وعيده بالانتقام تاكيداً لما صرح به في بداية أسرنا) وهكذا وتحت حراسة مشددة نقلنا إلى النادي الجمهوري.

حين وصلنا إلى هناك استقبلنا جمع من الناس كان متجمعاً أمام المدخل حيث أمطرونا بالشتائم والسباب (وكأنهم على علم بنقلنا إليهم)، عندها رفع المرحوم حافظ علوان سدارته من رأسه عاليا وهتف (تحيا العروبة) وأقولها للأمانة والتاريخ:

لقد جوبه هتافه بوابل من السخرية والتهكم الممزوج بالاستنكار، حيث كان جوابهم: (هسةعرفت العروبة؟).

على أية حال تم إيداعنا في الصالة الواقعة في الطابق الأول حيث جلسنا هناك جنباً إلى جنب وجلس قبالتنا ضابطان برتبة ملازم أستفسرا منا إن كنا ما نزال صائمين أم لا، فأجبناهما بالايجاب وكان الوقت قد قارب على موعد الإفطار. بقينا على هذه الحال فترة من الزمن أبلغنا خلالها بواقعة إعدام شهداء الوطن

الزعيم الخالد عبد الكريم قاسم ورفيقيه الشهيدين العميد الركن طه الشيخ أحمد والعميد فاضل عباس المهداوي، كذلك الشهيد الملازم كنعان الحداد، ومن خلال الهمس الذي كان يتبادله هذان الضابطان والذي تسرب إلينا بعضٌ منه تأكد لنا أن الذي أمر بنقلنا إلى النادي هو: (محمد يوسف المجرم السفاح الذي لم ينفعه إجرامه بشيء حيث أودع السجن رقم واحد بعد مرور ما لا يزيد على السنة من ارتكاب هذه الجريمة التي أوعز بتنفيذها بحقنا ونال جزاءه بسبب جرائم أخرى أرتكبها بحق الناس الابرياء).

الشروع بتنفيذ الجريمة

كان الهمس ما زال مستمراً بين هذين الضابطين اللذين ما زالا يجلسان أمامنا، حيث حضر في هذه الأثناء الملازم الطيار أيوب وهبي صبري وأنظم إليهما ولم يطل بهم الهمس والوقت طويلاً، حيث بدا عليهم وكأنهم عازمون على فعل شيء ما.

وبالفعل انتهى ما كانوا يهمسون به وطلبوا منا ترك مقاعدنا والتوجه إلى باب كانت مفتوحة أمام السلم المؤدي إلى الطابق الذي نحن فيه، وهي تفضي إلى سطح صغير خالٍ من أي سياج كان على يسار القاعة الرئيسة وجزءٍ منها.

في تلك اللحظات شعرنا جميعاً بما عزم عليه هؤلاء الأوغاد الذين لم يفصحوا لنا بشيء سوى طلبهم منا التوجه إلى السطح، وتأكد لنا ذلك حين شاهدنا أيوب وهبي يحمل بندقية كلاشنكوف.

كانوا يرومون إعدامنا جميعاً بعد أن يوصلونا إلى السطح المذكور دون محاكمة ودون ذنب سوى الشهوة للقتل التي جُبلوا عليها دون وازع من ضمير.

أهكذا يعامل الأسير يا بن شيتا إن كنت حياً؟ (كانت هذه التسمية تطلق على الملازم أيوب وهبي صبري لسوء خلقه).

وحصل بيننا وبينهم جدال بعد أن طلبنا منهم تبيان السبب من هذا الإجراء غير المبرر وتباطأت حركتنا نحو المكان الذي أشير إليه، إلا إننا وصلنا قريباً من تلك الباب واقتربنا من بعضنا البعض أكثر واحتدم الجدال بيننا وبينهم بعد طلبهم منا خلع السدارة من الرأس لكل منا.

وأُطلقت النار علينا جميعاً

تردد الجميع ولم يقبل أيٌّ منا التحرك نحو السطح ولم ينفع مع الملازم أيوب (ابن شيتا) الكلام الذي بدأ يسمعه من مجموعتنا فلم يطق صبراً وفتح النار علينا جميعاً بعد أن صاح بأعلى صوته (هذولة ميفيد بيهم) بعد أن نحى حافظ علوان جانباً من بيننا، واكتملت الجريمة التي توضحت لي معالمها بعد انتهاء تلك الفعلة الشنيعة، وقبل نقلي مع جثث الشهداء إلى مستشفى الرشيد العسكري وكما سيأتي تفصيله أدناه.

كان من نتيجة ذلك أن سقط جسدا كل من الشهيدين طارق محمد صالح وكريم صفر على السطح المذكور وسقط كل من الشهيدين نوري ناصر وصادق عمران على أرضية الممر المؤدي إلى السطح وبمحاذاة الباب المؤدية إليه وبالقرب مني.

بل كان جسد أحدهما ملاصقاً لجسدي حيث كنت قد أخذت وضع الانبطاح بحركة غريزية ودون حساب أوتفكير مني، ولم أكن أعلم أني كنت قد أصبت أم لا.

وسال الدم من رأسي على الأرضية، فأيقنت أنني ميت لامحالة وتأسفت على هذه النتيجة ورثيت حال والديّ وأخوتي وبقيت ساكناً بلا حراك كما لم أنطق بأي كلمة. أبعد هذا يصُح الكلام؟ ومع من؟ مع جبناء شيمتهم الغدر بالأسير الأعزل أم الموت بشجاعة الجندي في الميدان؟ وبقيت على ما أنا عليه، عندها سمعت أحدهم يقول (هذا بعده ما مات)، وهكذا أُطلقت النار عليّ مرة أخرى

وأنا بذلك الوضع (وضع الامتداد) حيث وجهي على الأرض والدم يسيل من رأسي دون أن أعرف محل مكان الإصابة.

أُصبت في هذه المرة في فخذي الأيمن وفي ظهري حيث أخترق الرصاص ظهري من الجانب الأيمن وخرج من الجانب الأيسر دون أن أشعر سوى بشدة الإصابة وألمها.

في هذه اللحظة بدأ الدم يتدفق من فمي بغزارة نتيجة لذلك إلا أنني لم أتحرك أو أستنجد بأحد حيث بقيت ساكناً تأكيداً لما كنت قد عزمت عليه.

وحدث ما لم يكن بالحسبان

بقيت على هذه الحال لفترة لم أعرف مقدارها، حيث حدثت جلبة كبيرة ولغط يتصاعد وأصوات أقدام سريعة تتابع على السلم حيث صعد الكثير من الأشخاص بعد سماعهم إطلاق النار على ما يبدو ووصلوا إلى المكان الذي سقطنا فيه.

وما تشاؤن إلا أن يشاء الله

تبين لي أن من بين هؤلاء كان الملازم الأول حينها أسامة محمود المهدي الذي تمكن من إبعاد الملازم المجرم (ابن شيتا) وإيقافه عند حده ومنعه من الاستمرار في جريمته بعد أن نفذ الجزء الأكبر منها.

كنت مازلت منبطحاً على وجهي وقد شاهدني على تلك الحال ولم يكن قد تعرف على أحد منا في تلك اللحظة، عندها وبعد أن أجلسني الجنود الذين كانوا بمعيته وأسندوا ظهري على الحائط عرفني في الحال.

كان الرجل أقرب ما يكون صديقاً لي، حيث جمعتنا الكلية العسكرية وبعضاً من معارفنا وتطورت العلاقة بعد تخرجنا.

لقد تصرف معي بمنتهى الشهامة والنبل، حيث أمر أحد جنوده بحراستي ومنع أي أحد من التقرب مني حفاظاً على حياتي، وبدا لي أنه قد سيطر على الموقف وأخرج كافة الضباط الذين كانوا متواجدين قبله وطلب سيارة إسعاف لنقل الموتى والمصابين.

كنت خلالها في مكاني جالساً على الأرض ومتكئاً على الحائط وقدماي ممدودتان إلى الأمام والدم يتدفق من فمي وبدأ النطاق/ الحزام يضيق على بطني ولم أعد أحتمل الألم بسبب إمتلائها بالدم النازف، ولعجزي عن تحريك يدي أذكر أني طلبت من الحارس فك النطاق/ الحزام وقد فعل ذلك دون أن يفتح فمه بكلمة واحدة وبقي يحرسني.

وصلت سيارة الإسعاف

وصلت سيارة الإسعاف بسرعة لقرب المستوصف العسكري آنذاك من النادي الجمهوري، حيث كان يشكل جزءا من أبنية موقع بغداد وأمام أبنية كلية الهندسة القديمة في باب المعظم.

نقلت مع جثث الشهداء إلى مستشفى الرشيد العسكري، وفي الطريق فقدت الوعي بسبب النزيف وشدة الإصابة على ما أعتقد، ولم أشعر بعدها بأي شيء، ولم أعرف كم مضى من الوقت وأنا على تلك الحال.

وحين أفقت وجدت نفسي في جراحية الضباط في المستشفى المذكور.

في غرفة العمليات

حين أفقت وجدت نفسي ممدداً على طاولة في غرفة العمليات، حيث مكثت طويلاً هناك. كان فيها رأسي إلى الأسفل وقدماي إلى الأعلى وحين تعرفت على الوجوه المحيطة بي بملابسهم البيضاء وجدت بقربي الدكتور عبد المجيد حسين وأمامه الدكتور وليد الخيال على ما أتذكر وبسبب معرفتي بالدكتور عبد المجيد حسين كون أخيه النقيب سالم أحد ضباط دورتي وصديقي المقرب، وقد ذكرت الدكتور بذلك على ما أتذكر، وقد أكون قد تفوهت بكلام آخر مع البقية بعد أن بدأ تأثير المخدر والعلاج يسري في عروقي كما يقال.

وأقولها للتأريخ ودون محاباة لأحد، فقد قام الرجل ومن عاونه من الأطباء والممرضين بواجبهم المهني خير قيام وعلى أكمل وجه، ثم نقلت إلى جراحية الضباط دون أن أشعر بذلك حيث أفقت على صوت إحدى الممرضات حماها الله صباح يوم الأحد ووجدت نفسي في الغرفة والممرضة المذكورة تزيل من وجهي بقايا الدماء التي علته من أصابتي الأولى ومما خرج من فمي حين أُطلقت النار علي ثانية (جزاها الله وحماها من أي مكروه) ثم باشرت بإعطائي العلاج الذي أوصى به الأطباء من مضادات حيوية وغيرها، ثم همست بأذني وأبلغتني قائلة أن المسعفين لم يكونوا على علم بوجودك حياً، وقد علموا بذلك خلال عملية إنزال الجثث من السيارة حين وجدوك تتنفس ببطء، فنقلوك بسرعة إلى غرفة العمليات.

وكانت المعجزة

لقد نجوت بمعجزة وبأعجوبة أصبحت مثار إندهاش واستغراب وفرح كثيرين من زملائي وأصدقائي ومعارفي وكل من علم بالعملية الغادرة التي ـذها ذلك الجبان ابن شيتا وكانت إرادة الله فوق إرادة ذلك الحاقد الموتور محمد ـسف المقدم الذي لم يكن يستحق تلك الرتبة، حيث أودع السجن بعد أن كان شدق بانتصار الخيانة على الحق وشاهدته ذليلاً كسيراً في السجن رقم واحد هو يسير بخطى متثاقلة أمام أبنية المجموعه الأولى من السجن المذكوربعد ـين من الزمن، حيث كنت موقوفاً في القضية المعروفة بمجموعة المقدم الركن ـليم الفخري الذي لم يسلم من الأيادي المجرمة وهو في لندن (رحمه الله فقد ـان مثالا للوطنية والشجاعة وسعة العلم والثقافة).

في ردهة جراحية الضباط

نقلت إلى ردهة جراحية الضباط كما بينت، حيث يعالج فيها المرضى من الضباط حسب السياق المتبع في المستشفى المذكور وكانت هذه الردهة مبنية على شكل مستطيل يحتوي على عدة غرف متلاصقة لكل غرفة باب أمامية وخلفية تتيح للمريض الخروج من أي منهما للتنزه في الحديقة المحيطة بالبناية من جميع جوانبها مع شبابيك تطل على الجانبين، كما أن الغرفة مجهزة بسرير واحد وكافة الملحقات التي يحتاجها إضافة إلى الحمام والتواليت وكل ما يؤمن الراحة للمريض الراقد فيها.

في صباح ذلك اليوم عادني الأطباء للأطمئنان على ما قاموا به في اليوم السابق وضمن جولتهم الروتينية وبعثوا في نفسي الطمأنينة والأمل في الشفاء السريع وبعد خروجهم عادت الممرضات وقمن بما يلزم لترتيب وضعي على السرير كوني كنت عاجزاً عن الحركة بسبب شدة الإصابة والضعف الذي حل بي نتيجة فقداني كمية كبيرة من الدم وما حصل خلال اليومين الماضيين.

واستقر بي المقام كما يقال عصر ذلك اليوم وسكن كل شيء حولي وما أن حلّ الليل حتى سمعت جلبة وحركة غير عادية وأصوات خطى سريعة تقترب بسرعة نحو الغرفة ثم فتح بابها.

الدكتور راجي التكريتي يحنث بيمين المهنة الطبية وقواعد السلوك

ما أن فُتحت الباب حتى أطل الدكتور راجي ودخل مسرعاً ومعه مجموعة من الأطباء وهم مسلحون بمسدساتهم على غير عادة الأطباء، ومعه بعض الإداريين على ما أعتقد. وما أن شاهدني حتى صاح بانفعال واستغراب موجهاً كلامه إلى من كان معه وقال بالحرف الواحد (لك هذا غازي، هذا شجابه هنا؟ ثم أضاف: هذا خطر، لازم يصير تحقيق وياه فوراً لأن يجوز يهرب).

ثم بدأ بتفتيش جيوب ملابسي واستولى على هويتي وإجازة السوق التي كنت أحملها مع بقية الأوراق الصغيرة، كذلك كانت لدي سبعة دنانير ونصف تفحصها وأعادها اليَّ إلا أنه احتفظ بكل ما كان بحوزتي من إجازة السوق والهوية العسكرية وأخذها معه. (للأمانة فقد أعيد لي ما أخذه مني بعد انقضاء مدة سجني حيث أعيدت إليَّ عن طريق الانضباط العسكري).

ثم أمر أحد الموجودين معه باحضار أحد النجارين لغلق الباب الثانية للغرفة والتي تطل على الجانب الآخر منها والإبقاء على باب الدخول فقط. وكذلك أمر باحضار حضيرة حراسة لمنع هروبي، عندها قلت له (أنا عاجز عن الحركة فكيف لي أن أهرب؟).

أعتقد أنه كان يخشى من مساعدة أحد الموالين لنا على الهرب، لعدم ثقته بولاء الجميع لهم، ثم تركني على هذا الحال بعد أن تم له تنفيذ كل ما أمر به، ولكنه عاد في اليوم الثاني.

ونجوت من أحد المتطفلين

لقد كان لوجود الحرس أثر كبير في حمايتي من أتباع الانقلابيين ومن المتملقين منتهزي الفرص، فلم تمضِ إلا فترة وجيزة على تواجدهم، وما أن غادر الدكتور راجي المكان حتى سمعت أحدهم وهو يصرخ بأعلى صوته (هذا وينه وينه خلي نقتلة) واقترب من الغرفة التي كنت راقداً فيها الا أن الحرس منعوه ولم يتمكن من الدخول عليّ.

وهكذا ساعد وجودهم على حمايتي من تطفل واعتداء الآخرين من أتباع الانقلابيين الموجودين في المستشفى، ولقد تبين لي في ما بعد أن ذلك الشخص كان أحد الضباط الجرحى من الانقلابيين الذين أصيبوا في معركة وزارة الدفاع وأدخل لمعالجته في نفس الردهة، وهكذا نجوت مرة أخرى.

ومتطفل آخر

في صباح اليوم التالي دخل عليَّ الملازم الأول زكريا جاسم السامرائي وهو يحمل غدارة بيده، وكان قد أقنع الحرس الموجودين أنه صديق لي ويروم الاطمئنان على صحتي (كان هذا الضابط آمر فصيل النقلية في الفوج الأول الذي كنت أعمل فيه نائباً للمساعد وقائماً بواجب المساعد من الناحية العملية قبل ثورة تموز، وبعدها ولحين انفكاكي من ذلك الفوج منقولاً إلى اللواء الأول، وكنت قد أشرت إليه في معرض الكتابة عن اليوم الأول فيها).

بدأ المذكور بالتلفظ بكلام جارح وغير لائق ثم أردف يقول (بإمكاني الآن قتلك)، أجبته (هذا صحيح وما عليك إلا التنفيذ) ثم أردفتُ متسائلاً (أهذا جزائي زكريا؟ ألا تذكر كيف قيمت موقفك في يوم الرابع عشر من تموز حين أبلغت آمرنا العقيد نوري الراوي بأمرك عند اتصاله بي وغيرت نظرته فيك؟ أما كنت أطلب منك أن تكون وتبقى عند حسن الظن لنبقى متعاونين معاً في حينه كما فعلت في ذلك اليوم؟ ومع ذلك لك ما تشاء).

أجابني وأقولها للأمانة والتاريخ (أنت في موقف ضعيف الآن. ستحاسب بعدين لأني كنت أخاف منك وأخشاك).

علاقتي مع حضيرة الحراسة

كانت إرادة الله فوق كل إرادة، فقد حمتني من كل من أراد بي شراً وخاب فئل الحاقدين. فقد تصادف أن يتجمع أفراد تلك الحضيرة من عشيرة واحدة ومن بلدة واحدة وكانت تلك عشيرتي التي أتشرف وأعتز بانتمائي إليها، فهي أصلي ومنبتي.

لم أكن قد شاهدت أحداً منهم في البداية، ولكني عرفتهم من اللهجة حين بدؤوا بالحديث في ما بينهم، وبعد أن سمعت اسم أحدهم (اسماعيل) عندها ناديت عليه وسألته ودار بيننا الحديث التالي (اسماعيل؟ أنت جُبوري؟) أجابني (نعم سيدي)، فقلت له (آني عمك جُبوري. هل أنت من الخرجة؟) فقال وقد تفتحت أساريره (نعم)، «الخرجة هي ناحية العلم».

أسترسلت معه في الكلام وقلت له (هل تعرف علي صالح العيسى؟ وكذلك خليل ملا كوان؟) قال (نعم ذولة عمامنة) وزاد فرحه حين تأكد له كوني «جبوري» من عمامه كما يقال، وكما هو متعارف بيننا (لأننا أولاد عمومة والكبير عم الصغير).

عندها قال لي (عمي شتآمر آني حاضر)، قلت له (عليك حمايتي من هؤلاء وعدم السماح بدخول أي أحد علي من غير الأطباء) بعد الذي حدث وبعد أن بينت له ما حصل من زكريا ومن الذي سبقه.

خرج من عندي فرحاً ونادى على بقية أفراد الحضيرة الذين تبين أنهم من عشيرتنا كما أسلفت، وأذكر منهم محمد اليوسف الذي استمرت علاقته بنا

ولا أنسى مواقفه مع والدي ومعي حيث أدى الواجب وزيادة، كذلك اسماعيل وبقية أفراد الحضيرة ومن زارني من منتسبي المستشفى من أبناء عمومتي، ولم أعد أخشى من الاغتيال وأنا على فراشي في المستشفى كما كان قد هددني به زكريا الذي أعتقد أن سبب تردده عن فعلته هو وجود أفراد الحضيرة وخشيته من التعرف عليه والشهادة ضده إذا ما نفذ تهديده والله يعلم بالسرائر.

في منتصف الليل حضرت إحدى الممرضات وأعطتني العلاج الموصى به وحقن المضادات الحيوية ومسحت على رأسي وطبعت عليه قبلة حنونة وقالت (يحفظك الله) وخرجت بعد أن دست تحت مخدتي ميدالية نحاسية نقش على أحد وجهيها اسم الجلالة وآية الكرسي في وجهها الثاني. كانت ملاكاً لا أنسى موقفها هذا ما حييت، بعدها نمت نوماً عميقاً ولم أستيقظ إلا في الصباح.

وعاد الدكتور راجي ثانية

ما أن مضت الفترة الصباحية وبعد انتهاء الأطباء من جولتهم حتى طرق سمعي صوت الد كتور راجي الذي كان قريباً من باب الغرفة وهو يصيح (أسرع) ويكرر ذلك الصوت الكريه مرات ومرات، بعدها اقترب من كان ينادي عليهم ووصل الجميع ومعهم نقالة بعجلات إلى باب الغرفة ودخل راجي التكريتي.

لم يكن طبيباً أبداً، كان رجل عصابة يزهو بكونه كذلك، حيث بدا لي إنه لم يكتفِ بما قام به في الليلة التي سبقت هذا اليوم إذ وقف بجانب السرير وهو يأمر المضمدين وبصيغة التشفي (شيلوه على النقالة) وما أن وضعت على النقالة حتى أحاطت بها ثلة من الجنود المدججة بالسلاح وأمر الجميع بالتحرك إلى سجن المستشفى وهو يردد:

(هذا خطر يجوز يهرب لازم نحقق وياه بسرعة)، ردد هذا الكلام على طول الطريق بين ردهة جراحية الضباط وردهة السجن. كان كمن انتصر في إحدى المعارك الكبرى التي تحدث بين العصابات، إلا أنه كان يبدو كأي جبان رعديد، حيث لم يكن بحاجة إلى هذا الكم من الحرس المدجج بالسلاح داخل المستشفى بعد أن اكتملت لهم السيطرة على الموقف، إضافة إلى معرفته التامة بعجزي عن الحركة فكيف لي أن أهرب؟ إنها عقدة الحقد وشهوة الانتقام والظهور بمظهر الحريص والمدافع عما تحقق لهم عن طريق الغدر والخيانة، قابله من الجانب الآخر أناس بسطاء يحملون قلوباً بيضاء نقية سيرد ذكرهم والكتابة عنهم لاحقاً.

بناية ردهة السجن

كانت البناية تسمى ردهة السجن وفق المصطلح والسياق الطبي، ولكنها لم تكن كذلك في حقيقة الأمر. كانت بناية سجن صغير بُنيت منذ تأسيس المستشفى وتتألف من أربعة جدران وباب حديدي كأبواب السجون الأخرى، مساحتها لا تتجاوز الثمانية والاربعين متراً في أحسن الأحوال، أرضيتها مبلطة بالكونكريت ويداخلها مرافق صحية قديمة شبيهة بالمرافق الموجودة في الدور القديمة تنبعث منها الروائح الكريهة التي تملأ البناية.

أرضيتها قذرة جداً لايكاد يظهر منها سوى بقع قليلة من الكونكريت والباقي مكسو بالقاذورات. كذلك الحال بالنسبة للتجهيزات التي تحتويها، بطانيات ممزقة وسريرين أو ثلاثة بمراتب يطغى على ألوانها السواد من كثرة ما علق بها من قاذورات، وقد تركت الأفرشة الأخرى على الأرض وهي بالكاد يمكن للمشاهد تمييزها عن الأرضية حيث ترتفع قليلاً عنها.

لقد أودع في هذا المكان القذر والذي سمي «ردهة» تجاوزاً بعض الجنود الهاربين أو مرتكبي الجرائم وأغلبهم مصاب أما بمرض تناسلي أو معدي كالأمراض الجلدية إضافة إلى الأمراض العقلية لقسم منهم، وغير ذلك من الأمراض والتي أدى سوء حظهم إلى إيداعهم في هذا المكان.

ونقلت إلى ردهة السجن من جراحية الضباط

حين أوصلني قائد الركب الهمام المنتصرعلى الأسير الجريح، إلى المكان الذي قصده، توقف قليلاً ونادى على مسؤول الردهة الذي تبين لي أنه عريف مضمد، حضر الرجل وكانـت تبدو على وجهه علامات الاستغراب والتعجب من كثرة أفراد الحرس المصاحب للدكتور راجي وغيره من المضمدين المحيطين بالجسد الممدد على النقالة.

طلب منه الدكتور فتح الباب وإيداعي لديه كسجين بعد أن أعلمه بحالي وكوني أحد الضباط والرتبة التي أحملها وخطورتي على نظامه الجديد.

أستغرب الرجل ولم يتمالك أعصابه وقبل أن يفتح الباب المقفل قال للدكتور (سيدي هاي ردهة سجن للجنود الهاربين وغيرهم وليست للضباط)، نهره وقال له (هذا ميخصك! أدخله)، واعتقد انه شعر بالانتصار الذي يتملك أي جبان يحمل مسدساً يدعي أنه يمارس مهنة الطب النبيلة. وهكذا تم نقلي وبهذه الطريقة إلى تلك الردهة.

الخلق والإنسانية داخل الردهة

لم أكن اتصور أن أجد ما وجدته من الرعاية والتعاطف والحس الإنساني في هذا المكان. أناس بسطاء كان أي منهم أشرف وأنبل من الدكتور راجي، فقد أحاطني الجميع وتسابقوا في رعايتي ومساعدتي. لقد كنت أرى في عيونهم مقدار الأسى والضرر الذي عانوه في هذا المكان ومع ذلك فقد كانت مشاعر الود والتعاطف تجاهي لايمكن وصفها.

فلم أسمع منهم سوى عبارات الحب والمودة ومظاهر الاحترام للرتبة والمكان الذي كنت أعمل فيه، كذلك الاستعداد لتلبية كافة احتياجاتي ومتطلبات أقامتي بينهم. وحين تمكن العريف من جلب سرير منام لي حاول أن يكون مناسباً لوضعي الصحي، وبعد أن أرقدني عليه أحاط بي هؤلاء المساجين (المساكين) وكل منهم يريد أن يلبي لي أي طلب أطلبه أو يقدم مساعدة يستطيعها.

كانوا يجلسون على الأرض ويحيطون بسريري من كل جانب، كان موقفاً لا يسع الفرد وصفه أبداً.

لقد ساهم هؤلاء في تخفيف معاناتي من الإصابة ومن التعامل السيِّئ الذي لقيته من شخص الدكتور (الذي أخذ يصف نفسه بالحكيم بعدما اعتقد أن الدنيا زهت له، ولم يكن يشعر أنه ناقص الحكمة، بل ولا ذرة منها وانتهى إلى ما انتهى إليه: اللهم لا شماتة).

موقف العريف المضمد الإنسان

ما أن غادرالدكتور راجي والمجموعة التي رافقته المكان حتى صاح العريف المضمد مسؤول الردهة وبصوت سمعه الجميع (الله أكبر، يدخلون ضابط نقيب بهاي الردهة وعبد الكريم قاسم يدخل مفوض شرطة بجراحية الضباط؟ وأردف: الله ينتقم منك يا راجي)، ثم غادر المكان إلى جهة أجهلها وعاد الرجل بعد قليل وهو يحمل لفائف كثيرة لم أتبينها في البداية، وأذا بها لفائف ضماد كبيرة وعريضة تستعمل كضماد في الأصل وكذلك مثلها من لفات القطن، فتحها وأخذ يغطي بها الفراش القذر، كما عمل بكل جهد أن يجعل مكاني مريحاً ونظيفاً، حيث خرج ثانية وعاد يحمل مجموعة من الشراشف غطى بها الفراش ووضع البعض منها تحت البطانيات التي لاتقل قذارة عن الفراش،ولا أدري كيف حصل عليها ومن ساعده في مسعاه هذا.

لقد كان إنساناً شريفاً نبيلاً، ساعدني بشكل لا يوصف معرضاً نفسه للمساءلة والخطر، وقد تمكن من ذلك على ما أعتقد، كون أغلب المنتسبين للمستشفى وحتى المساجين وغيرهم على الضد مما قام به الانقلابيون في الثامن من شباط الأسود وما تلاه من أيام سوداء أتسمت بالغدر الجبان والوحشية.

كذلك كان آمر حضيرة حراسة السجن

كان هذا الرجل أحد منتسبي الفصيل الأول للفوج الأول للواء الرابع عشر، قد كنت قد عُينت آمراً لهذا الفصيل في بداية تخرجي من الكلية العسكرية بسبب علاقتي الجيدة به أسوة ببقية أفراد الفصيل الذين تمكنت خلال فترة جودي معهم من تكوين فريق متجانس يعمل كعائلة واحدة، كنت لهم آمراً أخاً وبشعور متبادل من الجميع عملنا سوية وبنجاح وتفرد خلال المناورات التمارين طيلة تلك الفترة التي جلبت لهم الاحترام من الجميع. كان فصيل طليعة في كل شيء.

لم أكن أعلم في بداية الأمر بوجوده في هذا المكان، حيث كان يفترض ن يكون موجوداً ضمن قطعات اللواء العشرين حين تم تشكيله من الفصائل لأولى من كل فوج من أفواج الجيش قبل الثورة بقليل، ولم أكن أتوقع أن تتتابع لأحداث بهذا الشكل الغريب وأن يكون النائب عريف هادي آمر إحدى حضائر لفصيل الأول الذي سبق ذكره آمراً لحضيرة حراسة السجن الذي وضعني فيه الطبيب الحكيم راجي) ولا الكيفية التي وصل بها إلى هنا.

دخل عليّ ليلاً وبعد أن قبلني من رأسي والدموع تنهمر من عينيه قال لي سيدي اني فداك، والحضيرة فداك، كلنا فداك، أحنه فصيلك وأنا بامكاني تهريبك لان) ثم أردف (تكدر تمشي؟)، ولما كنت ما أزال غير قادر على الحركة ولسوء لطالع، أجبته بالنفي على أن نقوم بذلك حالما أتمكن من الحركة ولو قليلاً. عندها قال لي (الله كريم سيدي، آني موجود هنا وشوكت تكدر آني حاضر).

وأخذ الرجل يعودني لليلتين التاليتين بعد تلك الزيارة غير المتوقعة، ولو تأخرت بعدها ليومين لكنت قد تمكنت من الهرب (رغماً عما خطط له الحكيم راجي ورددت له كيده غير أن الوقت لم يسعفنا بذلك) أذ لم تكد تمر ثلاثة أيام على مكوثي في المكان وأنا محاط بهؤلاء المساجين البسطاء الذين غمروني برعايتهم ومساعدتهم حيث كانوا يساعدونني في كل ما كنت بحاجة إليه بكل ود وبطيبة خاطر، حتى تبدل الحال بفعل بعض الأطباء أمثال الدكتور إياه والذين كان يفترض فيهم ان يتحلوا بكل معاني الإنسانية، وإلا لماذا انخرطوا في هذه المهنة وحملوا ذلك العنوان؟ وسنرى كيف تصرف هؤلاء.

أطباء لطخوا شرف المهنة

في اليوم السادس من إصابتي وبالتحديد في صباح يوم الخميس، الرابع عشر من شباط الأسود، حضر كل من الدكتور خير الدين الناصري (طبيب عيون) ومعه طبيبان آخران لا أعرف اسميهما. وكان خيري يقلد صاحبه راجي، أذ حمل هو الآخر مسدساً في نطاقه يتجول به بين المرضى مخالفاً بذلك آداب وأصول المهنة، بالرغم من عدم حاجته له، سيما وأنه لم يكن في ساحة حرب.

أحاط الثلاثة بسريري وبدا وكأنهم يتفرجون علي ويتحاورون في ما بينهم، ثم بادرني الدكتور خيري بالسؤال عن صحتي وتمكن من إيهامي أنه مهتم بحالي وبصحتي، وانطلت عليَّ الخدعة، حيث أبلغته أنني بالإضافة إلى الجروح المصاب بها أعاني من ألم في عيوني وأني بحاجة إلى قطرة أو أي علاج يساعد على تخفيفه، رد علي أنه سيرسل ذلك العلاج وأوهمني أنه قد دون ذلك في طبلة المريض كما هي العادة في المستشفيات ثم خرج ومن معه، وتبين فيما بعد أنه قرر ومن بمعيته آخراجي من المكان الذي كان على كل ما فيه من مساوئ يوفر لي العلاج اللازم، الا أنه أوصى بتحويلي إلى معتقل سرية الهندسة في معسكر الرشيد وكما سيأتي بيانه.

ونقلت إلى سرية الهندسة

بعد أن خرج الدكتور خير الدين ومن معه من الأطباء ولم تمض إلا فترة قصيرة كنت فيها أنتظر وصول الدواء الذي وعدت به، حتى عاد بعدها أحد منتسبي المستشفى ولم يكن يحمل أي دواء، بل طلب من العريف المسؤول عن الردهة اخراجي منها، وأبلغه أنه قد تقرر نقلي إلى معتقل سرية الهندسة. استغرب العريف المسؤول من هذا التصرف غير الإنساني وقال للمنتسب المذكور (يمعود هذا بعده ينزف شلون راح يطلع؟)، أجابه ذلك المنتسب (الأمر يتعلق باللجنة التي شاهدتها قبل قليل وما علي إلا التنفيذ).

وهكذا تبين لي أنهم لم يكونوا راغبين بمعالجتي وإنما القضاء عليَّ عن طريق إيداعي في معتقل الهندسة.

عملية النقل وتصرف المتملقين ومنتهزي الفرص

حملت على نقالة ميدان وأخرجت من سجن المستشفى حيث كانت سيارة إسعاف عسكرية وثلة من الجنود يقارب عددها الفصيل وهم مدججون بالسلاح أحاطت بي من كل جانب، وتوقف حاملو النقالة خلف الباب الخلفي للسيارة ريثما يتم فتحها وحملي إلى داخلها.

وهنا وفي هذا الموقف حضر أحد نكرات الضباط الذين لا وزن لهم وكان يعمل بعنوان ضابط إعاشة المستشفى وهو النقيب محمد علي أغوان على ما أذكر اسمه: كان قبل نقله يعمل بمنصب ضابط إعاشة سرية حراسة موقع المسيب، حينها كنت أشغل منصب ضابط استخبارات اللواء الأول في المسيب في بداية الثورة ولغاية منتصف السنة الثانية منها.

ولم أكن قد تعرفت على الرجل ولم أشاهد وجهه أصلا حيث لم يكن له أي وزن كما لم يكن يتصف بسمعة غير عادية ولم يسجل عليه أي تحرك أو نشاط سياسي. وكان برتبة نقيب لا تتناسب مع عمره الوظيفي ولم يتجاوزها حتى بعد أن شاهدته في تلك الساعة رغم مرور الفترة المقررة للترقية وتجاوزه لها.

كان هذا الضابط على ما بدا لي قد قرر أن يجد له مكاناً بين أقرانه من الضباط الانقلابيين (فالطيور على أشكالها) وقد أتاح له الموقف الذي وجدني فيه فرصة ثمينة عليه انتهازها بأي صورة، حتى وإن كانت منافية للخلق وشرف المهنة «وهذا ديدن الانتهازيين»، فقد حاول أن يكون بطلاً أمام هذا الجمع من الجنود وأن يوصل رسالة أنه كان مضطهداً بعد حصول تمرد الشواف وما تلاه من أحداث

لم يكن له فيها أي ذكر أو أشارة شأنه شأن الكثير ممّن كان يدعي البطولات «وما أكثرهم في ذلك الوقت».

بادرني بالسلام عليَّ أمام الحاضرين وبصوت عالٍ وقال لي (شلونك؟ تحتاج شي؟ آني حاضر) كلام جميل لاغبار عليه، وبعد أن أجبته بالنفي وشكرته، وهنا تجلت الانتهازية والمكر واتهامي بالباطل، حيث التفت إلى الجنود مخاطباً جمعهم (شوفو أحنة شلون نعامل ذولة بانسانية؟)، ثم أردف (هذا حط المسدس براسي وجابني من المسيب إلى بغداد بعد ثورة الشواف)، «ليتني فعلت هذا بهذا التافه».

عندها أجبته متسائلاً وبصوت عالٍ كما فعل كي يسمع الجميع (أنت تريد تصير بطل براسي؟ هذا يا يوم آني جبتك لبغداد؟ انت بالعير بالنفير؟). كانت معنوياتي عالية جداً، وللأمانة أقولها، كان سبب ذلك اعتقادي الذي تكون لدي من خلال تعامل راجي ومن لف لفه أني ميت لا محالة. وعليه فلأموت بشرف ورأسي مرفوع تجاه هذا القزم وأمثاله من الانقلابيين ناكري الجميل. ضحك الجميع وغادرني ذلك التافه أو بالأحرى تم إدخالي إلى السيارة وتحركت بي تحت الحراسة صوب معتقل سرية الهندسة الواقع في معسكر الرشيد.

ووصلت السيارة إلى معتقل الهندسة ولكن

حينما وصلت السيارة إلى سرية الهندسة وبعد اخراجي من السيارة محمولاً على النقالة، تم إبلاغ الضابط المسؤول عن المعتقل بغية إدخالي فيه وتأكيد استلامي من قبله، إلا أن هذا الضابط رفض ذلك بعد أن شاهد حالتي وقال لهم (كيف أضعه بين المعتقلين وهو بهذه الحال والمعتقل مزدحم جداً؟ أنه مشرف على الموت ولا أتحمل مسؤولية استلامه).

وربّ ضارة نافعة

كان هذا الضابط هو النقيب إبراهيم إسماعيل وأحد خريجي دورتي في الكلية العسكرية وكانت علاقتنا جيدة حتى بعد التخرج، على الرغم من لقاءاتنا القليلة ببعض والتي كانت على فترات متباعدة ونادرة بسبب اختلاف صنفينا وتوزعنا على مختلف وحدات الجيش وطبيعة الخدمة فيه، إلا أنه لم يحدثني بداية، وبدا وكأنه لا يعرفني ولم يشاهدني من قبل. ثم حاول أن يبرر رفضه استلامي، كوني أحد الثوار، حيث قال لي وبصوت عالٍ بعد أن اقترب مني (عمك المهداوي يهتف يحيا الشعب وهو يعدم، خلي الشعب يفيده) ولم يكن يعلم أنه قد شفاني من جراحي ورفع من معنوياتي عالياً وزادني فخراً، كوني كنت أعمل مع أشجع الرجال وأصلبهم عوداً وأكثرهم وطنيةً ونبلاً وشهامة.

وكانت وما زالت شهادة أعتز بها ويعتز بها كل مواطن شريف محب لوطنه وقد تصادف أن التقاني النقيب إبراهيم بعد حوالي عقدين من الزمان وكان مزهوا بما قام بعمله حينذاك وبرفضه إدخالي المعتقل معتقداً أنه أنقذ حياتي.

على أية حال، فأنا مدين إليه بما فعله وبما أخبرني به عن شهداء الوطن الغالين سواء كان حسن النية بتصرفه أم كان يبتغي حماية نفسه، الأمور بخواتيمها.

العودة إلى ردهة سجن المستشفى

أضطر المأمور بسبب عدم قبول استلامي في سرية الهندسة للعودة بي ثانية إلى المستشفى بغرض إعادتي إلى ردهة السجن، وهكذا عادت بي سيارة الإسعاف ثانية إلى المستشفى محمولاً على النقالة كما ذهبت بي، لعدم قدرتي على الوقوف بسبب إصاباتي، وقد عانيت الكثير من الألم نتيجة أنزالي من السيارة وإعادتي اليها مرتين وما صاحب ذلك من عدم استقرار وضعي على النقالة.

وصلت السيارة إلى باب ردهة السجن وسط استغراب الجميع، ثم فتح الباب وحُملت بالنقالة إلى داخل الردهة وأعاد العريف الكرة حيث هيأ لي الفراش مجدداً ومكثت ثلاثة أيام في الردهة، ضابطاً جريحا في المستشفى غير مسجل في سجلاتها.

نتيجة إخراجي من قبل اللجنة إياها، فقد تم تأشير ذلك في سجل المستشفى وبالتالي فقد كانت إعادتي إليها مساء الخميس بعد الدوام ودون تأشير ذلك في السجل، يعني أني غير موجود لديها، أي أني لا أستحق أرزاق أو أدوية أو أي شيء، فلم أكن محسوباً على أية جهة سوى نبل ذلك العريف الذي استمر بمعالجتي وإدامة تزويدي بالأدوية وقيام المساكين من السجناء المودعين في الردهة برعايتي وتأمين حاجاتي الأخرى.

النقل إلى السجن العسكري الرقم واحد

بعد مرور ثلاثة أيام على وجودي في ردهة السجن أعيدت الكرة، حيث أحضرت سيارة إسعاف عسكرية مع ثلة كبيرة من الجنود المدججين بالسلاح وحملت بالنقالة إلى داخل تلك السيارة وتوجهت بي إلى حيث لم أكن أعلم حتى وصلت بي إلى السجن العسكري الرقم واحد.

وما زال منظر مجموعة الحرس والعدد الكبير من الجنود المدججين بالسلاح الذين أحاطوا بسيارة الإسعاف بغرض نقلي إلى داخل السيارة ماثلاً أمامي، ولن أنسى ما حييت تلك الصورة، فقد كان العدد كبيراً لايستحق ذلك، كوني لم أكن قادراً على الحركة ولو كنت كذلك لكان بإمكاني الهرب بمساعدة الشهم نائب العريف هادي الذي لم يسعفه الوقت لتوديعي في ذلك اليوم وفقاً عيون راجي قبل أن يجهد نفسه بتجميع الحرس الذي جمعه.

ولا أدري كم كان راجي التكريتي سيدفع من الحرس ويخصصهم لنقلي لو كنت بصحة جيدة (إنه عدم الثقة بالنفس وسوء الخلق).

الحياة في السجن العسكري الرقم واحد

وصلت بي السيارة إلى السجن العسكري الرقم واحد وهناك حملت بالنقالة إلى إحدى الغرف بأمر من آمره الرائد حازم الأحمر الذي كان يقف أمام الباب الخلفي لسيارة الإسعاف مشرفاً على إنزالي منها، ثم رافقني محمولاً على النقالة إلى المجموعة الأولى من السجن. وحين وصل إلى باب إحدى الغرف أمر بفتحها وإدخالي فيها وأنا مازلت على النقالة. وهناك وبسبب امتلاء الغرفة بالموقوفين وعدم تمكن حاملي النقالة من الحركة بينهم، فقد تم التخلص مني باسقاطي على الموقوفين حيث أمالوها فوقعت وتلقفتني أياديهم وبالكاد تمكنوا من تجنب إيذائي.

لقدأصاب الموقوفين الذهول من هذا التصرف الذي تم بسرعة ودون أي شعور بآدمية الإنسان ودون رحمة أو شفقة، وإنما بمنتهى الغل والانتقام، وتم إغلاق الغرفة بنفس السرعة التي فتحت فيها.

وبعد أن أفاق الجميع من الصدمة والذهول الذي أصابهم من هذا الفعل، أسرعوا بتهيئة مكان لي بينهم على الرغم من ذلك الإزدحام الشديد، حيث كان تعدادهم يزيد على الأربعين بين ضابط وطبيب عسكري ونواب ضباط مضمدين.

(لقد كان وجود الأطباء والمضمدين بين الموقوفين في الغرفة يمثل مستشفى صغيراً حللت فيه، أذ تولى هؤلاء مداواتي والإشراف على علاجي بما كان يتوفر لهم من أدوية يرسلها طبيب السجن بواسطة الجندي المضمد الذي كان بإمرته وعن طريق الفتحة الصغيرة التي كانت بمثابة شباك الغرفة بسبب منع الطبيب من قبل إدارة السجن من الدخول إلى غرف المعتقلين ومعالجتهم فيها).

وبعد أن استقر بي المقام في المكان الذي انتهوا من تهيئته في إحدى زوايا الغرفة (يسع أكثر من شخص بالقياس لما كان يتوفر لأي منهم من مساحة فيها)، وما أن انقضى بعض الوقت حتى تعرفت على أغلبهم، أذكر منهم المقدم الدكتور فؤاد والملازم فاضل الواسطي والملازم عبد الإله، كذلك الملازمين علي الحداد وقاسم الشبلي والمعاون الطبي صلاح والمضمد نوري والكثير من الشباب الخيرين الذين زج بهم الانقلابيون على الشبهة والشك وأتخموا السجون بهم وباشروا بتعذيبهم فرادى وجماعات دون جريرة سوى حبهم واخلاصهم لوطنهم.

كانت الغرفة قبل الانقلاب الأسود مخصصة للموقوفين من المناوئين للحكم، وكانوا يعاملون معاملة جيدة من قبل القائمين على السجن في عهد الشهيد المرحوم عبد الكريم قاسم لذلك توفرت فيها الأفرشة (دوشك) التي تركوها بعد الانقلاب، لهذا حصلت على موقع وفراش جيد بالنسبة للموقوفين، وكانت تضحيتهم وإنكارهم لذاتهم تفوق الوصف لوعلمنا أنهم كانوا يتناوبون على النوم لضيق المكان، مع العلم أنهم ينامون بصورة متعاكسة (راس ورجل) إضافة إلى بقاء البعض منهم وقوفاً لفترة ليست بالقصيرة ريثما يتوفر لأحدهم المكان الذي يخليه من انتهى وقته وفقاً للجدول المتوافق عليه من الجميع.

كان الجميع مهتماً برعايتي تقديراً للوضع الذي كنت فيه والشهامة ونكران الذات التي يتصفون بها.

تفرست في الوجوه بعد أن انتهت فترة التعارف والشرح الموجز للكيفية التي أدت إلى أصاباتي، فوجدتها مازالت مذهولة من الطريقة التي عوملت بها أمامهم ومن الفعل الذي ارتكبه المجرم أيوب وهبي وشعورهم بالأسى على الشهداء الذين سقطوا دون ذنب أو جريرة.

عندها ولكوني زائراً جديداً عليهم ولتخفيف الجو الذي ساد نتيجة ما حصل أمامهم كما بينت، عزمت على بث الروح المعنوية بينهم وطمأنتهم على حالتي

وأبلغتهم بعدم حاجتي إلا لبعض الدواء للمساعدة في إلتئام الجراح والحرص على عدم تلوثها وسيتكفل الزمن بالباقي.

وقد ساعدني في ذلك الدكتور فؤاد ومن معه من المضمدين الذين انبروا لطمأنة الموجودين في الغرفة، كونهم سيتكفلون بعلاجي ومراقبة حالي وتضميد جراحي أن تطلب الأمر ذلك وقد كانوا عند وعدهم. عندها اقترحت عليهم أن نحتفل بطريقتنا وتوجهت بالسؤال من الجميع عمّن يجيد الغناء منهم لترديد بعض من المتداول منها في حينه، وبعد قليل من التردد باشر الملازم عبد الإله بالغناء وكان صوته شجياً حرك النفوس وأثارها وأخذت الروح المعنوية بالارتفاع شيئا فشيئا، وبعد فترة وجيزة نسي الجميع الحال الذي كنا فيه وبدأت نبرة التحدي تتصاعد مع الوقت.

كما يجب الإشارة الى روح التعاون في ما بينهم وتعاملهم مع الأدعياء ونهّازي الفرص ومثال ذلك كيف تصرفوا مع عايد كاطع العوادي الذي رفض مساندة الجمهورية أول أيامها، ثم بعد أن شعر بأن الأمور قد استتبت للجمهورية الوليدة استفسر مني عدة مرات كيف ينتمي للحزب الشيوعي، وكل مرة كنت أفهمه أن هذا الأمر يعود له ولا علاقة لي بالأمر إلا أنه أخذ يتباهى ويتبجح بعد استقرار جمهورية 14 تموز بأنه قد أصبح من أشد الموالين لها، لذا اعتقل في شباط وأودع في إحدى غرف السجن الرقم 1 التي امتلأت جميعها بالضباط من مختلف الرتب وكان دائم السؤال عني لخشيته من افتضاح أمره واعترافي أثناء التحقيق بشأن طلبه الانضمام للحزب كما كان يتصور ويعتقد!!!!!!! وخاصة بعدما تسرب خبر نجاتي من مجزرة النادي الجمهوري، وقد التقط الموجودون معه في الغرفة هذا الشعور والخوف الذي يعتريه كلما تسرب أي خبر بين الموقوفين حولي، وحين سُمح للعوائل بجلب الطعام للموقوفين أثناء المواجهة، استغل الشباب هذه المسألة لصالحهم حيث كانت الكميات الكبيرة نسبيا تصل إليه من العائلة ومِن مَن يصحبهم من الأصدقاء، حينها يتظاهر أحدهم بسماعه خبر استدعائي

للتحقيق، حينها ينزوي الرجل ويترك كل ما وصله من طعام للشباب، وبعد انتهائهم من ذلك يسربون خبراً آخر يؤكد القضاء عليّ وعدم صحة خبر وجودي بين الموقوفين في ذلك السجن، حينها يبدأ بتناول ما قد يتبقى له بشهية، وهكذا كان يخسر معظم ما يصله من أجود الطعام في كل مواجهة (ولنا ان نتصور مدى الرعب الذي كان يعتريه) ومن ثم بعد أن التقى بي في مستشفى الديوانية حين كنت أعالج هناك وأنا مازلت موقوفا، في حين أنه كان قد أطلق سراحه منذ فترة وقد جمعتنا الصدفة همس في أذني معتذرا لعدم قيامه بزيارتي بسبب الظروف السائدة فهو حينها كان يسكن الديوانية.

على الرغم من الآلام التي قاساها الكثير منهم منذ بداية التوقيف ولغاية الساعة التي كنا فيها والتي اشتملت على مختلف صنوف التعذيب والإهانات والضرب الذي كان يمارس من القائمين على السجن إضافة إلى ما كان يقوم به طه الشكرجي من استخدام صنوف التعذيب بحق من يقع تحت يده من الموقوفين الأبرياء.

كان طه الشكرجي وحشاً بلباس إنسان، كذلك كانت الزمرة المتعاونة معه في التحقيق. كان الجميع مشحونين بحقد لايوصف، فقد خلت قلوبهم من الرحمة ولم تبق فيهم إلا نزعة الشر والانتقام دون تمييز بين أحد من الموقوفين وكان التعذيب يجري وفقاً لمزاجهم الشخصي والطريقة التي يبتكرها أحدهم في حينه لتمضية (السهرة والحفلة بالتسلي والتشفي بمن يقع تحت أيديهم كل ليلة)، وكان ذنب الموقوفين الوحيد هو موالاتهم لخط تموز وللزعيم عبد الكريم قاسم بالذات.

أنهم يكرهون المرح والتغني بحب الوطن

استمر الغناء لفترة من الوقت ثم أخذت وتيرته تعلو وتتصاعد شيئا فشيئا كما أسلفت، خاصة بعد أن تحولت الأغاني إلى الأناشيد الوطنية وما تحمله من معاني يكرهها ويمقتها الانقلابيون بسبب ما تحمله من روح التحدي والتغني بحب الوطن، وشارك الجميع في الغناء والأناشيد بكل حماس وتحدٍّ وأخذ الصوت يصل أسماع آمر السجن (الرائد حازم الأحمر) حيث جاء والشرر يتطاير من عينيه وصاح بصوت تطغى عليه شدة الانفعال وقال بالنص (ولكم قواويد أسكتو ترة أطلعكم هساع وأعدمكم كلكم) ثم بقي واقفاً أمام فتحة الشباك الصغيرة للغرفة لفترة من الزمن وغادرنا وهو يدمدم بالشتائم والألفاظ القذرة التي يحملها فكره العفن.

هكذا كنا نعامل كل يوم وكل ساعة جميعنا بالنسبة لحازم وأمثاله، أعداء لهم ويتوجب القضاء عليهم. لقد استكثروا على الموقوفين البقاء أحياء طيلة تلك الحقبة السوداء التي آلت فيها إليهم الأمور والحياة اليومية داخل الغرفة ووتيرة العلاج.

في اليوم الثاني تم إبلاغ نائب العريف المسؤول عن مجموعة غرف السجن التي احتجزت فيها والتي كانت تدعى بالمجموعة الأولى بحاجتي إلى العلاج والعرض على الطبيب المسؤول عن السجن لتحديد نوعيته والكيفية التي سيتم فيها. راجع الرجل غرفة الطبابة فأبلغ باستعدادهم لتأمين العلاج دون أن يتم إخراجي من الغرفة لعدم موافقة الإدارة على خروج أي موقوف من أي غرفة، وعليه يتحتم أن يقوم أحد الموقوفين بتولي المهمة حتى وأن لم

يكن من المختصين بذلك (أين الشعوربالمسؤولية يا إدارة السجن؟ هل عُومل من والاكم قبل فعلتكم القذرة بنفس هذا القدر المهين للبشر أم ركبكم الغل والحقد وروح الانتقام؟).

ولما كان الدكتور فؤاد موجوداً معنا فقد تم حل المشكلة، حيث قام بالمهمة خير قيام بعد أن زود المضمد الذي أرسله الطبيب لتقصي الحالة بقائمة الاحتياج اليومي من الأدوية والضماد، وهكذا كان المضمد يجلب عدة الضماد والحقن اللازمة بالحاوية الطبية الخاصة بذلك صباح كل يوم.

المضمد ساعي بريد إضافة لوظيفته

مع مرورالأيام أخذ المضمد يتعاطف معنا إلى حد كبير بعد أن شاهد حالتي وأحس بخطورة الإصابة التي وصفها له الدكتور فؤاد وبدأ يعرض علينا بعضاً من مساعدته في الحدود التي يقدر عليها، وقد تطوع مشكوراً بإيصال الرسائل سواء كانت المكتوبة منها أو الشفهية إلى عوائلنا وأهالينا لطمأنتهم على وجودنا أحياء بعد أن انقطعت بنا السبل.

ولقد قام الرجل بمهمته خير قيام، حيث كنا نضع قصاصات الورق التي تتوفرلدينا تحت شاش الضماد الموجود في حاوية عدة الضماد والحقنة بعد الفراغ من تضميدي، وبهذا تم لنا الاتصال بالخارج بفضل ذلك المضمد الشجاع الشهم. كان هو وغيره من المراتب من الموجودين في السجن خير برهان على عزلة الانقلابيين وقلة عدد مواليهم، ولكن الفأس وقع في الرأس حسبما يقال.

أما الخروج والذهاب إلى الحمام فلم يكن مسموحاً به سوى مرة واحدة في اليوم ولفترة قصيرة جداً ثم يعيدونا إلى الغرفة ثانية وإلى اليوم التالي، وهكذا كل يوم. كما كان النوم يتم بالتناوب كما أسلفت وكان يتم بطريقة (راس ورجل) وعلى جنب واحد طيلة فترة النوم إضافة إلى أن قسماً من الموقوفين ينام وهوجالس (القرفصاء).

لقد كان عذاباً لا يطاق تحمله الأبرياء بجلد وصبر عجيبين.

ومع ذلك فقد كانت المعنويات عالية جداً، إلا من بعضهم وكان لهم العذر، في ذلك لأن المعاناة لا يمكن وصفها والتعذيب الذي كان يمارس لا يرحم،

خاصة وأن الكل يشعر ويعرف أنه لم يرتكب أي ذنب فلماذا هذه القسوة غير المسبوقة وغير المتوقعة من زملاء لهم وأقران سواء في المهنة أو الاختصاص؟

في خضم هذا الوضع الأليم والمأساوي تلمس وتشعر جيداً بالتعاطف الإنساني وروح المودة والتعاون بين الموقوفين (مكان لايتسع لعشرة أشخاص في أحسن الاحوال يتم حشر فيه ما يزيد على الأربعين وحتى الخمسين شخصاً) ومع ذلك فقد تنازل هؤلاء عن مساحة تسع أربعة منهم في الوضع الذي وصفته كي يفسحوا لي مكاناً يؤمن لي النوم براحة حيث كنت لا أستطيع التقلب أو النوم على أي جنب بسبب إصابتي.

ولقد قام هؤلاء الشباب بتهيئة المكان بينهم وبالسعة التي وصفتها بكل رحابة صدر ولم أشعر طيلة مكوثنا في تلك الغرفة التي زاد فيها تعدادنا على الخمسين موقوفاً بعد الثامن من آذار (انقلاب سوريا) بتذمر أي منهم ولو تلميحاً، وكيف لا وهم خيرة شباب الوطن خلقاً وإيثاراً وتواضعا

حفلات التعذيب اليومية كيف ومتى تبدأ؟

كان من عادة المشرفين على السجن من الضباط زبانية الانقلابيين ومريديهم أن يتسلوا ويستمتعوا أثناء خفارتهم الليلية بعذابات الموقوفين ومحاولة إذلالهم بأبشع وأقذر أنواع التعذيب بمنتهى السادية والقسوة، دون ذنب أو إجراء أي تحقيق وإنما أشباعاً لروح الانتقام المتأصلة فيهم.

كان الليل بالنسبة للموقوفين مصدراً للرعب المتواصل من أوله وحتى الضياء الأول منه، وكانت الخشية والترقب يعمان الجميع عند اقتراب أصوات أقدام الحراس من المجموعة (كان السجن يحتوي على أربع مجموعات فضلاً عن مجموعة الإعدام) وكان لكل مجموعة ضابط صف مسؤول عنها، كل منهم يحمل سلسلة مفاتيح بعدد غرفها إضافة إلى المفتاح الرئيس لباب الممر المؤدي الي الغرف، ولكثرة أعداد تلك المفاتيح كان بالإمكان سماع أصوات ارتطامها ببعض وهي تنذر باقتراب حاملها، وعندها تضطرب دقات قلوب الموقوفين جميعاً، إذ كان أي فرد منهم عرضة للاستدعاء في اللحظة التي يتم فيها فتح الباب، وبالتالي يتلقى نصيبه من التعذيب وقد يكون خروجاً دون عودة حيث ينقل إلى مكان آخر كقصر النهاية سيِّئ الصيت أو لجنة طه الشكرجي الكريهة أو أية لجنة تحقيقية تعمل خارج السجن وقد يتم إعدامه لدى أي منها.

على أية حال كان الليل يمثل كابوساً ثقيلاً على الجميع سواء من نال نصيبه من الزبانية الموتورين أو من يتوقع تلقيه في تلك الليلة وكل ليلة.

ونقلنا إلى سجن الحلة المركزي

خلال فترة وجودنا في السجن رقم واحد كنا نسمع الكثير من الاشاعات التي تصل إلى البعض منا عن طريق أفراد من الحراس أو الرسائل السرية التي تصل إلينا من الأهل والتي كانت توضع في طيات الملابس أو بين محتويات الأطعمة التي تردنا منهم وقد تفنن هؤلاء في طرق إخفائها عن أعين وأيدي المفتشين، وكانت هذه الرسائل تحوي في معظمها أخباراً عن تعاظم الاحتجاجات الدولية بسب ما كنا نعانيه وبقية الموقوفين والمعتقلين في السجون والأماكن الأخرى الكثيرة التي استخدمها أزلام الحرس القومي ومن لف لفهم من تعذيب وبسبب الإعدامات المستمرة سواء ماكان يعلن عنها أو التي تتم في الخفاء على أيدي تلك الزمرة وعن أساليب ووسائل التعذيب المبتكرة وازدحام السجون وأماكن الاعتقال بالموقوفين دون تمييز.

وقد تأكد لدينا صحة ما كان يرد إلينا من تلك الأخبار والاشاعات عن طريق التواتر والهمس الذي ينتقل من سجين إلى آخر، وكان من بينها احتمال وصول مراقبين دوليين لزيارة السجون والمعتقلات العراقية والتفتيش عن غير المعلن عنها لإرغام الانقلابيين على التوقف عن المجازر والاعتقالات اليومية التي لم تتوقف والتي ازدادت بعد انقلاب الثامن من آذار البعثي وما جرى في سوريا حينذاك بعد سيطرة حزب البعث على مقاليد السلطة.

وتفادياً لهذا الأمر تم نقل الكثير من السجناء من بغداد وتوزيعهم على المحافظات العراقية وكان أن جرى نقل عدد منا إلى سجن الحلة وكنت من بينهم.

في الطريق إلى سجن الحلة

في إحدى الأمسيات أبلغنا بوجوب التهيؤ لنقلنا من مكاننا إلى آخر دون أن يعلمنا أي منهم عنه ولا حتى موقعه، وهكذا حزمنا أمتعتنا وأخرجنا من الغرف وأمرنا بالاصطفاف على شكل رتل يتألف كل صف منه من أربعة أشخاص وأمام كل موقوف فراشه المرزوم، ثم حضرعدد من ضباط الصف من منتسبي سرية حراسة السجن وكل منهم يحمل عدداً كبيراً من قطع الحبال وباشروا بتكبيل أيدينا بواسطة تلك القطع لعدم توفر جامعات اليد لديهم نظراً للعدد غير المسبوق من الموقوفين الذين تم حشرهم في السجون والمواقف وكثرة عددنا نحن الذين تصادف أن تقرر نقلنا إلى ذلك السجن لتقليل أعداد المودعين لديهم خشية التفتيش المتوقع كما أسلفت.

لقد ساهمت تلك القطع من الحبال والطريقة التي تمت لتكبيل أيدينا في زيادة الألم الذي عانيناه من طول فترة الوقوف وبطء حركة هؤلاء في عملية التكبيل لكل فرد منا والتي نتج عنها تورم أيادي أغلبنا في حينه. وبعد أن اكتمل تقييدنا أمرنا بالتحرك نحو البوابة الرئيسة للسجن ومنها إلى السيارات التي كانت متوقفة أمامها حيث تم توزيعنا واركابنا مع ثلة من الحرس في كل منها.

لم يكن أحد منا على علم بالجهة التي سننقل إليها ولا المكان الذي سنودع فيه. في الطريق تمكنا من التواصل مع أفراد الحرس الذين كان معظمهم من المتعاطفين معنا حيث أبلغونا بتلك الجهة، كما تطوع البعض منهم بإبلاغ عوائلنا عن المكان الذي نقلنا إليه بعد عودتهم من تلك المهمة، وقام كل فرد من الموقوفين بتزويدهم بأرقام هواتفهم أو كتابة الرسائل القصيرة التي تتضمن

العناوين على ورق علب السكاير أو على أغلفة العلب نفسها (لقد كان أغلب الجنود وضباط الصف من المتعاطفين معنا وكان الكثيرون منهم يبوحون لنا سراً بمكنونات صدورهم وقد كنت ترى في عيونهم وحركاتهم مدى المودة التي يحملونها لنا إلا البعض القليل من الحاقدين أو المغرر بهم وكانوا قلة قليلة، وهذاحكم القدر والأخطاء التي أرتكبت ورافقت المسيرة التي أوصلتنا إلى هذا الحال.

في سجن الحلة المركزي

ووصلت بنا السيارات إلى سجن الحلة المركزي حيث تم إيداعنا فيه، وقد اختلفت الصورة لدينا تماماً، فشتان ما بين السجن العسكري الرقم واحد الذي كنا قد حشرنا فيه وبين ما شاهدناه في سجن الحلة. لقد وجدنا جنة بالنسبة للجحيم الذي عشناه في ذلك السجن الرهيب.

مكان واسع ومعاملة حسنة جداً قياساً إلى ما عانيناه من ضيق المكان وما كان يفعله ويتعامل به حازم الأحمر وعادل الخشاب وزمرتهم من الحاقدين وكذلك ما كان يفعله طه الشكرجي خلال التحقيق الذي طال الكثير منا، فسجن الحلة المركزي هو أحد سجون وزارة الداخلية ويقوم على إدارته والإشراف عليه موظفون تعينهم تلك الوزارة ولهم زيهم الخاص وأنظمتهم المنبثقة من التعليمات المتعلقة بإدارة سجون العراق ولاعلاقة لها بالسجون العسكرية، إضافة إلى ما كان قد ترسخ لديهم من قناعة تميز معاملة السجين السياسي عن السجين العادي.

لذلك لم نصادف أية متاعب سوى شعورنا بما آلت إليه الأمور وما حصل لنا خلال الانقلاب والأيام التي تلته، وهكذا تأقلمنا مع الوضع الجديد. قاعة طويلة فسيحة ضمت الجميع كما كان بعض السجناء العاديين يحضرون يومياً للتنظيف بأمر من مأمور السجن. كذلك سمح لنا بالاستحمام في حمام صغير مجاور كان مخصصاً لمن كان يحكم بالإعدام ليستحم فيه قبل تنفيذ الحكم.

وقد تسنى لي الاطلاع ورؤية المشنقة التي كانت بجانب ذلك الحمام، ولتجنيب القارئ وصف ذلك المنظر أترك لكل واحد تصور الأمر دون وصفه.

وبعد يومين من مكوثنا في السجن وشعورنا بالقليل من الراحة والأمان النسبي لم يتركنا الانقلابيون دون تكدير لمزاجنا على الأقل، حيث تم نصب بعضٍ من مكبرات الصوت التي تم من خلالها بث برامج إذاعة بغداد، وأعتقد الكثير منا أن إدارة السجن تحاول اشعارنا بالتواصل مع العالم الخارجي، ولم تكد تمضي بضع دقائق على سماع إحدى المقطوعات الموسيقية حتى قطع البث وإذا بأحد المذيعين يقدم بعد مقدمة طويلة ومملة، أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب معلناً بذلك البدء ببث اعترافاته وبقية الأعضاء من اللجنة المركزية تباعاً حيث سمعنا صوت المرحوم عبد القادر اسماعيل في تلك الليلة.

كان الأمر مقصوداً لكسر معنوياتنا وإذلالنا حيث كان أي منا يعامل على أنه شيوعي (عميل حسب تعبيرهم القاصر) وهذا جهل فاضح بطبيعة أفكار الناس ورؤية غير صحيحة عما كان عليه من وقع تحت أيدي أولئك الجلاوزة الموتورين، فكل من ناصر الزعيم الشهيد وتبنى سياسته فهو «شيوعي» بعرفهم وفكرهم القاصر.

استمرت الحياة اليومية دون أن يؤثر ما كنا نسمعه على المعنويات العالية التي كان يتمتع بها أولئك الرجال الشجعان وتوالت الأيام دون ما يكدر ما تفتقت عنه أفكار البعض من عقد الندوات التثقيفية في شتى مناحي الحياة والفكر، كل حسب اختصاصه، وتنوعت الفعاليات الأخرى بغية قتل الفراغ والوقت، ولم يكن يكدر ذلك سوى استدعاء بعضاً من الموقوفين بين فينة وأخرى ونقلهم إلى بغداد للتحقيق الذي استشف منه أن لاعودة لمن كان يستدعى، بعد أن بدأت التسريبات الخبرية عن مصير الغالبية منهم حيث التصفية الجسدية بعد التعذيب أو خلاله أو السجن لمدد طويلة للقلة التي تسلم من موت محقق في قصر النهاية والأقبية الأخرى وما أكثرها وأبشعها وأبشع وأحقر القائمين عليها.

العودة إلى السجن العسكري الرقم واحد

لم يدم بقائي في سجن الحلة طويلاً، حيث مكثت هناك لفترة تقرب من ثلاثة أسابيع، بعدها استدعيت مساءً مع ثلاثة من زملائي الموقوفين، وهم كل من الشهداء جبارالمهداوي أخو المرحوم الشهيد فاضل عباس المهداوي والرئيس الأول جلال أحمد فهمي والرئيس الأول عباس الدجيلي الذين قضوا جميعاً على أيدي القتلة في قصر النهاية سيِّئ الصيت (كانت أي شعرة تسقط من رأس أي منهم أشرف من عادل الخشاب ومن لف لفه من تلك الزمر المحتقرة عديمة الذمة والشرف).

وصلنا إلى السجن العسكري الرقم واحد في حدود الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وما أن تم تسليمنا من قبل ثلة الحرس التي رافقتنا خلال نقلنا من ذلك السجن إلى زمرة المتآمر القذرعادل الخشاب، حيث كان الضابط الخافر في تلك الليلة حتى انهال علينا سيل من الشتائم والسباب والضرب المبرح، وقد تركز الكثير منه على المرحوم جبار المهداوي، إذ نال النصيب الأكبر منه وكان نصيبنا الأقل قياساً لما ناله الشهيد جبار دون ذنب أو جريرة.

بعدها تم توزيعنا على المجموعات وكان نصيبي المجموعة الرابعة وفي إحدى غرفها، وهكذا تعرفت على موقوفين جدد بادروا على الفور وبترحاب كبيرعلى تهيئة مكان لي بينهم وقد تبين لي عن طريقهم أن خبر إعدامي وبقائي حياً كان قد انتشر بين جميع الموقوفين، لذلك استقبلني هؤلاء كما استقبلني الذين سبقوهم في الغرف الأخرى بنفس الترحاب والقبول، وبعد مضي فترة من الوقت فهمت أن سبب استدعائنا كان لإجراء التحقيق معنا، حيث جاء دورنا

لتلقي نصيبنا من العذاب أو التصفية الجسدية التي قد تتم بعد التعذيب وفقاً لمزاج المحقق في حينه.

بقيت في هذه الغرفة فترة طويلة قياساً للفترات السابقة ولم يستدعني أحد، راودتني خلالها نوبات من القلق والتوجس من المجهول في كل ليلة، خاصة وأننا كنا ننام في النهار ونسهر الليل بطوله بسبب نشاط زوار الليل من زمر المعذبين والجلادين الذين قلما كان ينجو أحد من أيديهم وألسنتهم القذرة والويل لمن كان يستدعى.

عينة بسيطة من عينات التعذيب في قصر النهاية «قصر الرحاب سابقاً»

في إحدى الليالي وكالعادة فتح الباب الخارجي للمجموعة، وتوجس الجميع من ذلك إلا أننا سمعنا بعد قليل أصواتاً واهنة تختلف عن أصوات الحرس مسؤولي المجموعات وضباط السجن، وهكذا استنتجنا وبحكم ما قد تكرر أمامنا وما لمسناه من خلال تعاملهم اليومي معنا وكما جرت العادة، أن بعضاً من الموقوفين الجدد قد أَحضر إلى المجموعة في تلك الليلة، وبالفعل تمكنا من مشاهدة هؤلاء من الفتحة الصغيرة الموجودة في الباب الحديدي للغرف (فتحة مربعة لاتزيد مساحتها عن 20سم لطول كل ضلع منها).

شاهدنا ثلاثة أشخاص، كان أحدهم يحمل الشخص الثاني على ظهره وأرجله مكسوة بضماد يغطي الساقين وبعض من الفخذ الظاهر للعين والثالث يسير جنبهما وهويعرج ويتلوى من الألم. كان الثلاثة عبارة عن حطام آدمي يسير بالكاد على الأرض. فتح المأمور نائب العريف المسؤول عن المجموعة، الغرفة المجاورة لغرفتنا وأدخل فيها هؤلاء الثلاثة وأغلق عليهم الباب وكأن شيئا لم يحصل وخرج دون أن ينبس ببنت شفة، وبذلك زاد عدد الموجودين فيها علاوة على ازدحامها في الأصل.

وكانت تلك الغرفة تشكل ركناً مع غرفتنا، كون المجموعة مبنية على شكل حرف اللام وهكذا تسنى لنا رؤيتهم والتحدث إليهم عن طريق الفتحة المشابهة لفتحة غرفتنا، وبعد أن أغلق الباب الخارجي للمجموعة وغادرت الزمرة القذرة التي أتت بهم، تمكنت من التحدث مع أحد هؤلاء حيث علمت منه أنهم قد

كانوا في سجن النهاية كما كنا نطلق عليه، لأن الداخل فيه لا يعود في أغلب الأحيان، وكان محدثي هو الأخ علاء عبوش الذي كنت على معرفة سابقة به وكان أحسنهم حالا، وهو الذي كان يحمل رفيقه الذي لم يكن يتمكن من السير.

لقد كانوا جياعاً وعطشى إضافة إلى معاناتهم من أصاباتهم وصنوف التعذيب اليومي الذي كان يمارس ضدهم كل يوم وفي كل ساعة. ولقد وصف لي علاء الجحيم الذي كانوا فيه.

لقد ساعد القرب والوضع الهندسي الذي كان قد شكل زاوية بين غرفتينا من تأمين بعض الماء والطعام المتيسر لدينا، حيث بادرنا إلى الاستفادة من حبل كان موجوداً لدى أحد موقوفي غرفتنا كان يستعمله لربط فراشه وأغطيته عند نقله من مكان إلى آخر وتمكنا عن طريق هذا الحبل بعد ربط طرفه بثقل مما توفر لدينا، من قطع خبز وقذفه اليهم حيث يتلقفه علاء، ونجحت المحاولة التي تفتق عنها ذهننا بعد ليّ وتكرارولكننا تمكنا من سد القليل من رمق وجوع رفاقنا.

كانت الطريقة بسيطة ولكنها ليست سهلة لسببين أولهما؛ الخشية من عودة زوارالليل الذين كان بأمكانهم مراقبة ورؤية الغرف من الخارج دون أن نشعر، وثانيهما الصعوبة في إيصال أي شيء والوقت الطويل الذي يستغرقه، حيث نقوم بإدخال طرف الحبل في عروة الوعاء الصغير (دورق بلاستك) ودفعه لهم بعد وضع الماء الذي قد ينسكب نصفه أو الطعام القليل الذي يسعه الدورق ثم نقوم برفع اليد الممسكة بطرف الحبل إلى أقصى ما تمكننا تلك الفتحة كي ينزلق ذلك الدورق ويصل إلى الطرف الثاني الذي يقوم بدوره بنفس العملية عند إعادته إلينا، وهكذا تغلبنا على بعض مما كنا نعانيه وقد سررنا في تلك الليلة بعد أن انتهينا من عملية الإسعاف هذه، وبمرور الأيام بدأت أسمع الكثير من الأخ علاء عبوش عن الفضائع وصنوف التعذيب التي كانت تمارس وترتكب بحق من يقع تحت يد أي فرد من جلاوزة ومجرمي ذلك المكان، ناهيك عن الإعدامات اليومية، إضافة إلى الكثيرين الذين كانوا يلقون ربهم تحت سياط الجلادين أو من يقضي بعد أن يترك معلقاً من قدميه حتى الموت.

ونجوت مرة أخرى

كنت قد بينت أن سبب استدعائنا من سجن الحلة المركزي إلى بغداد كان لغرض التحقيق، ولكن لم يكن يدور في خلدي أن هذا سيجري في قصر النهاية والذي يعني الموت المحقق تحت التعذيب. (حيث قضى زملائي رحمة لأرواحهم جبار المهداوي وعباس الدجيلي وجلال أحمد فهمي على أيدي أولئك المجرمين) وبقيت بانتظار دوري دون أن أعلم عن مصير زملائي الذين نقلوا معي من سجن الحلة إلى بغداد ممن ذكرتهم أعلاه، إلا أن أحداً لم يستدعني إلى التحقيق حتى نقلنا إلى سجن نقرة السلمان بعد ما قام به الشهيد البطل حسن سريع وزملائه الشهداء من عمل كاد أن يفضي إلى التخلص من تلك الوحوش الكاسرة وإنقاذ الشعب العراقي منهم من خلال انتفاضته المسلحة في الثالث من تموز من ذلك العام.

في ما بعد، وخلال تواجدي في سجن نقرة السلمان مع بقية الذين نقلوا إلى هناك التقاني النقيب سالم ضابط نقلية اللواء الأول حيث كان موقوفاً معنا وأبلغني عن سبب استدعائي وسرد لي تفاصيل القصة كما رويت لي من قبله، والتي تتلخص في أن مدحت إبراهيم جمعة الذي كان لايغادر قصر النهاية لانهماكه بالتعذيب الذي كان يمارسه بشغف ويتلذذ بعذابات من يقع تحت يديه، وكان وقتها يقوم بالتحقيق مع النقيب سالم ويطلب منه الاعتراف على الكثير من الضباط منتسبي اللواء الأول، وكنت من بين الضباط الذين طلب منه إدراج أسمائهم في التنظيم، ولما لم يحصل ذلك ولم يتمكن المذكور من انتزاع مثل هذا الاعتراف، أخذ يشدد على النقيب سالم ويمعن في تعذيبه وتهديده بالتصفية الجسدية، وخلال

قيامه بذلك العمل وفي اللحظة التي كان يمارس هوايته نودي عليه من قبل زملائه وأبلغ بخبر صدور أمر تعيينه متصرفاً للواء الموصل وعليه الالتحاق فوراً، وهكذا شاء القدر أن يقضي بنجاة النقيب سالم ويخلصه من براثن ذلك السفاح ونجوت أنا بالتبعية من ذلك المصير الذي طال الآخرين دون ذنب أو جريرة سوى الحقد الأعمى وشهوة القتل المترسخة في العقول المريضة.

وأقولها للتاريخ: فلم تكن لي أية علاقة تنظيمية بالنقيب سالم، ومعرفتي به لاتتعدى كونه أحد الضباط منتسبي اللواء الأول الذي كنت أعمل فيه قبل التحاقي بمحكمة الشعب، الِا أن مدحت إبراهيم جمعة كان يبتغي ويلح على إيجاد مبرر لاستدعائي أمامه لسبب أعتقد أنه شخصي بحت، أقله كوني أعمل في محكمة الشعب التي تمت محاكمتهم فيها بعد محاولتهم الفاشلة لاغتيال الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم، وهم الذين قابلوا إحسانه وعطفه عليهم بالاساءة إليه، حيث صدق فيهم قول الشاعر العربي

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وتلقيت نصيبي من التعذيب

مرت فترة من الإنتظار والترقب وتوقع استدعائي للتحقيق كما بينت، وطالت هذه الفترة نسبياً، ولكنها انتهت في إحدى الليالي، حيث فتحت أبواب المجموعة الرابعة ثم باب الغرفة التي كنت محشوراً فيها مع بقية الزملاء واقتادني الحرس إلى غرفة الإدارة الخاصة بالسجن، وما أن وطئت قدمي مدخل الغرفة حتى استقبلت من قبل الجالسين فيها بسيل من الشتائم والسباب وبذيء الكلام، تلاه الضرب واللكم ثم انهالت عليَّ العصي من كل جانب ولم تشفع لي إصاباتي التي كانوا على علم بها، وبعد أن انتهوا من ذلك أجلسوني على كرسي وبدؤوا يعرضون عليَّ مجموعة من الصور كانوا قد أستولوا عليها من ستوديو أنتران الذي كان قد اختص بتصوير جلسات محكمة الشعب والمناسبات الأخرى ومجمل فعاليات المحكمة، وغيرها من الصور الأخرى التي كانت بحوزتهم، حيث أستولوا عليها من مختلف محلات المصورين التي نهبت محتوياتها في حينه وألقي القبض على أصحابها.

وباشر أصغر الحاضرين في تلك الغرفة وهو ملازم إحتياط يُدعى خضر الدوري على ما أذكر بعرض تلك الصور عليَّ طالباً مني التعريف بأسماء ومحل عمل الموجودين في كل منها، ولما كانوا لايعرفون الأغلب من الموجودين في تلك الصور فقد تمكنت من إنكار معرفتي بأي من الأشخاص المدنيين حماية لهم ولي بنفس الوقت، حيث اقتصرت التسمية على الضباط المعروفين لديهم أمثال الضباط منتسبي محكمة الشعب والضباط المشهورين أمثال الشهيد قائد القوة الجوية وكذلك الشهيدين العميد الركن طه الشيخ أحمد والعميد وصفي

طاهر ونجحت في تفويت الفرصة عليهم بعدم التعريف على أي من المدنيين الذين كانوا يزورون المحكمة أو يحضرون أحتفالاتها ومناسباتها الأخرى.

لقد ساهمت بإنقاذ الكثيرين ممن لم تطالهم يد الإجرام الآثمة من توقيف وتعذيب لامبرر له سوى الحقد الذي طال الكثير الكثير من أبناء الشعب المساكين.

وبعد أن عيل صبرهم قفز المجرم السفاح عادل الخشاب من مكانه وتوجه إلي حاملاً إحدى الصور يظهر فيها أحد المدنيين وهو يطوق عنقي بيده ورأسه ملتصق برأسي، وزعق في وجهي قائلاً (بقى أنكر هذا)؟ لقد كان ظاهراً في الصورة الكثير من الجماهير وهي تلتف حول الشهيد البطل فاضل المهداوي حين رافقته للذهاب إلى أحد المعارض الفنية، وكان من الطبيعي أن يحدث ذلك في أي مكان يذهب إليه أو يتواجد فيه، وكنت أعرف حق المعرفة ذلك الذي كان يطوق عنقي، وهل من الشهامة أن أتيح لهم التعرف عليه؟ أنكرت ذلك وأجبتهم أنه مدني حاله حال الكثيرين من الناس، وهو الذي يطوق عنقي ولست أنا الفاعل كي أكون على معرفة به وهذه حالنا حين نتوجه إلى مكان عام أو شبه عام.

وتخلصت من المأزق، ولكن لم تنتهِ حفلة التعذيب عند هذا الحد، فالليل طويل وهم بحاجة إلى المزيد من التلذذ وإشباع شهوة الانتقام. بعد أن عجزوا عن التعرف على أحد، عرضوا علي صورة جماعية للضباط الذين حضروا مراسيم إعدام المرحوم ناظم الطبقجلي ورفاقه ولم أكن بطبيعة الحال معهم، لأني كنت لا أزال أباشر عملي ضابط استخبارات اللواء الأول كذلك تشهد لي كافة الصور الملتقطة في حينه سواءً قبل العملية أو بعد الانتهاء منها.

ولكنها كانت الذريعة للمزيد من التعذيب والإمعان فيه، فلقد كانت الصورة تحوي أعداداً كبيرة من الضباط والحاضرين، ويبدو أنها التقطت عن بعد، إذ أن حجم الأشخاص فيها صغير إلى درجة يصعب فيها التمييز وتشخيص البعض من الآخر ولكن الملازم الأمرد خضر الدوري اتهمني بكوني أحدهم وأشار بأصبعه

على صورة أحد الواقفين فيها، وحين أبلغته أن لا وجود للشبه بيني وبينه، التقط مقبضة معول كانت بجانبه وانهال علي بالضرب على كافة أنحاء جسمي ثم عاونه في ذلك الملازم الأول عادل الخشاب الشجاع جداً في التعامل مع العزل، وأخذا يتبادلان الضرب المصحوب ببذيء الكلام حتى كسرت تلك المقبضة

(ليتصور القارئ الكريم مدى العنف والقسوة التي كان يعامل بها الموقوفون، خاصة لمن لا يعرف حجم تلك المقبضة. أنها توثية كبيرة كما يسميها العامة).

في نهاية الأمر غبت عن الوعي ولم أعد أشعر بالضرب ولم أدرِ مدى الاصابات التي حصلت لي، وبعد أن تعب (النشامى ذوو الاخلاق الرفيعة في معاملة أسراهم)، حملت على بطانية نقلني أربعة جنود يحمل كل منهم طرفاً منها ونقلت إلى مجموعة الإعدام وأودعت في إحدى غرفها وهكذا عدت سالماً (فلم أقتل يومها) كذلك كانت الغرفة الرقم واحد في تلك المجموعة.

كنت محطماً تماماً (لقد كانت ليلة رهيبة أدعو الله أن لا يريها لأحد مهما كان انتماؤه أو ديانته أو المبدأ الذي يحمله).

في مجموعة الإعدام الغرفة الرقم واحد

حُملت بالبطانية كما بينت وفتح باب المجموعة من قبل مسؤولها، كذلك فتح باب الغرفة الأولى منها ورميت فيها مع الحشد الهائل المكدس فيها من الضباط وغيرهم من المدنيين، وهكذا زاد عددهم بدلاً من تخفيضه، كان من بين الذين كنت أعرفهم فيها المرحوم العقيد سلمان الحصان والعقيد عبد الرحمن القاضي والمقدم عدنان الخيّال، كذلك كان عدنان وأخوه طالب ولدا حامد قاسم الأخ الأكبر للزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم وكثيرون من مختلف الرتب والوظائف موجودين معنا، ومن هؤلاء أذكر السيد عبد الجبار حمزة الذي كان بمثابة مسؤول الاستخبارات عن المدنيين لدى الزعيم (وهوالذي كان يطلق عليه استخبارات الحق).

دهش الجميع من المنظر الذي رأوني فيه. لقد بدأ جسمي يتورم شيئا فشياً بحيث ضاقت البجامة علي للدرجة التي لم تمكنهم من خلعها عني لمداواة أصاباتي فاضطروا إلى تمزيق الأكمام، وكذلك السروال كي أتمكن من الحركة ويتمكنوا من معالجتي بما تيسر لديهم من بعض الأدوية التي قد لاتجدي نفعاً، ولكن واقع الحال يلجئهم لهذا للتخفيف من المعاناة النفسية والألم على الأقل.

منظر لا يوصف ولا يصدقه العقل ويعجز عن وصفه، ولا أدري كيف تحملت كل هذا.

وبعد فترة ليست بالقصيرة بدأت أسترجع وأتذكر ما جرى لي بعد أن أستعدت قسماً من قواي وأفقت تماماً وتوجهت بالسؤال إلى العقيد سلمان الحصان مازحاً

(سيدي أبو سفيان هذا ال.... كسّر يدة المعول علي شلون راح ينزلها من الذمة؟).
ضحك الجميع من الذين كانوا على علم ودراية بالخدمة وإدارة الجيش وخاصة من الضباط حيث أن مقبضة المعول في العرف العسكري هي من التجهيزات التي تدخل في السجلات وتعد بذمة من استلمها سواءً كان آمر سرية أو فصيل (المعول هو آلة الحفر اليدوي التي تستعمل لحفر الخنادق ومقبضته من الخشب الغليظ قزمة باللغة الدارجة).

ولما كانت روح التعاون والتعاضد موجودة في هذه الغرفة شأنها شأن بقية غرف مجموعات السجن، فقد انهمك قسم كبير منهم في مداواة الجروح والكدمات التي ملأت أنحاء جسمي بما توفر لديهم من بعض المطهرات والقطن وأعطوني قرصي أسبرين كانت لدى أحدهم لا أتذكر اسمه الآن ثم أفردوا لي مكاناً في الزاوية كما في الغرفة السابقة، كوني ما زلت لم أتعافَ بعد من جراحي جرّاء رصاصات ابن شيتا.

لقد كانت الغرفة على سعتها قياساً لبقية الغرف ضيقة بما فيها من البشر، لذلك لم نكن بحاجة إلى ملابس ثقيلة على الرغم من برد الشتاء بسبب الحرارة المتولدة من أجسام المجموع الهائل فيها وقلة منافذ التهوية إضافة إلى الحرارة المتولدة من مصابيح الاضاءة في سقفها والتي لم نكن نتمكن من قطع التيار الكهربائي عنها كون مفاتيح التحكم مثبتة خارجها.

سعدون غيدان يزور السجن

في أحد الأيام حضر سعدون غيدان (الذي تقلد منصباً وزارياً لدى الانقلابيين) إلى السجن وبدأ بتفقد الغرف لسبب أجهله، وحين تم فتح باب الغرفة التي كنا فيها جفل ورجع إلى الوراء بسبب الحرارة التي لفحت وجهه والبخار المتولد فيها من تنفس البشر المحشور داخلها وقد كانت لي معه علاقة بسيطة كونه جاراً لنا في العطيفية، المنطقة التي نسكنها ولأنه كان زميلاً لي في الكلية العسكرية، حيث كان في الصف المتقدم وأنا في المستجد، وبسبب تلك المعرفة سلّم علي وسألني عن حاجتي، طلبت منه فقط طمأنة عائلتي عني كونهم كانوا يجهلون أي شيء عن حالي ولم تتيسر لهم مقابلتي لحد تلك الساعة، ولكنه لم يفعلها مع الأسف.

بقيت في هذه الغرفة فترة أطول من بقية الغرف التي مكثت فيها وتمكنت من توطيد علاقتي بآمر الحرس مسؤول المجموعة حيث أخذ يسمح لي بالخروج في أوقات النهار للاغتسال والذهاب إلى الحمام في غير الوقت المخصص لنا وهي فترة السماح اليومية الوحيدة للخروج والذهاب إلى الحمامات حيث يتم فتح الغرف تباعاً لهذا الغرض.

ففي الأيام الأولى لم أكن أتمكن من الوقوف على قدمي والتحرك الا بمساعدة اثنين من زملائي بسبب إصاباتي وما خلفته أيدي المجرمين عادل الخشاب وخضر الدوري من آثار. وكان آمر الحرس يتعجب ويرثي للحالة التي كنت فيها، ويبادر إلى معاونتي بين فترة وأخرى، ومع مرور الوقت تحسنت حالتي وتمكنت من التحرك لوحدي وقد سمح لي هذا الوضع بمزيد من الحركة، ومن هنا بدأت

علاقتي تتوطد به شيئا فشيئا حتى توصلت إلى أن أصبح (وزير خارجية الغرفة) وقد أطلق علي هذا اللقب من قبل زملائي الموقوفين، حيث بدأت أتسلم بعض الرسائل المكتوبة على ما يتوفر من قصاصات الورق وتهريبها للخارج عن طريق ذلك الرجل، كما كنت أساعدهم في اقناعه بفتح باب الغرفة للسماح لمن تدفعه الحاجة للذهاب إلى الحمام في غير الوقت المخصص المسموح به. كل هذا يحصل نهاراً بعيداً عن رقابة الإدارة التي تنشط ليلاً في العادة.

أما في الليل وحين ينشط الزبانية وتقام حفلات التعذيب فلم يكن أحد يجرؤ على فتح الباب، إن مجرد سماع تصادم المفاتيح مع بعضها أو وقع الأقدام يعد إنذاراً بالشر المستطير كما بينت سابقاً.

طاهر يحيى يزور مجموعة الإعدام ليبتز حامد قاسم

في ليلة شديدة المطر سمعنا وقع أقدام كثيرة، بعدها فتح باب المجموعة وزاد وقع الأقدام، وقد توجس الجميع من ذلك، إلا أن الخطوات اتجهت صوب الأبواب الأخرى للغرف، ثم فتحت أحداها وخفتت الأصوات وبعد فترة لم تتجاوز الخمسة عشر دقيقة أغلقت الباب التي كانت قد فتحت وخرج الجميع ولم يبق في الممر سوى نائب العريف مسؤول المجموعة الذي بين لي أو بالأحرى بين لنا جميعاً أن الذي كان قد حضر قبل قليل هو طاهر يحيى وأخذ يتحدث مع حامد قاسم شقيق الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم، حيث كان محتجزاً لوحده في الغرفة رقم أربعة من مجموعتنا ولم نكن نعلم بذلك، كما علمنا أن طاهر كان يفاوض حامد قاسم ويساومه على إطلاق سراحه مقابل أن يدله على أمواله (لقد كان لصا بالفطرة) وحين لم يحصل على طائل خرج تاركاً حامد لمصيره.

وجاء دور مجموعة صالح العبلي

وبعد أيام قليلة تم إحضار مجموعة صالح العبلي، وهم علي حسين الرشيد وحمدي أيوب وكمال عمر نظمي، وتم أيداعهم في الغرفة المجاورة لغرفتنا. وقد تمكنت من الاتصال بهم بصورة سرية وأثناء فترات السماح لي بالخروج، حيث بين لي الاستاذ كمال عمر نظمي أنه عندما أودعوا في النادي الأولمبي أبلغه أحدهم بالكيفية التي تمت فيها عملية إعدام رفاقي في تلك الأمسية المشؤومة وكيف أن غازي وقع هنا (ودله على المكان) كان ذلك لأرهابهم وقد اختصوا السيد (كمال) بالخبر، لعلمهم أنه كان يعمل في محكمة الشعب وعلى معرفة بي، لذلك قالوا لهم (هنا أعدمنا غازي ورفاقه).

كان الرجل يحكي لي الحكاية وهو يكاد يطير من الفرح لأنه سابقا كان على يقين من أنني كنت في عداد الأموات وبيّن لي أنهم لم يصدقوا زميلهم علي حسين الرشيد الذي كان أطولهم قامة والذي كان قد شاهدني لأول مرة من فتحة الشباك الوحيدة والصغيرة جداً الموجودة في غرفتهم والمطلة على الممر.

لقد قاسى هؤلاء الرجال الكثير، تحملوا مختلف صنوف العذاب، خاصة بعد أن تمكن صالح العبلي من الهرب من النادي والذي تسبب بإيداعهم قربنا، وكثيراً ما كان يستدعى أحدهم إلى الإدارة ويعاد إلى الغرفة وهو بين الحياة والموت، وقد تكررت عمليات الاستدعاء والتعذيب مرات ومرات ولا يكاد يمر يوم واحد دون أن يشمل أحدهم، وهكذا كانت الحياة في تلك الأيام الرهيبة.

إدارة السجن تسمح لنا بالخروج في العراء

بعد فترة، وفي حدود منتصف الشهر السادس سمح لنا بالخروج من الغرف لمدة نصف ساعة يومياً داخل باحة المجموعات التي كانت على شكل ساحة مربعة متوسطة الحجم. وعند خروجنا إلى الضياء والنور لم نتمكن من مواجهته أولاً وتشوشت الرؤيا لدينا، بعدها فوجئنا بأشكالنا، وجوه صفراء شاحبة تنافس وجوه الأموات وأشد منها صفرة، ومع ذلك فقد كان هذا العمل يعد انجازاً كبيراً قياساً لما كنا نعانيه في الغرف.

ثم أضيف إلينا زائر ومقيم جديد غيرمرحب به

خلال تلك الأيام حدثت حادثة بقيت عالقة في ذهني حتى هذه الساعة وستبقى كذلك ولن أنساها، ففي إحدى الليالي فتحت إحدى الغرف وأدخل فيها شخص لم نكن نعرفه في البداية وكان الأمر عادياً بالنسبة لنا حيث ألفنا مثل هذه الحوادث، إلا أن المسالة أختلفت بعض الشيء بالنسبة لهذا الانسان، ففي خلال نصف الساعة التي كان يسمح لنا بالتمشي ناداني النقيب شاكر العزاوي (من ضباط الدورة التي سبقت دورتي في الكلية العسكرية) وبسبب معرفته بي وخلال تجوالنا اليومي الذي سبق بيانه أعلاه وفي غفلة من الحراس وحين كان واقفاً في شباك المجموعة التي كان محتجزاً فيها منتظراً دورهم للخروج بعدنا وحيث أن وضع مجموعتهم يختلف من حيث البناء عن مجموعتنا لتوفر بعض الشبابيك المنخفضة فيها تمكن الأخ شاكر من إبلاغي عن الشخص الذي احتجز في مجموعتنا وكان يدعى حسين الرفيعي (ولقد علمت منه أن هذا الشخص وهو مدني كان مسؤولاً عما يقرب من الخمسين ضابطاً من الضباط

المنتظمين للحزب الشيوعي، أغلبهم من صنف المدرعات الذي كان شاكر العزاوي أحد منتسبيه).

للأمانة لم أكن على معرفة مسبقة بحسين الرفيعي سوى أني صادف أن التقيته في دار الفنان الراحل المرحوم خالد الجادر وكان تعارفاً عابراً، وعلى أية حال طلب مني شاكر أن أحاول الاتصال بهذا الرجل والطلب منه انكار معرفته به والادعاء باختلاط الاشكال عليه وإنه غير الذي شاهده أول مرة، كي يتسنى لشاكر انكار ارتباطه به ونفي التهمة عنه. وقد أوضح لي شاكر كيف أن حسين الرفيعي كان محتجزاً قبل نقله بالقرب منا في الغرفة المجاورة لغرفة آمر السجن وضباطه، وكان قد اعترف على كافة الضباط الذين كان مسؤولاً عنهم وزود الانقلابيين باسمائهم لقاء وعد من اللجنة المكلفة بالتحقيق معه بإطلاق سراحه، ولا أدري كيف صدقهم، وهل يؤتمن أمثالهم؟

وقد تصادف أن خرج شاكر للعيادة الطبية لمرض ألمَّ به، حينها شاهده الرفيعي من شباك الغرفة التي كان محتجزاً فيها، وعلى أثرها طلب من إدارة السجن السماح له بمقابلة اللجنة التحقيقية التي وعدته بإطلاق سراحه لتدوين إفادة لاحقة لما دون سابقاً معتقداً أن عمله سيساعد في تنفيذ وعدها بإطلاق سراحه.

وقد تضمنت إفادته الجديدة قوله أن الحزب قد أبلغه بأن شاكر العزاوي أحد الاعضاء الحزبيين الجدد وسيتم نقله إلى منظمته ويكون مسؤولاً عنه، وبسبب عدم معرفته به قبل ذلك فقد أتيحت له مشاهدته عن بعد كي يتأكد من شخصيته ومن ثم ضمه إلى منظمته، ولكن ذلك لم يتم ولم يتصل به، وعليه طلب منهم مجدداً إطلاق سراحه لأنه أفرغ مافي جعبته ولم يبق لديه شيء حسب تصوره، إلا هذا المسكين الذي لم يتسنَّ له تنظيمه.

لقد كان الرجل منهاراً إلى أبعد الحدود، وإلا لما كان يمكن أن يتصرف بالشكل الذي صدر منه، عندها وبسبب مهني بحت على ما أعتقد، كون المعترف عليهم من الضباط وهو مدني على ما أعتقد، فقد انتقم منه ضباط التحقيق انتقاماً

يتناسب مع ما كانوا يفعلونه كل يوم من تعذيب وزادوا عليه بفعل لايحسد عليه بعد أن قالوا له ما نصه (لك أنت نذل كسرت ركبة خمسين ضابط ما يكفي عاد).

وهذا الكلام نقلاً عن شاكر العزاوي الذي سمعه منهم عند التحقيق معه حال احضاره أمامهم بحضور حسين الرفيعي، وبعد أن نال ما يستحق كما بينت نقل إلى مجموعة الإعدام وبالكيفية التي شرحتها آنفاً.

حوار ساخن مع حسين الرفيعي

بعد مرور يومين من سماعي ما حصل للرجل من إهانة وتعذيب حسبما روى لي شاكر العزاوي، وبينما كنت في الحمام خلال الفترة الإضافية التي كنت أحظى بها من قبل مأمور المجموعة صباحاً، طرق أحدهم عليَّ الباب وكان يحمل وعاءً وطلب مني تزويده بالماء. نظرت إليه من خلال الصابون الذي كان يغطي وجهي وإذا به حسين الرفيعي (لقد كانت حنفيات المرافق عاطلة إلا من واحدة وجريان الماء ضعيفاً لايكاد يصل إرتفاع قدم واحد عن الأرض على أحسن الاحوال). زودته بالماء دون أن أكلمه تحاشياً إياه بسبب ما سمعته من شاكر عن استعداده للوشاية بأي شخص ما دامت تؤدي إلى إطلاق سراحه، وكانت قد عادت بي الذاكرة لظروف تعرفي به، فخشيت أن يستخدم معرفته بي لصالحه كما فعل مع شاكر العزاوي، على الرغم من أني لم أكن على اتصال مسبق أو صلة تنظيمية بهذا الرجل. وبعد فترة وجيزة عاد المذكور وطرق الباب ثانية وحيث كان الماء ضعيفاً وبالكاد أتمكن من جمع ما يكفي للإغتسال به. ومع ذلك استلمت منه الوعاء (طاسة) وباشرت بملئها له، وفي هذه الأثناء فتح الرجل فمه وقال (أكول أنت مو غازي؟) حينها سمع مني ما لم يكن يدور بخلده سباً مقذعاً منكراً معرفتي به معززاً ذلك بالسؤال منه وبلهجة تهكمية (أنت منين وهذا يا غازي اللي تسأل عليه؟)، استلم مني الماء وذهب لايلوى على شيء.

وتكرر لقائي بالرجل بعد حين

وبعد ما يقرب العام على ذلك الموقف الذي حصل معه والذي سبق وأن شرحته، وخلال تواجدي في الموقف العام تمهيداً لإطلاق سراحي بعد أن صدر الحكم ضدي وانتهت مدته، صادفت الرجل يسير مع المرحوم الدكتور حمدي يونس، لقد كان هذا الأخير أستاذي في المرحلة الثانوية مدرساً للغة الانكليزية في ثانوية الكرخ، سلمت عليه بكل احترام وتقدير يستحقه، فقد كان رجلاً ومربياً فاضلاً، عندها بادرني حسين الرفيعي وقال لي محلفاً (بشرفك مو أنت الذي كنت في الحمام) أجبته نعم ولكن هل تعتقد وهل يجوز في تلك الظروف أن أجيبك بالإيجاب وأنت في الحال الذي كنت عليه؟ لقد خشيت على نفسي منك بعدما سمعته من الآخرين. ولقد أيدني المرحوم الدكتور حمدي في ما ذهبت إليه في إجابتي والتفت إلى حسين وقال له اترك الموضوع لأنه حصل في زمن مضى، وتركت الرجل على حاله خجلاً أمامي وأمام الدكتور حمدي ولم أشاهده أو ألتقِ به بعدها أبداً.

حركة الشهيد حسن سريع ونقلنا إلى سجن نقرة السلمان

في صبيحة اليوم الثاني من شهر تموز همس بأذني أحد حراس مجموعتنا (كان ضابط صف برتبة جندي أول) وكانت علاقتي قد توطدت به مع مرور الأيام لتعاطفه معنا ومساعدته المستمرة لنا قدر استطاعته قائلاً لي من خلال الشباك (سيدي قريبا إن شاء الله ستخرجون وسأبلغك بالموعد). لم أخبر أحداً بما دار بيني وبينه تحرزاً من إفشاء السر لعدم معرفتي بحال جميع من فيها، إضافة إلى الخشية من ضعف أحدهم والمبادرة بالتطوع لإبلاغ الإدارة كما حصل في مسألة حسين الرفيعي، كذلك لعدم معرفتي عن طبيعة التحرك أو العمل وما سوف سيحصل سوى ما أخبر به ضابط الصف المتعاطف معنا والذي لم أتمكن من التعرف على مصيره بعدها ولحد الآن.

وفي الصباح الباكر تحقق ما كان قد أبلغني به هذا الرجل بعاصفة من أصوات الرصاص الذي أنطلق من كل جانب من جوانب السجن واشتد من جهة الباب الرئيس. وقد نتج عن هذا حدوث جلبة وفوضى وبدأنا نسمع وقع أقدام تهرول مع صياح غير مفهوم استغرق وقتاً ليس بالقليل بعدها انتهى كل شيء دون أن يصلنا أي خبر أو يتصل بنا أحد، وقد تأخر مسؤول المجموعة عن موعد فتح أبواب الغرف الذي اعتاد عليه يومياً لإتاحة الفرصة للموقوفين للذهاب إلى الحمامات وقضاء حاجاتهم، وبقي الجميع في حيرة من أمرهم، ومن جانبي لم أنبس ببنت شفة للسبب الذي بينته آنفاً. بعدها علم الجميع في ما بعد أن الشهيد حسن سريع (نائب عريف) قاد مجموعة من الجنود الشباب حديثي الانخراط في سلك الجندية ولكنهم أشد وأمضى عزيمة من الكثيرين، وهاجم السجن كما

أعتقل قسماً من الضباط الانقلابيين الذين تمكن من الوصول إليهم، وكان هدفه من ذلك إخراجنا من السجن ومن ثم التوجه للسيطرة على بقية مرافق الدولة والمراكز الحساسة لإنهاء سيطرة الانقلابيين على الحكم بمعاونة الضباط الموجودين داخل السجن بعد تحررهم وتوجههم لقيادة وحداتهم السابقة أو أية قوة يمكن الاستفادة منها لهذا الغرض، إلا أن محاولته فشلت مع الأسف، لأسباب مختلفة ربما سنأتي عليها في مكان آخر. وكان من جرّاء ذلك أن أصيبت قيادة الانقلابيين المهتزة وغير المتوازنة أصلاً بالهلع واتخذت قراراً توضح فيه مدى الحقد والغل الذي تمكن في الصدور المريضة التي لاتعرف غير القتل، حيث اتفقت على نقلنا إلى نقرة السلمان دون مراعاة لأبسط حقوق الأسير أو السجين وقواعد العدالة حيث تقرر نقلنا إلى ذلك السجن دون أن يكون لأغلبنا يد أوعلم في ما حصل في الخارج سوى سماع لعلعة الرصاص التي خفتت بعد حين وكذلك الجلبة التي رافقت ذلك. وما أن حل عصر يوم الرابع من تموز حتى تم إخراجنا جميعاً من الغرف والمجموعات ومن ثم تقييد أيدينا بالحبال من الخلف وتجميعنا، وما كان لدى كل منا من أغراض على شكل رتل شبيه بما حصل حين نقلنا إلى سجن الحلة، ونقلنا بالسيارات إلى محطة قطار البصرة بحراسة مشددة.

قطار الموت

تم أنزالنا من السيارات أمام المحطة ومن ثم إلى داخلها وهناك وعلى الرصيف شاهدنا قطار حمل بعرباته القديمة المفتوحة الأبواب على غير العادة، حيث يقف في ذلك الرصيف قطار المسافرين. ولم يكن أحد منا يتصور أنه سيوضع أو ينقل بتلك الواقفة مكانه، ولكن هذا هو الذي حصل من رفاق الدرب وأخوة السلاح، حيث جرى توزيعنا عليها بواقع ما يقارب العشرين فرداً للصغيرة وحشر أكثر من ذلك بكثير للعربة الكبيرة ولم نصدق أنفسنا، إذ كيف يتم نقل البشر في مثلها وهي لم تصمم إلا لنقل البضائع كما لايمكن نقل أي حيوان فيها لعدم توفر أي منفذ أو شباك في أية جهة من جهاتها الأربع (هيكل حديدي بأبواب حديدية لا منفذ فيها كما بينت سوى الفراغات البسيطة التي تؤمن حركتهاعند الفتح والإغلاق والتي لايمكن أن نرى من خلالها أي شيء سوى تسرب ودخول بعض الهواء منها ولا غير ذلك).

ولقد أشرف على حشرنا في هذه العربات علاوة على ضباط السجن قادة عسكريون كبار من قادة الانقلابيين أبرزهم اللواء رشيد مصلح الذي تبوأ منصب الحاكم العسكري وصاحب البيان المعروف بالرقم ثلاثة عشر الذي طالب فيه بإبادة كل من قاوم ذلك الانقلاب ناعتاً إياهم بالشيوعيين وغير ذلك من الأوصاف التي كانت تمثل أوسمة شرف لكل من ساهم في تلك المقاومة الشريفة، كذلك الفريق طاهر يحيى وعدد من الضباط ذوي الرتب العليا بمباركة من أحمد حسن البكر وعبد الغني الراوي إضافة إلى بعض المسؤولين من المدنيين، وتم إغلاق الأبواب علينا بعد انتهائهم من أركاب الجميع والتأكد من عدم تخلف أحد منا.

أثناء عملية الصعود الى القطار التي طالت بعض الشيء، أسعفنا الجنود ومنتسبو الانضباط العسكري بالماء حيث بادروا بملئ كل ما توفر لدينا من أوعية وقدور وغيرها. لقد كان كل هؤلاء متعاطفاً معنا إلى أبعد الحدود، حيث استغلوا كل الفرص التي أتيحت لهم لمساعدتنا نتيجة للوازع الإنساني الموجود في داخل كل واحد منهم، ولعدم تصورهم بإمكان نقل أي حيوان ناهيك عن البشر في مثل هذه العربات، فتسابق الجميع للمساعدة التي قل نظيرها بالنسبة لإمكانياتهم ومستوى الحذر والخشية من أولئك الأقزام الذين كانوا لنا ولهم بالمرصاد.

وحلّ الظلام الدامس

وحين أغلقت العربات ووقعنا في ظلام دامس لانرى منه أي شيء إلا خيالاً للنور من الفراغات التي أشرت إليها، كان نصيبنا من الماء بعضاً من القدور الصغيرة وقنينة بلاستك من نوع القناني التي توضع في الثلاجة وكانت تعود لي بعد أن وصلتني عن طريق الأهل خلال المواجهات النادرة التي سمح لنا فيها قبل هذا الذي حصل وزعزع كيانهم. وما أن تحرك القطار بعرباته تلك حتى أهتزت وأخذت تميل يميناً وشمالا مما أدى إلى انسكاب الماء من تلك الأوعية والقدور بسبب ذلك الاهتزاز والميلان، وكانت المحافظة عليه شغلي الشاغل، كون تلك الأوعية مفتوحة ويتعذر إغلاقها لعدم توفر أغطية لها، إذ كيف يمكن تصور الصمود بدونه، خاصة بعد أن همس بأذني أحد ضباط الصف من الانضباط العسكري قائلاً لي(أنتوا منقولين لنكرة السلمان سيدي)، ومر مسرعاً من جانب العربة، عندها علمت الوجهة التي يقصدها القطار ومن أمر بتحريكه من أولئك الاقزام المتآمرين.

وقد تصادف أن كان معظم الموجودين معي في العربة من أخواننا الأكراد الذين لم يسبق لهم معرفة المسافة التي سيقطعها القطار والوقت اللازم للوصول إلى السماوة بقطار حمل وليس قطار مسافرين، ولأن خط السكة الواصل بين بغداد والبصرة كان خطاً واحداً يقتضي من القطار النازل التوقف في بعض المحطات لحين فسح المجال للقطار الصاعد بالعبور،إضافة للسرعة المحدودة في ذلك الوقت والتوقيتات المحددة لسير كل قطار لضمان عدم التصادم، وبالتالي لايمكن للمرء تقدير الوقت للوصول، وهذا ما كان يفتقده رفاقي في

العربة بسبب جهلهم بالطريق الذي كنت أعرفه جيداً، حيث خدمت لمدة ثلاث سنوات ضمن تشكيلات الفرقة الأولى في الديوانية، وكذلك تنقلي إلى الناصرية لدواعي الخدمة في ذلك الحين، إضافة إلى معرفتي الجيدة بموقع سجن نقرة السلمان الذي كنت قد زرته واطلعت على مرافقه في ربيع السنة الثانية من عمر الثورة، حين تم تكليفي من قبل قيادة الفرقة بواجب الاستطلاع في المنطقة الجنوبية ومخافرها والتجمعات السكانية الحدودية منها على وجه الخصوص.

مقاومة المحنة والتغلب عليها

لقد أفادتني معرفتي بالطريق لطمأنة الموجودين معي في تلك العربة وكذلك السيطرة على المتوفر من الماء وعدم التصرف به بشكل عشوائي، خاصة وإن ما تبقى منه لايكاد يكفي للعدد الذي كنا عليه. وما أن تبدأ الحرارة المتولدة من أجسامنا وتنفسنا بالارتفاع داخل العربة ومن ثم تعرض الهيكل الحديدي الذي كنا قد حشرنا فيه تحت شمس تموز الحارقة حتى يبدأ الجميع بالتهافت على شرب الماء الذي كان يجب عدم التصرف به إلا في الضرورة القصوى والحاجة الماسة له مع كثرة عدد المطالبين بتزويدهم به على الرغم من قلة الموجود منه لدينا.

واصل القطار سيره البطيء ونحن في ظلام دامس لايكاد أي منا يرى زميله الجالس على الأرضية الحديدية للعربة التي حشرنا فيها سوى في البعض من المحطات التي كان يتوقف فيها، حيث يتسلل بصيص من الضياء المتولد من المصابيح المضاءة في أبنيتها إلى الداخل خلال الفراغات الخيطية بين الأبواب.

وصلنا الحلة مع الضياء الأول من صباح اليوم الخامس من تموز، عندها توقف القطار فترة غير قصيرة حيث بدأ الضياء يمكّننا من تمييز بعضنا البعض ولكن بصعوبة، إلا أنها كانت ذات فائدة أدت الغرض الذي كنت أنشده لطمأنة زملائي والحفاظ على حياة الجميع حتى الوصول إلى السماوة وهي المحطة الأخيرة التي يتحتم فيها أخراجنا من العربات ومن ثم نقلنا بالطريق البري إلى سجن السلمان.

ناديت على الجميع وطلبت منهم الاقتراب مني وشرحت لهم الموقف وأفهمتهم بالمأزق الذي وضعنا فيه وطلبت منهم محاولة الصيام كما يقال وأبلغتهم أن مستوى سير القطار على هذا المنوال سيؤدي بنا إلى البقاء دون ماء قد لا نقوى على احتمال فقدانه نظراً للوقت الطويل الذي سيستغرقه للوصول إلى المحطة النهائية، وأبلغتهم أن من يريد الحصول على الماء لن يحصل إلا ما يستوعبه غطاء القنينة (لايتسع لأكثرمن أربعة سنتمترات مكعبة)، وسوف لن أتناول منه أي زيادة، أي أن ما يصيب أي فرد منا لايزيد على الأفراد الآخرين بل يساويه، ولقد أحسست بالخطر الداهم وتصورت كيف سيكون مصير الجميع لو نفذ الماء ونحن في هذا الفرن، خاصة ونحن مازلنا في الحلة وقد تجاوز الوقت الساعة السابعة صباحاً فكيف بنا وبقية المسافة الطويلة وبعد تزايد حرارة الشمس ساعة بعد أخرى، لقد صدع الجميع لذلك بعد أن تيقنوا بمعرفتي بالطريق وساد الجميع شعور تضامني للمحافظة على الحياة مع تعاظم وارتفاع درجات الحرارة، وأصبحت العربة في حرارتها وكثافة البخار المتولد فيها تفوق حرارة وكثافة بخار أي حمام شرقي في العالم.

أخذ العرق يتصبب من أجسامنا بغزارة لاتصدق. كانت أحذيتنا تمتلئ بالماء وكأننا نخوض في بركة منه كما كنا نقوم بعصر ملابسنا وكأن أياً منا خارج من بركة سباحة وهو مرتديها، لذلك أجبرنا على خلع أغلب ما كان علينا من الملابس سوى السراويل والفانيلات، وحين نضع ملابسنا مرة أخرى تبتل بسرعة لا تصدق. كان العرق يتساقط من وجوهنا وأيدينا ومن كل أنحاء أجسامنا حتى أبتلت أرضية العربة منه.

لقد ساعد ضوء الشمس على اكتشاف بعض الثقوب الصغيرة في هيكل وجسم العربة الحديدية نتيجة لقدمها والصدأ الذي أكل بعضاً من بدنها على زيادة كمية الضياء الداخل إليها، كما ساعد ثقب صغير منها لا يمكن الرؤية من خلاله إلا أن تضع عينا واحدة على جدار العربة الحديدية كي نتمكن من

رؤية الفضاء الخارجي، وكنت ما أن نصل محطة وحين يبدأ القطار بإبطاء السير للتوقف فيها إلا وأحاول أن أعرف المكان الذي وصلنا إليه لطمأنة الموجودين معي من خلال قراءة العلامات المثبتة لتعريف كل محطة، والتي كنت من خلالها أستطيع معرفة اسم تلك المحطة وأخبرهم به مع توقعي بالوقت اللازم للوصول إلى المحطة التالية.

كنت أجلس على قدرٍ قلبته بعد نفاذ الماء منه خاصة وأنه قد انسكب القسم الأكبر منه بمجرد حركة القطار، وكنت أجلس القرفصاء والعرق يتصبب من كوعي، وحين أترك هذا الكرسي (القدر) كي أراقب الطريق وأعرف أين وصل بنا القطار وأعود إليه يصبح ذلك القدر وكأنه قد أخرج تواً من الفرن. هكذا كنا نقاسي في الطريق ولم نزل بعد لم نصل الديوانية، فكيف ببقية المسافة بعد أن أصبح الكثير منا بالقرب من الموت اختناقاً وإعياءً، وقد أغمي على اثنين من رفاقنا وأخذ الأخوة الاكرد ينادون (هي هوار هي هوار) ولم أكن أعرف ما تعنيه هذه النداءات إلا أن أحدهم أخبرني أنه دعاء أستغاثة. لقد شارفنا على الموت فعلاً ومع مرور الوقت ازدادت حرارة العربة وأصبحت فرناً كبيراً توقعت أننا سنقضي بعد حين إذا استمرالحال على ما هو عليه.

وازدادت سرعة القطار

وحين وصلنا محطة الديوانية المدينة التي عشت فيها قبل ثورة تموز، تذكرت كيف كانت حينها تعاني من فقر مدقع، لولا وجود وحدات للجيش فيها كمقر الفرقة وقطعات الأسلحة الساندة إضافة إلى فوجين من اللواء الرابع عشر، حيث يعتمد اقتصادها على ما يتحصل من انفاق منتسبيها في السوق، وحين تغادرها القطعات لإجراء التمارين التي قد تطول مددها في بعض الأحيان يظهر للمتابع مدى تذمر السكان، اذ تشل الحركة التجارية وتبدأ المطالبة بإعادة تلك الوحدات الى مقراتها، وقد يلجأ الباعة إلى تقديم الالتماس للجهات الرسمية بهذا الصدد وكيف انتعشت هذ المدينة اقتصاديا بعد ثورة تموز المباركة.

وعلي حين غرة بعد أن تحرك القطار من الديوانية إذ توقف فيها لفترة غير قصيرة حتى شعرت بزيادة السرعة تدريجياً ثم تزايدت إلى حد لم نألفه خلال فترة سيره التي بدأت من بغداد (علمنا في ما بعد) أن السائق قد علم بماهية ونوع الحمل الذي تحويه العربات فأخذ يزيد من سرعته محاولاً الوصول إلى محطة السماوة متجاوزاً بعض المحطات التي سبقتها مثل الحمزة الشرقي وسواها من المحطات الصغيرة والتي قد لايستدعي التوقف فيها.

ووصل القطار إلى محطة السماوة

وصل بنا القطار إلى محطة السماوة وهي الأخيرة في عملية القتل المتعمد الذي قصده من قرر تسفيرنا فيه، بعد أن أخذ الإعياء منا كل مأخذ وجفت أجسامنا بشكل لايمكن وصفه، وحين تم فتح الأبواب لأفران الموت (العربات الحديدية) وحين هممت بالنزول منها دارت بي الأرض ولم أتمكن من السيطرة على نفسي ودرت دورة كاملة وعاد وجهي صوب العربة، وكان هذا حال الجميع، فكيف بالذين فقدوا الوعي وما أكثرهم. وبعد نزولنا من العربات أقتيد الجميع إلى فناء المحطة وتركنا فيها لفترة غير قصيرة. لقد كان الجميع مصاباً بالإعياء والتعب بما في ذلك الحراس، وفي الفناء دبت الفوضى وعم الهرج وتركنا على حالنا في تلك المحطة ولولا شهامة أهالي السماوة الكرام وفطنة الأطباء الذين كانوا محتجزين معنا في القطار والذين أطلقوا الصيحات تنبيهاً للجميع بعدم شرب الماء خالياً من الملح لانهار أغلب الموجودين بسب فقدان أجسامنا من الأملاح والماء، وأذكر من هؤلاء الأطباء الدكتور رافد صبحي أديب والدكتور عبد السلام بالطة، كذلك الدكتور لطفي الجراح وغيرهم من الأطباء الذين نالتهم يد الشر والإجرام واحتجزوا شأن البقية في السجن رقم واحد ومن ثم حشروا معنا في قطار الموت.

موقف شجاع ومشرف من أهالي السماوة

لقد ساهم أهالي السماوة الكرام مساهمة لاتنسى وستضاف إلى تاريخهم الوطني المشرف، فما أن شاهد البعض من الموجودين منهم في المحطة حالنا، وعلموا بحاجتنا إلى الماء الممزوج بالملح حتى تركوا المحطة مهرولين إلى البلدة، وما هي إلا دقائق حتى تكدست الأوعية الفخارية في المحطة (حبوب ومفردها باللغة العامية حب) وتم ملؤها بالماء وكميات من الملح لكل وعاء وبدؤوا بتوزيعه علينا، متحدين كافة الحراس من خدم الانقلابيين المتواجين في المحطة، سواء من كان القليل منهم من أهالي السماوة، أو من الذين رافقونا من بغداد.

لقد أدت كميات الملح التي مزجت بالماء وظيفتها لسد النقص الحاصل في أجسامنا وبدأنا نستعيد شيئا من قوانا وأفادتنا كثيراً وزادت من معنوياتنا بفضل همة وشجاعة وكرم أهالي السماوة، وشعرنا بعزلة النظام، حيث سيطر هؤلاء على المحطة ولم يتمكن الحراس من فعل أي شيء لمنعهم من مساعدتنا. لقد كنا جمعاً يزيد على الستمائة شخص منهم الضابط والطبيب العسكري والصيدلي والكاتب والأديب والشاعر من مختلف الأعمار والرتب، حيث حشر الجميع في هذا القطار.

ولقد استشهد الرئيس الأول (الرائد) يحيى نادر رحمه الله وأصيب القسم الأكبر بأمراض مختلفة جراء ما حل بهم خلال رحلة قطار الموت سيئة الصيت. الخزي والعار لمن ارتكبها وخطط لها ونفذها.

ودبت روح التحدي من جديد

بعد أن التقطنا أنفاسنا وأخذت الحياة تدب فينا وفي أجسامنا من جديد، أخذت روح التحدي تتصاعد لدى الكثير من الضباط وغيرهم ممن نقلوا معنا وبدأ التشاوريسري بين الجالسين وكل منا يفكر بطريقة للخلاص أو يناقش فكرة تصل إليه أو تعرض عليه من زميل مجاور، وقد كثر التفكير في الهرب بعد الاستيلاء على الحراس وأسلحتهم، ومن هناك ومن المحطة تبدأ عملية المقاومة من جديد. كان تفكيراً لاينسجم مع الواقع، لعدم توفر مستلزماته وأقلها وأولها عدم معرفة مسالك ومقتربات المدينة ومواطن الضعف والقوة لدى الخصوم وغير ذلك. كانت فكرة أملتها الظروف التي أحاطت بنا والانفعال الذي تسببه نقلنا في قطار الموت وعلمنا باستشهاد زميل عزيز لنا عرف بالشجاعة ودماثة الخلق، ولولا ما حصل، لما خطرت ببال أحد منا، فلم نكن نملك سلاحاً سوى ما قد نتمكن من الاستيلاء عليه من الحراس وهو قليل جداً بالقياس إلى مجموعنا، كما لم نكن نعرف أحداً من أهالي السماوة سوى الذين تعرفنا على القسم القليل من الذين تطوعوا وتبرعوا بجلب الماء والملح بدافع إنساني، ولم يكن أحد قد فكر بأكثر مما قام به، وإلا كان بمقدور من همس بأذن البعض منهم بالفكرة، الموافقة عليها، وهكذا تضاءل الحماس والتفكير فيها دون أن تهتز المعنويات أو تخبو روح التحدي.

وأخيراً تحرك بنا الركب إلى سجن نقرة السلمان

كانت هناك سيارات قد أعدت مسبقا لنقلنا إلى نقرة السلمان، وكان الحرس قد أحاط بالمحطة من كل جانب بعد أن تم إحضار قسم كبير من بلدة السماوة لمساعدة الموجودين عند وصولنا، زيادة في التحرز من ردود الفعل المحتملة من قبل الموقوفين أو أهالي السماوة بعد الذي بدر من أولئك الأشخاص الذين تبرعوا بمساعدتنا. وما أن تحرك الرتل حتى تصاعد الحماس من جديد وانتقل صوت المنشدين من عجلة إلى أخرى وأخذت كلمات النشيد الأممي تطرق آذان الحراس الذين رافقونا بقوة دون أن يتمكن أو يجرؤ أي منهم أن يتفوه بكلمة أو يحرك ساكناً، حيث أخذتهم المفاجأة، وربما تلبسهم الخوف لكثرة أعداد الموقوفين. وهكذا قطعت المسافة بين المحطة والسجن ما بين هتاف ونشيد وأرجوزة أو أغنية وطنية.

في سجن السلمان

كان سجن نقرة السلمان في الأصل قلعة صغيرة بناها القائد الانكليزي الملقب «بأبي حنيك» إبان الاحتلال خلال الحرب العالمية الأولى لاستخدامها والاستفادة منها باعتبارها موقعاً متقدماً لقوة عسكرية يستفاد منها في السيطرة على الاضطرابات والمنازعات التي تحصل بين العشائر هناك. وكان من الطبيعي أن تبنى بمواصفات تجعلها صالحة للدفاع والصمود لفترة طويلة في حال محاصرتها، لوقوعها في منطقة صحراوية بعيدة عن العمران ويصعب الوصول إليها خاصة في ذلك الزمن الذي يندر فيه استخدام المركبات ووعورة الطرق الرملية في الصحراء. وعلى هذا الأساس بني فيها طابق تحت مستوى الأرض وحصن تحصيناً جيداً توفرت فيه مزاغل للرمي محمية بحديد مصفح لتجنب الإصابة من رصاص المهاجمين في حال حدوثه، كما روعي فيه تأمين امكانية خزن مواد الإعاشة والماء لفترة طويلة.

وبعد حين وخلال العهد الملكي وخصوصاً في الأربعينات وبعد أن انتفت الحاجة إليها عسكرياً أستخدمت سجناً للسياسيين الذين كانت الدولة في ذلك الوقت تعتقد أنهم يشكلون خطراً كبيراً عليها، لما تتميز به من بعد عن أقرب مدينة، ولوقوعها في الصحراء، حيث يستحيل الهرب منها لهذه المزايا، وكذلك لما تمثله من وسيلة ارهاب، كونها منفى يقطع صلة من يودع فيها عن العالم الخارجي ومجلبة للمشقة والعناء لذوي السجناء. كانت كابوساً مخيفاً، وكان التلويح بالنفي إليها يمثل رعباً حقيقياً لكل فرد في ذلك الوقت، وقد استخدمتها الحكومة لكسر معنويات معارضيها كما كانت تتصور، وهكذا كانت هذه

القلعة، حيث استغلت واستخدمت كسجن للسياسيين وخاصة مناضلي الحزب الشيوعي ومناصريهم.

و بعد تزايد الوعي الوطني لدى الجماهير وتنامي أعداد المعارضين لحكومات العهد الملكي التي ربطت مصيرها بالاستعمار والأحلاف الأجنبية في ذلك الحين، اقتضت الحاجة إلى توسيع هذا السجن. وهكذا تم بناء عدة قاعات كبيرة تتسع لعدد أكبر من السجناء أو الموقوفين ثم زيد عددها بحيث وصل العدد النهائي إلى إثنتي عشرة قاعة إضافة إلى المرافق الملحقة بها من مطابخ وحمامات وغيرها.

كما أحيطت بجدار حجري عالٍ وألحقت القلعة القديمة به وأصبحت جزءا منه وأصبحت رمزاً للظلم وكبت الحريات في ذلك الحين، ونظراً للسمعة والأثر السيِّئ الذي كان قد خلفه ذلك السجن في النفوس في ذلك الحين، فقد تم إلغاء سجن نقرة السلمان في بداية ثورة الرابع عشر من تموز كرمز لعودة الحرية والكرامة لجميع أفراد الشعب العراقي، إلا أن هذا الإلغاء لم يستمر طويلاً مع الأسف الشديد.

قصتي مع سجن نقرة السلمان والبادية الجنوبية

لقد تسنى لي الاطلاع على أبنية ومرافق هذا السجن بما فيها القلعة القديمة خلال عملي بمنصب ضابط استخبارات اللواء الأول بعد ثورة تموز المجيدة، حيث تم تكليفي من قبل اللواء الركن سيد حميد الحصونة قائد الفرقة الأولى التابع لها هذا اللواء والذي كنت قد عملت تحت أمرته ومعه في اللواء قبل أن يتم تعيينه قائدا لها.

كلفني بعد استدعائي لمقر الفرقة في الديوانية بالقيام بجولة استطلاعية في البادية الجنوبية بناءً على طلب القيادة العامة للقوات المسلحة، وهكذا قمت بتنفيذ الأمر، حيث استغرقت جولتي فيها أربعة وعشرين يوماً بلياليها، وحين عدت إلى مقر عملي قمت بكتابة تقرير مفصل ضمنته مشاهداتي واقتراحاتي لتطوير المناطق الحدودية التي كلفت بزيارتها والتعرف على مشاكل البدو وكيفية معالجتها وأمور أخرى اقتضت مني الاجتماع بالكثير من شيوخ القبائل أمثال الشيخ عجمي سويط كبير شيوخ الضفير وغيره من الشيوخ.

هذا التقرير كان قد لاقى استحساناً وقبولاً من القيادة العامة للقوات المسلحة بعد رفعه من قبل مديرية الخطط العسكرية إليها، حيث وضعت خطة عمل لتنفيذ المقترحات وتم تنفيذ القسم الأكبر منها وأهمل الباقي لأسباب أجهلها. وكان ذلك التقرير السبب المباشر لاستدعائي من قبل الزعيم الشهيد عبد الكريم قاسم ومقابلته في الخامس من تموز، أي قبل مضي سنة على الاحتفال بالذكرى السنوية للثورة المباركة.

كان من ضمن المناطق التي توجب علي التواجد فيها والمرور عليها بادية وناحية السلمان التي يقع فيها السجن المذكور، ولهذا السبب تمت زيارتي له والاطلاع عليه لشهرته، ودراسة إمكانية استخدام الأبنية لأغراض أخرى بعد مشاهدتها ميدانياً، وهكذا استعنت بضابط الشرطة الرئيس (نقيب) صالح، الذي قدم لي شرحاً مفصلاً عنه وعن كيفية إيصال الماء والمؤن إليه في تلك الصحراء النائية وغيرها من الأمور، وحين دخلته لمعاينتها أعتراني هاجسٌ هز كياني وكأنه أنبأني بالعودة إليه كأحد نزلائه يوماً ما، وشعرت بالخوف من جراء هذا الهاجس الذي مر سريعاً، وها أنا أكتب عنه بعدما عشت فيه كأحد نزلائه.

فاتني أن أذكر أنني حين زرت السجن وقتها وجدت فيه مجموعة من النزلاء لايزيد عددهم على السبعين فرداً علمت حينها أن السلطة في بغداد ضاقت ذرعاً بالنشالين والسراق فجمعت كل المعروفين لديها من الذين اتخذوا من سوق الخفافين والبزازين وسوق السراي وكذلك أنحاء بغداد الأخرى مرتعاً لممارسة أعمالهم الإجرامية وأودعتهم في هذا السجن، وتخلصت العاصمة منهم، وكانت هذه العملية فاتحة للعودة إلى إعادة استخدامه كسجن من جديد.

الحياة اليومية في السجن

أدخلنا السجن وتم توزيعنا على قاعاته، وكان من نصيبي أن أودع في القاعة السابعة (قاووش سبعة كما يطلق عليها السجانون). كان هؤلاء السجانون من منتسبي مديرية السجون العامة، وبالتالي كان تعاملهم معنا جيداً قياساً لما كنا نعامل به في السجن رقم واحد، شأنهم بذلك شأن سجاني سجن الحلة المركزي بل وأفضل منهم. سجانون مسلكيون يعاملون السجين السياسي باحترام، وما أن تم إدخال الجميع وتوزيعهم على القاعات حتى غادرنا هؤلاء وتركنا ننظم شؤوننا بأنفسنا ودون تدخل من الإدارة أو السجانين الذين لا نراهم إلا صبيحة كل يوم لإجراء التعداد الصباحي الذي يتم ونحن جلوس كل في مكانه وعلى فراشه دون أي إزعاج أو مضايقة تذكر.

وحين دخلنا استقبلتنا مجموعة من السجناء السياسيين المودعين في السجن منذ أن انقلب عبد الكريم قاسم على الشيوعيين واليسار بفعل من أحاط به من المتآمرين عليه ووثق بهم أمثال جاسم العزاوي ومن لف لفه، وكان من جرّاء ذلك أن أطلق يد العقيدين شاكر مدحت السعود وشمس الدين عبد الله اللذين ترأسا المجلسين العرفي الأول والعرفي الثاني واختصهما بمحاكمة الشيوعيين واليساريين وغيرهم ممن يتعاطف معهم، حيث كانت الأحكام تصدر بالجملة بحق من تطاله أيديهما، والمفارقة أن الكثير من الذين صدرت الاحكام بحقهم لم يكن لهم يد في ما كان ينسب إليهم من تهم.

كانت المجموعة التي أشرت إليها منظمة وواضعة يدها على كل ما يختص بإدارة الأمور التي تخص الحياة اليومية للسجناء، فكان هناك من اختص بشؤون

المطبخ وكذلك مخزن الأرزاق والمخبز الذي يديره (هندال) بمعاونةعدد من المتطوعين، وكان هندال أحد الشيوعيين من أهالي البصرة ومن اللذين أودعهم زبانية عبد الكريم قاسم السجن بعد انقلابه عليهم كما بينت، بدعوى محاولة التوازن بين القوى كما صور له، وحين ألقي القبض على هندال الذي كان عضواً في إحدى نقابات العمال خرجت مظاهرة في حينه تطالب بإطلاق سراحه بعد أن أشيع أنه أودع في مكان مجهول وكانت الجماهير تنادي بالهوسة التالية (حي ميت هندال نريده اسمع ياكريم). لقد كان الرجل دمث الخلق منظماً في العمل يمكن أن يعطي صورة جيدة عن أخلاق وأدب ونزاهة كل شيوعي مخلص ومحب لوطنه وشعبه، لذلك لم نجد أو نلاقا أية صعوبة في التأقلم مع الوضع الجديد، حيث رتب ونظم كل شيء بسرعة ويسر من قبل اللجنة المنظمة التي سبقتنا إليه كما بينت. ولقد تركت لنا الحرية في النوم داخل القاعة أو في باحة السجن الواسعة، حيث السماء والنجوم تتلألأ في سماء الصحراء الصافية وكنا نستمع إلى الأخبار التي تهم الوطن والبعض من الأغاني من القليل من أجهزة الراديو المهربة لنا في الفترة من الثامن من شباط الأسود وما تلاها وحتى وصولنا حيث نخفيها نهاراً ونستفيد منها ليلاً.

كانت كل قاعة أو القاووش كما تعارف عليها السجانون تتسع لمنام سبعين شخصاً ينام نصفهم في جانب ويقابله النصف الآخر في الجانب المقابل له بيسر وسهولة ودون مضايقة مع توفر فسحة للمرور في الوسط يبلغ عرضها المتر ونصف المتر تقريباً، غير أن عدد من توزع على كل قاعة يزيد على الضعف أو يقل قليلاً، وبذلك كان يتعين على الجميع أن يتراصف ويقترب من فراش زميله أكثر فأكثر حسب الموقف اليومي لأعداد الموجودين والتي تتغير كل يوم كي يتاح لكل منا النوم. وكان الشباك يسبب مشكلة يومية للزملاء لرغبة كل منهم بالحصول على ميزة النوم أمام وتحت فتحته بسبب سماكة الجدار الذي يوفر مجالا ومساحة واسعة لوضع الكثير من الحاجيات داخلها، كذلك إمكانية خزن الماء في الأوعية الصغيرة التي يحتفظ بها كل سجين، وبالتالي يحرم من هذه

الميزة من لا يكون موقعه أمامه أو قريباً منه جراء الحركة والتراصف شبه اليومي الذي يحصل لأسباب شتى، وكان ذلك يسبب الحرج الشديد لمن يتولى تنظيم التراصف من مسؤولي القواويش، وخاصة مع الذين يتمسكون بأماكنهم من الضباط كبار السن أو الرتبة من المتواجين في القاعة وما أكثرهم في القاووش، حيث كان عدد هؤلاء الكبار يقترب من الثلاثين وبما يعادل أويزيد على عدد شبابيك للقاعة.

ولقد نظم الذين سبقونا عملية التزود بحاجة المساجين من الماء ولكافة الأغراض حيث يتم استلامه عن طريق خرطوم الماء الذي تحمله السيارة الحوضية التي تجلبه من منطقة بعيدة عن السجن ويدخل الخرطوم من فتحة في الجدار والسيارة خارج السجن ويتم استلامه بواسطة الصفائح المعدنية التي تحمل يدوياً من قبل الأفراد ومن ثم إلى الخزانات، وكان مسؤول كل قاعة ينسب عدداً من الموجودين من الشباب وبشكل دوري للقيام بهذه المهمة التي تتوزع دورياً على القاعات أيضاً، كذلك بالنسبة للطعام ومهام الطبخ والتوزيع، علماً أن هناك عدداً من الطباخين والخبازين الدائميين من بيننا وما أكثر الذين كان لهم شرف التطوع للقيام بتلك الأعمال مساعدة لزملائهم. كنت ترى الإيثار والخلق الرفيع والتواضع لدى أولئك الذين احتضنوا الثورة وتفانوا من أجلها حباً وإخلاصاً لوطنهم وشعبهم، على الرغم من كل الأهوال والمصاعب التي صادفتهم خلال المسيرة النضالية المشرفة لكل منهم.

علاقتي بمنظمة السجن

في البدء لم تكن لي أي علاقة بمنظمة السجن، حيث كان هناك مسؤول في كل قاعة من بين السجناء القدامى ينظم أمورهم ويطلعهم على ما يتوفر ويستجد من أخبارٍ تهم السجناء والوطن بصورة عامة أو أية أمور تنظيمية يتسلمها من منظمة السجن التي أشرت إليها وتخص الحياة اليومية على الأغلب، حيث يتم ذلك في ساعة معينة كل يوم، وكان مسؤول القاووش رقم سبعة الذي كنا فيه من أخواننا السجناء القدامى وكان رجلاً مدنياً لم يسبق له الخدمة في الجيش تنقصه الخبرة التنظيمية علاوة على التزمت في التعامل دون سوء قصد وكأنه خلق هكذا.

و في أحد الأيام حضرالأخ الرائد جبار خضير الحيدر (أبو ظافر) وأبلغني أن منظمة السجن قد اختارتني لتولي مسؤولية إدارة القاووش (القاعة سبعة) بدلاً من المسؤول السابق لانتقاله إلى مكان آخر، وكان لهذا الاختيار وقع طيب وقبول حسن لدى نفوس من كان فيها، بسبب كوني أحد الضباط المتواجدين، لأن أغلب شاغلي القاعة هم من كبار الضباط أمثال المرحوم العقيد سلمان الحصّان والعقيد عبد الرحمن القاضي، كذلك المقدم غضبان السعد والمقدم سعدي، إضافة إلى المقدم عدنان الخيال وغيرهم كثيرون. وكان يتعين علي أن أعفي هؤلاء من مشقة نقل الماء بواسطة الصفائح لكبر سنهم ومنزلتهم، كما كان من بين من في القاعة بعضٌ من الأطباء أمثال الدكتور لطفي الجراح كذلك الأدباء والمفكرون أمثال الأستاذ نعيم بدوي وغيره الكثير. على أية حال تسلمت المسؤولية برحابة صدر، وكان سبب التكليف في ما أعتقدت هو كوني ما زلت أعاني من جراحي السابقة، وبالتالي كان يجب أن أقوم بعمل ما بعد أن تم إعفائي

من نقل الماء، إلا أنني علمت في ما بعد أن أبا ظافر الذي كان عضواً في لجنة السجن كما بينت هو الذي اقترح تكليفي بهذه المهمة كي أكون صمام أمان بين الضباط المتواجدين في القاعة ولجنة السجن بسبب حصول بعض الاحتكاكات البسيطة وسوء التفاهم مع البعض منهم وبين المسؤول السابق. ومع مرور الوقت حصل في يوم من الأيام أن أصطدمت باللجنة دون قصد أو تعمد ولم يكن أحد منا يبتغي إيذاء أو الانتقاص من الآخر كوننا في مركب واحد وهمنا جميعاً هو توفير أكبر قدر من الراحة والانسجام بين الموجودين جميعاً. وقد بذلت أقصى ما أستطيع من جهد لهذا الغرض، ومع ذلك فقد حصل الاصطدام بيننا بسبب تزمت بعض النزلاء والتزامهم بتنفيذ تعاليم الحزب بحرفية، وكأن الجميع قد تربى عليها منذ الصغر، كذلك عدم استيعابهم ومعرفتهم التقاليد العسكرية كونهم مدنيين مارسوا واحترفوا العمل السياسي بقوالب متزمتة لاتدل على سعة الأفق أو الدراية، وسبب ذلك في ما أعتقد هو حداثة البعض منهم وما وصلهم من أخبار مغلوطة ومتضاربة عن الوافدين إليهم.

بدأ سوء الفهم والتململ لدى البعض حين عممت اللجنة تعليمات حزبية على البسطاء من ضباط الصف والجنود تلزمهم بعدم مخاطبة الضباط بكلمة «سيدي» وكذلك عدم التطوع لمعاونة أي منهم في قضاء بعض الاحتياجات الحياتية والتي كان هؤلاء يقضونها عن طيب خاطر، لأن جل الضباط الموجودين كانوا على علاقة طيبة بينهم وبين منتسبهم وكانوا على خلق وانسجام في ما بينهم جميعاً. كان التعميم يتضمن التوقف عن تلفظ كلمة «سيدي» وأبدالها بكلمة «رفيق»، وقد أدى هذا التعميم إلى استهجان الكثيرين، خاصة وأنهم كانوا قد تعودوا طيلة خدمتهم في سلك الجندية على استعمال مفردة «سيدي» التي كانت تتداول بين الضباط، كذلك وفق تسلسل الرتب. فالأدنى يتلفظها حين يخاطب الأرفع منه قدماً، فما بالك إذا كان المخاطب أعلى رتبة، فهم عسكر قبل كل شيء.

كان التعميم قد صدر في توقيت غير مناسب كون أغلب الموجودين من

الموقوفين فقط ولم تصدر بحقهم أية أحكام، وكان بعضهم يحاول جاهداً نفي التهمة عنه ولا يرضى أن ينادى بهذه الصفة التي عممت في غير وقتها المناسب كما بينت.

لغاية ذلك الوقت لم أكن قد تعرفت على أي من الرفاق في لجنة السجن سوى الأخ أبي ظافر، ولكن إلحاح بعض الضباط وتذمرهم مما سمعوه وطلبهم مني تدارك الأمر، دفعني للاستفسار عن باقي الأعضاء ومحل تواجدهم ومعرفة توقيتات اجتماعهم ليتسنى لي معرفة الدافع لهذا التعميم ومحاولة التخلي عنه، وهكذا اهتديت إليهم وقابلت قسماً منهم وكان أحدهم الرفيق شاكر محمود الذي تدرج فيما بعد في القيادة لفترة غير قصيرة ولكن يد الغدر والجريمة اغتالته هو ورفيقاً آخر لايحضرني اسمه الآن.

وخلاصة ما دار بيننا أنني أوضحت لهم كون هذا الإجراء غير منطقي وغير عملي ولا يخدم أحداً، كما لايساعد على كسب صداقة أي ممن سيشمله هذا التعميم جندياً كان أو ضابطاً كبيراً، فهؤلاء تربوا على قيم الجندية في العراق ومن الصعب الآن التخلي عنها بهذه السهولة.

تكهرب الجو على حين غرة حين أجابني الرفيق الجالس قرب الشهيد شاكر محمود بحدة قائلاً (يجب أن تكون لغة التخاطب بين الرفاق بالصيغة التي عممناها، ثم أردف قائلاً وبتهكم (من هؤلاء حتى نعطيهم صفة أفضل؟ أغلبهم معترفون ولا يستحقون الاحترام)، عندها تغيرت نظرتي للرجل وبادرته بالقول(ومن قال أنك أحسن منهم؟ أنت محظوظ كونك سجنت في زمن عبد الكريم قاسم ولم تسحقك الماكنة التي سحقت وطحنت هؤلاء. ثم من قال لك إنهم جميعاً رفاق كي تلزمهم بما لم يمارسوه أو يعتادوا عليه في حياتهم العسكرية؟).

ثم تجاوزت، وأعترف بهذا، حين أضفت (أنت تتباهى بذلك وأكاد أجزم أنك لو كنت مكان أي منهم لكان حالك أسوء).

تدخل الشهيد شاكر وقال لي:

(نحن لانريد إهانة أحد، ولكن التنظيم هو التنظيم ويجب أن يطاع).

أجبته: (نعم، إن اقتصر على الرفاق وهنا الصعوبة). تفهم الرجل ما عنيته وقال لي (نحن نترك لك الموضوع في قاووشك وأنت حر في ما تراه مناسباً. المهم أن تضبط لنا القاووش). وانتهى النقاش دون زعل كما يقال وعدت إلى متابعة ما كنت قد كلفت به من مهام ما عدا بعضٍ من الخلافات البسيطة التي كنت أوفق في الوصول خلالها إلى حلول وإعادة المياه إلى مجاريها، وهكذا سارت الحياة هناك، ثم ودعت السجن والرفاق والأصدقاء منقولاً إلى ردهة السجن في مستشفى الديوانية، ويرجع الفضل في ذلك إلى الدكتور عبد الجبار العبيدي.

وهنا عدت بذاكرتي الى أيامي في الديوانية قبل ثورة تموز المباركة، إلى شارعها المؤدي إلى جسرها الوحيد، مع عياداتٍ لقلة من الأطباء أمثال الدكتور فاضل الطائي شقيق الفنان سعد، ولبعض من مكاتب المحامين مثل المحامي صكبان الحاج صلال وآخرين، إضافة الى المحال التجارية الصغيرة المتواضعة والى دار السينما الصغيرة التي كانت المتنفس الوحيد لنا نحن الضباط بكراسيها المتحركة القلقة وشاشتها المبنية بالآجر بالرغم من عدم جودتها ووضوح صورها.

كما أن الفرقة كانت تمنع صغار الرتب من ارتداء الملابس المدنية، تجنبا للاختلاط بالمدنيين، لذا لم نكن نميل الى التجوال في المدينة لكثرة الجنود بزيهم العسكري، وبالتالي تبقى اليد اليمنى مرفوعة للرد على تحاياهم تبعا للعرف العسكري، إضافة الى تجنب حضيرة أمن الفرقة وتقاريرها التي تقدم للقائد اللواء الركن عباس علي غالب والذي اطلق عليه اسم (عباس حرشة) لصرامته وانضباطه، يا للذكريات التي تعود للإنسان وهو في موقف حرج.

ونقلت إلى مستشفى الديوانية

كان من بين الاجراءات المتخذة في ذلك الوقت، أن يأتي في كل أسبوع طبيب زائر من الديوانية لفحص المرضى وتزويدهم بالعلاج اللازم والتوصية بنقل من هم بحاجة إلى مداخلة جراحية أو حالة مرضية لايمكن علاجها دون رعاية طبية في المستشفى أن اقتضى الحال، وكان الطبيب مطلق الصلاحية في ذلك. وبسبب علاقتي بالدكتور أخي وصديقي عبد الجبار العبيدي وكذلك كونه (ابن طرفنا كما يقال في ذلك الحين، وكرخي مثلي، إضافة إلى صلة القرابة البعيدة والصداقة التي تجمعني به والآخرين من منطقتنا، فقد أوصى بنقلي إلى مستشفى الديوانية لحاجتي للمعاجة هناك).

وبما أني كنت على علم مسبق بزيارته عن طريق ما وصلني من رسائل فهمت من محتواها موعد وصوله إلينا، وما أن حلت ساعة وصوله ومباشرته بعيادة بعض المرضى من المساجين حتى تمكنت من الحصول على ورقة عيادة شأني شأن الآخرين، وحين باشر بإجراء الفحص الروتيني أسر لي أنه حضر خصيصاً لنقلي من هذا السجن وقد تم له ما أراد، ولن أنسى ما قام به هذا الرجل وفاءً ومودة ومساعدة لايمكن تقييمها بمال، إضافة إلى شجاعته في اتخاذ القرار.

وهكذا تم نقلي إلى مستشفى الديوانية وأدخلت ردهة السجن فيه ومكثت هناك لمدة طويلة زادت على الثلاثة أشهر بفضل الدكتور عبد الجبار الذي تبين لي هناك مقدارُ ما كان يتمتع به من تقدير واحترام من كافة العاملين فيه إضافة إلى نفوذه الكبير. كان الرجل يزورني بين فترة وأخرى ثم يصطحبني إلى قسمه حيث

يدخل الشاش والفازلين في أنفي تمويهاً لتأمين استمرار بقائي هناك (كان طبيب اختصاص أنف وأذن وحنجرة).

وحين تأزم الموقف بين إدارة المستشفى وبقية الراقدين في ردهة السجن في أحد الأيام، وبغية تمكنه من المحافظة عليَّ واستمراري في البقاء في الردهة، استنجد الرجل بأحد الأطباء الجراحين وأدخلني غرفة العمليات على وجه السرعة وأجرى لي عملية إخراج طلق ناري من فخذي الأيمن كنت قد أصبت به من ضمن ما أصابني من رصاص الغدر والخسة في التاسع من شباط الأسود مع بقية زملائي الذين استشهدوا هناك في نادي (الاولمبي) الجمهوري في الاعظمية كما سبق وبينت. وهكذا تمكن من استمرار بقائي في المستشفى على الرغم من حادثة هروب زملائي الشجعان الملازم الأول الطيار عبد النبي جميل والملازم الأول أحمد محسن، وآخرين من المدنيين وقتها.

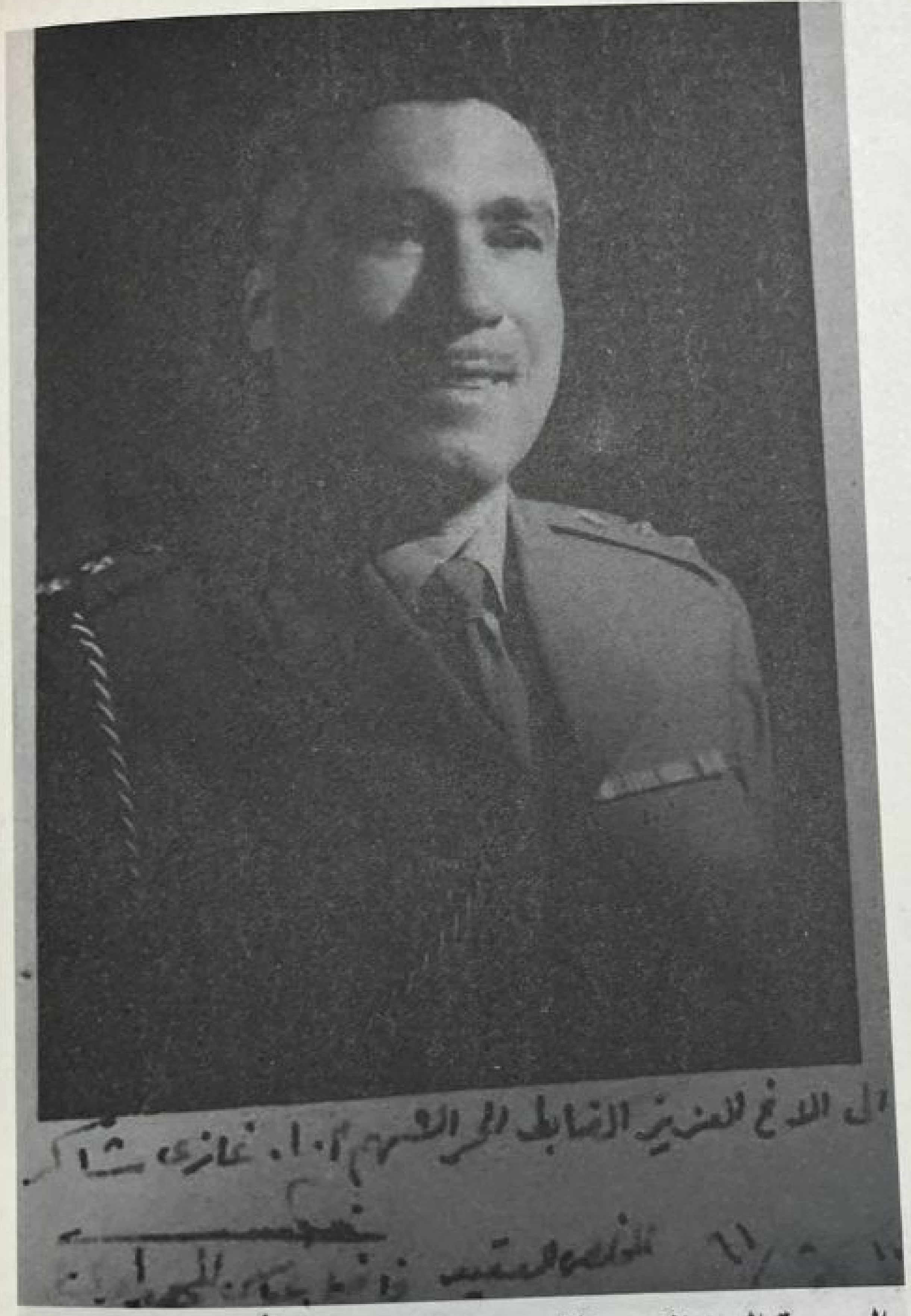
حين أزف موعد محاكمتي نقلت من مستشفى السجن إلى المحكمة في معسكر الوشاش حيث حكم علي بالسجن لمدة سنة واحدة ومن ثم إلى الموقف العام، قضيت هناك ثلاثة أيام لتكملة اجراءات إطلاق سراحي بالنظر لبقائي موقوفاً مدة زادت على المدة التي حكمت فيها، ونجوت من حكم الإعدام لإصراري على الادعاء كوني كنت الضابط الخفر في المحكمة وعدم تمكنهم من اثبات العكس باتهامي بمقاومة الثورة بسبب احتراق غرفة قلم المحكمة بما فيها من بعض السجلات وأوامر القسم الأول التي يدرج فيها اسم الضابط الخفر. تخلصت من الحكم، ولم أسلم من المراقبة والملاحقة لغاية سنة ألفين وثلاثة وسجلي حافل لدى مديرية أمن القناة.

تحية إكبار وإجلال لكل شهداء الوطن الذين طالتهم يد الغدر والخيانة في شباط الأسود ولكل من تبعهم من الذين ساروا وناضلوا من أجل رفعة شعبهم ووطنهم متمسكين بمبادئ ثورة الرابع عشر من تموز وجمهوريتها الخالدة.

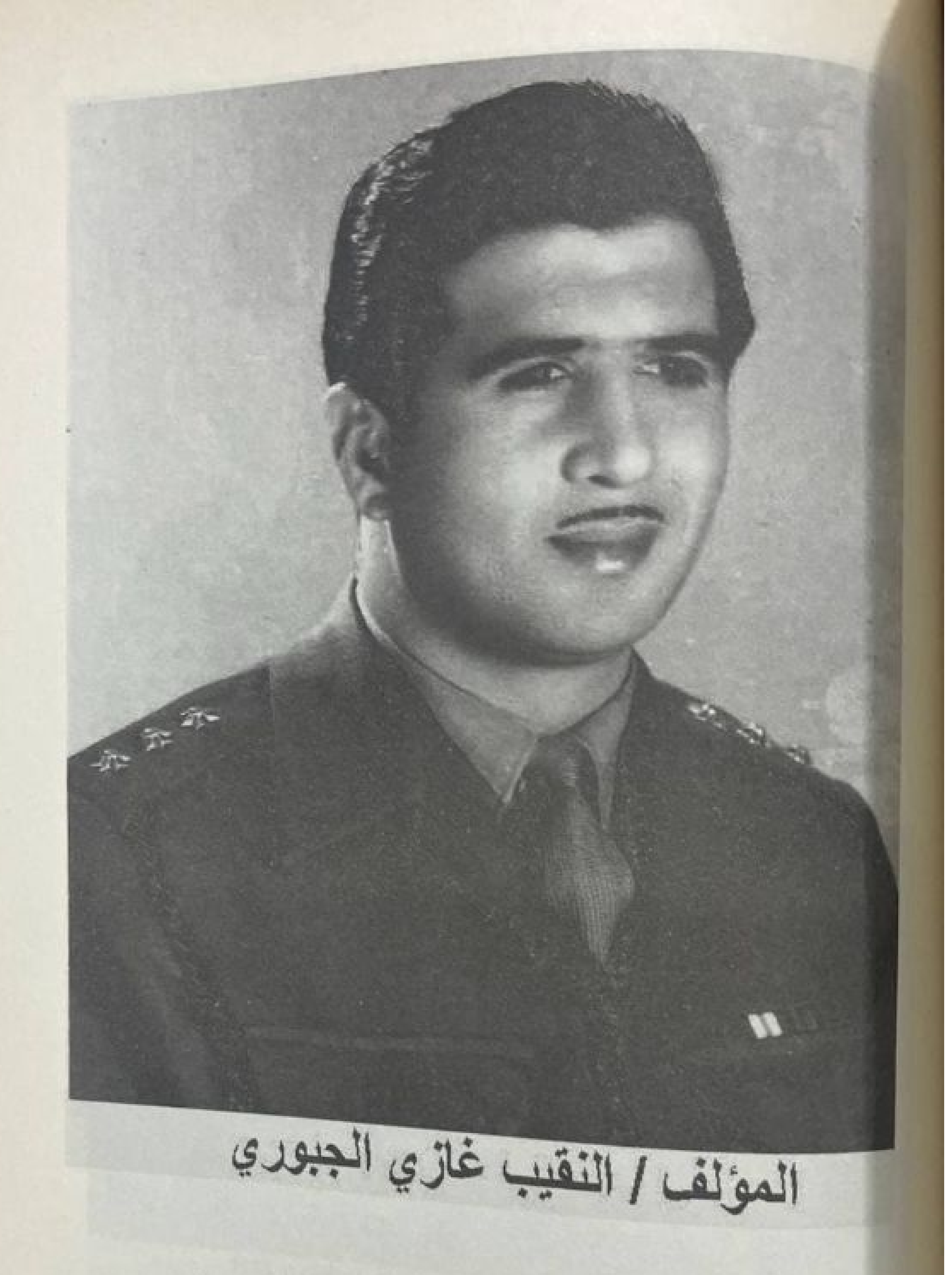
ملحق الصور



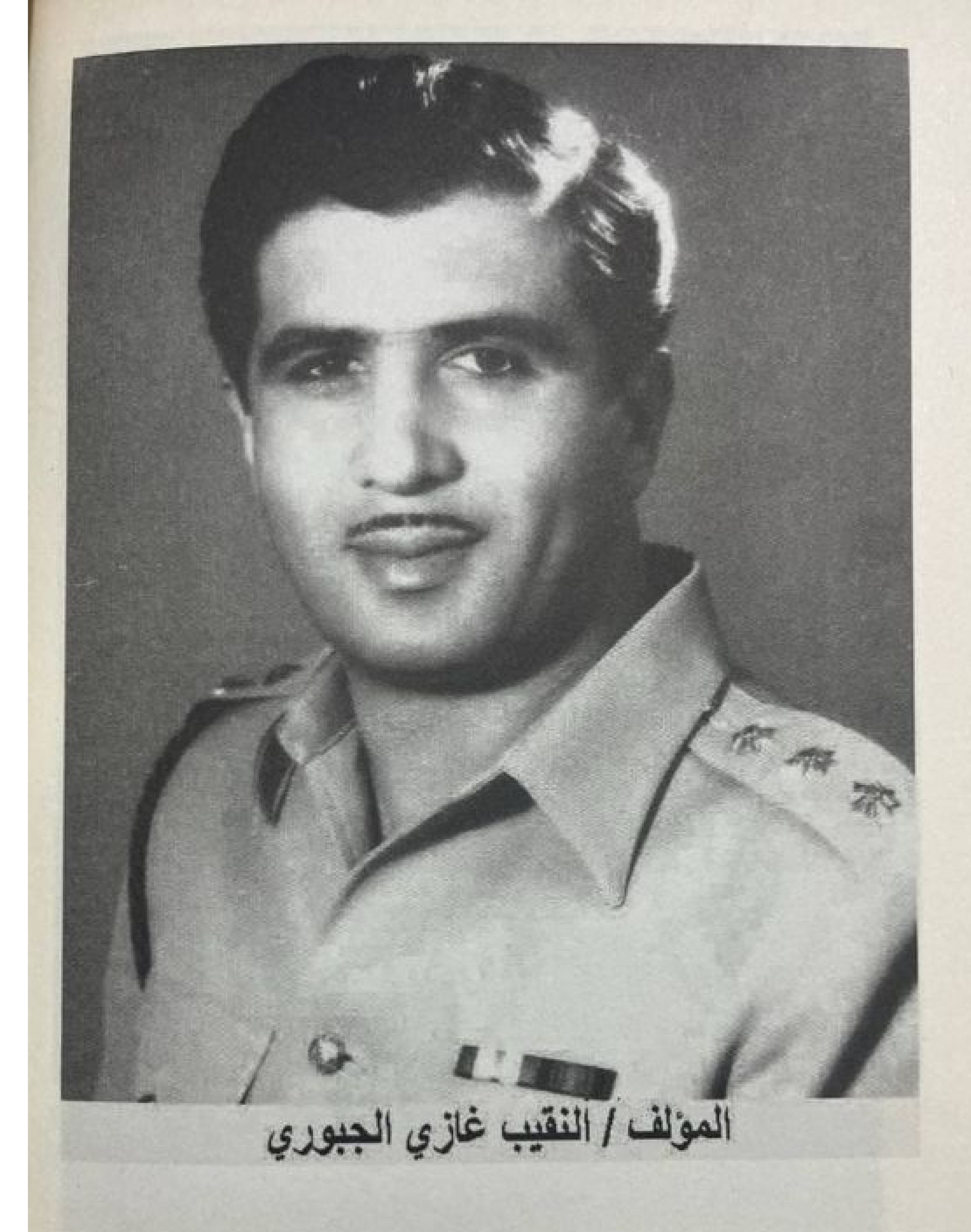
الصورة المهداة من الزعيم الشهيد الى المؤلف و التي أرخها بتاريخ يوم الاهداء اعتزازاً منه بالمؤلف على خلاف عادته حيث كان يوقع بتاريخ 14 تموز .



الصورة المهداة من الشهيد العقيد المهداوي الى المؤلف للجهود المبذولة منه في تامين مسيرة عيد العمال العالمي



المؤلف / النقيب غازي الجبوري



المؤلف / النقيب غازي الجبوري



المؤلف الخامس من اليمين برتبة عريف فصيل خلال دراسته في الكلية العسكرية الملكية مع بعض زملائه

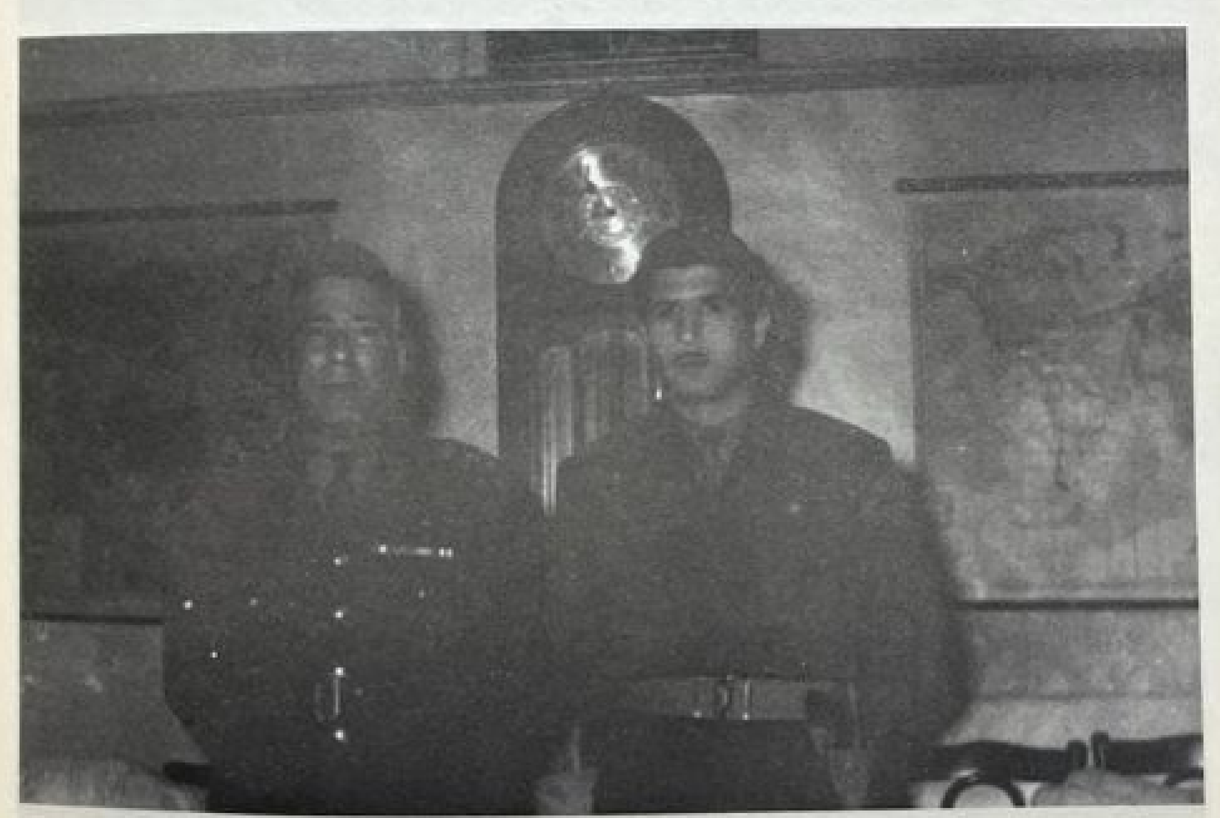


المؤلف اثناء خدمته في ف 1 ل14 اثناء الاحتفالات بمناسبة عيد الجيش في 6/كانون/ 1968

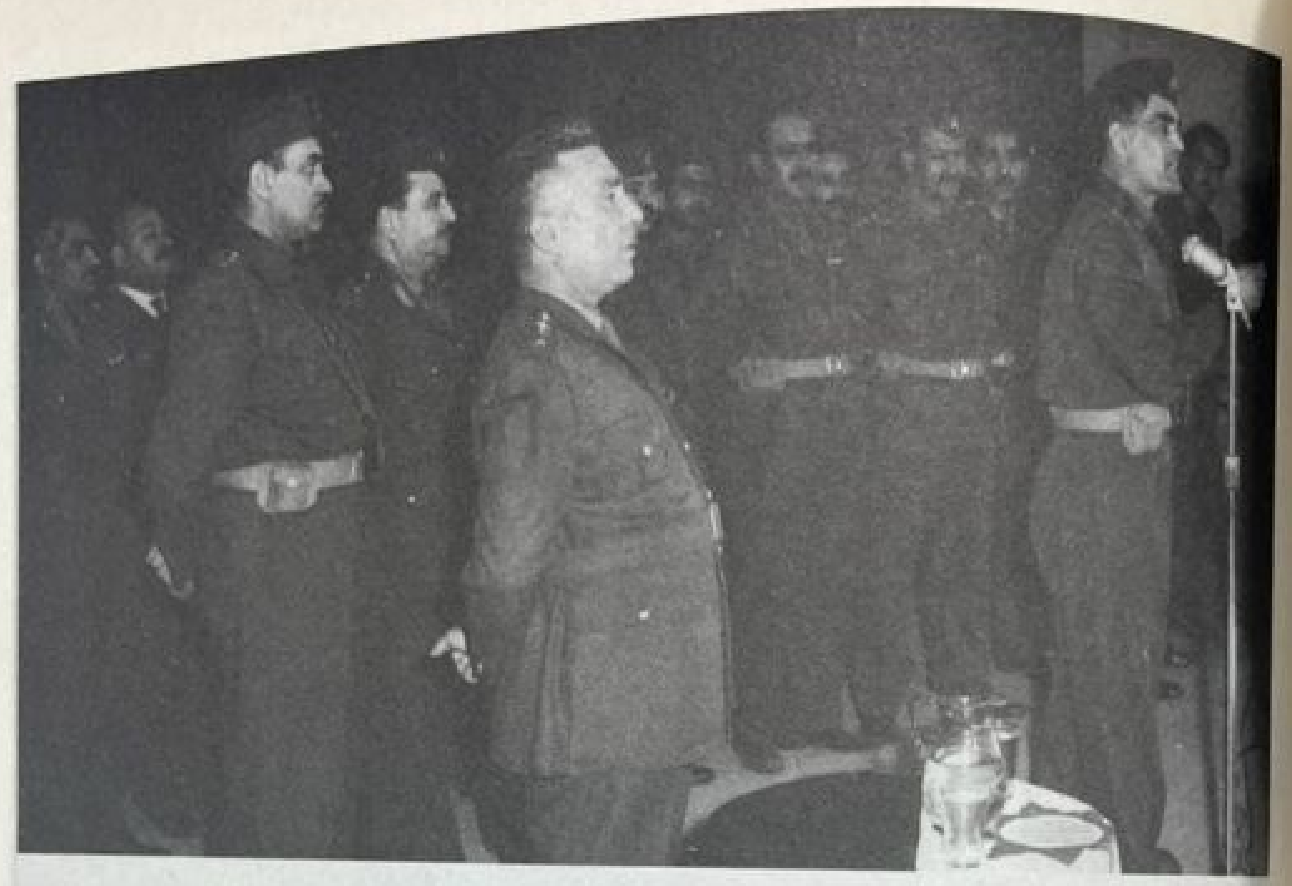
و يظهر في هذه الصورة من اليسار : الملازم الحقوقي عبدالعال المؤلف ، العقيد صبيح علي غالب ،العقيد سلمان الدركزلي، العقيد نوري الراوي، الملازم الاحتياط محسن كاظم وفي الصف الخلفي الرئيس الاول جابر حسن حداد والرئيس الاول عايد العوادي .



المؤلف و هو يتابع اعماله بمكتبه في محكمة الشعب



المؤلف النقيب غازي الجبوري مع العقيد الشهيد فاضل عباس المهداوي



الزعيم الشهيد عبدالكريم قاسم خطيباً في احتفالية المحكمة و يبدو الشهيد المهداوي ، الشهيد العقيد وصفي طاهر، اللواء الركن احمد العبدي ، الرئيس الاول عبدالستار الجنابي ، العقيد البطل عبدالكريم الجدة و الصف الخلفي يبدو الملازم عبدالرزاق الدوري، النقيب غازي الجبوري ، الرئيس الاول محمود الجلبي ، الرئيس الاول ابراهيم اللامي



لقطة اثناء الاحتفالية الخاصة بسلامة الزعيم من محاولة الاغتيال التي اقيمت في قاعة الشعب شباط ١٩٦٠ ، و يظهر في هذه الصورة اللواء الركن احمد صالح العبدي رئيس اركان الجيش ، اللواء الركن علي غالب عزيز معاون رئيس اركان الجيش ، الرئيس الاول الشهيد ابراهيم الموسوي ، الرئيس الاول جميل بلطة ، الزعيم الشهيد طه الشيخ احمد ، العقيد الشهيد فاضل عباس المهداوي ، النقيب غازي الجبوري ، و يبدو في الخلف الرئيس الاول محمود الجلبي و احد الدبلوماسيين الاجانب .



مجوعةً من منتسبي محكمة الشعب بعد اكتمال الدرع الذي قدم الى الزعيم الشهيد عبدالكريم قاسم بمناسبة شفائه من محاولة الاغتيال و يظهر الملازم الاول الاحتياط علي صاحب عجلم ، النقيب غازي الجبوري ، الملازم عبدالغفور منصور ، الملازم مؤيد القيسي ، المقدم الحقوقي خليل ابراهيم القيسي رئيس اللجنة التحقيقية في المحكمة و الملازم عبدالرزاق وهيب الدوري .



اعضاء و منتسبي المحكمة على مأدبة الطعام المقامة في احتفالية المحكمة بمناسبة سلامة الزعيم الشهيد عبدالكريم قاسم من محاولة الاغتيال في شارع الرشيد و يبدو المؤلف على يمين الصورة .

العقيد الشهيد فاضل عباس المهداوي في وسط الصورة ، النقيب غازي الجبوري ، الملازم عبدالرزاق وهيب الدوري ، الرئيس الاول الشهيد ابراهيم الموسوي ، الرئيس الاول جميل بالطة .

اعضاء و منتسبي المحكمة اثناء الاستعراض العسكري المقام بمناسبة الذكرى الثانية لثورة 14 تموز الخالدة و يبدو المؤلف حاملاً علم المحكمة



اعضاء و منتسبي محكمة الشعب قبل الوصول الى وزارة الدفاع و تأدية التحية الى الزعيم بمناسبة الذكرى الثانية لثورة 14 تموز و يبدو المؤلف يحي الجماهير حاملاً عصاه بيده



المؤلف في قاعة المحكمة قبل وصول المتهمين الى قفص الاتهام و يبدو في الصورة العقيد الركن الشهيد ماجد محمد امين المدعي العام العسكري



المؤلف في قاعة المحكمة و يظهر الى جانبه الرئيس الاول الشهيد ابراهيم كاظم الموسوي و الرئيس جميل بالطة



المؤلف في قاعة المحكمة اثناء محاكمة المتهمين في محاولة اغتيال الزعيم الشهيد عبدالكريم قاسم



اثناء زيارة معرض المانيا الديمقراطية المقام في بغداد و يبدو في الصورة بعض موظفي السفارة الالمانية باستقبال العقيد الشهيد فاضل عباس المهداوي و يبدو المؤلف الى جانبه قبل الصعودة الى الطائرة الناقلة



اثناء استقبال مجموعة من الفنانين الذين ساهموا باحياء الاحتفالية الخاصة بذكرى تشكيل المحكمة،و يبدو الدكتور خلد الجادر عميد كلية الفنون الجميلة و الفنان وديع خونرة ، الشهيد المهداوي ، المنلوجست فاضل رشيد ، المقدم الشهيد حسين الدوري المؤلف ، الفنان احمد الخليلي ، الرئيس الاول محمود جعفر الجلبي و المقدم خليل ابراهيم القيسي عضوي المحكمة.

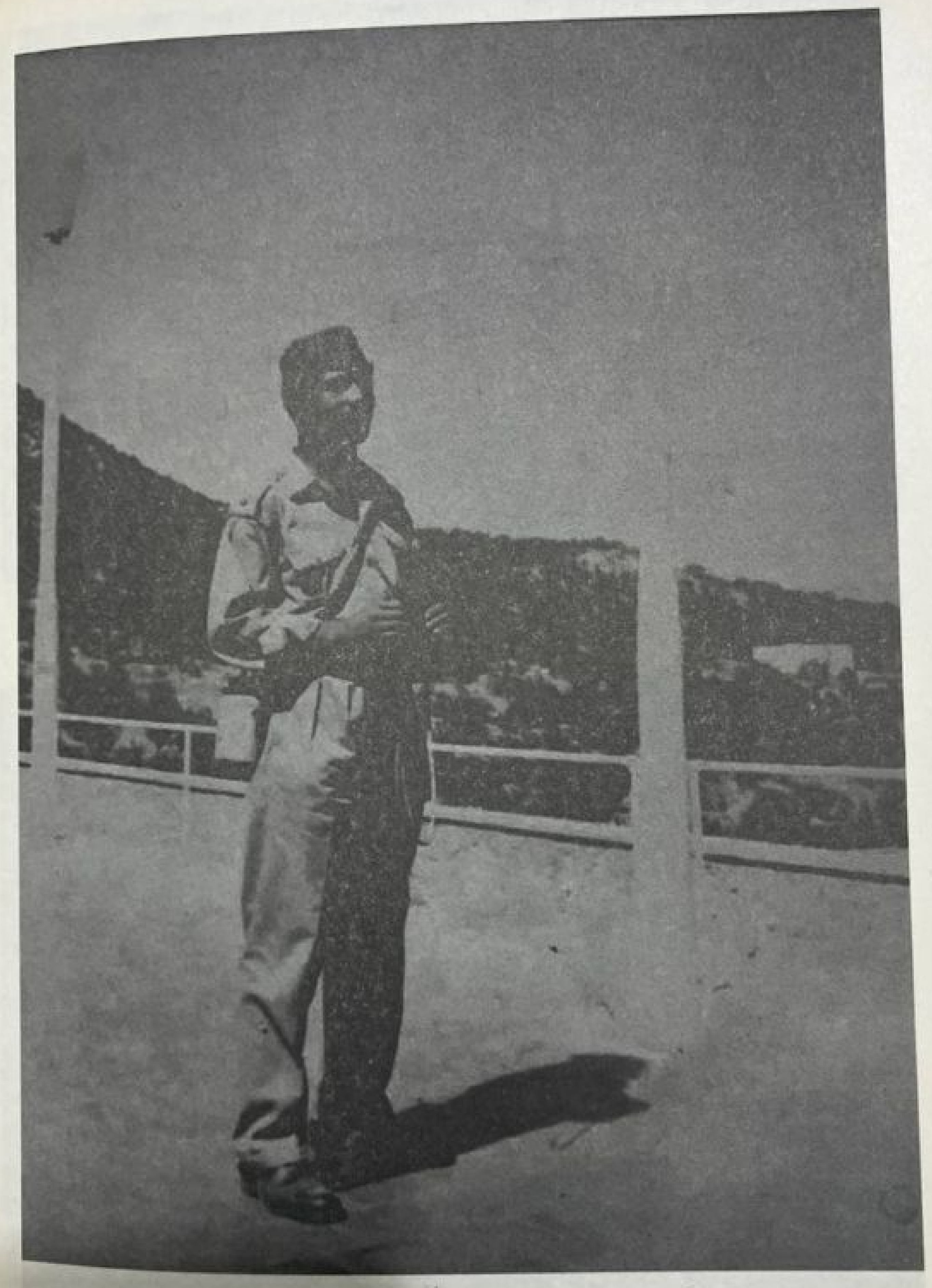


المؤلف مع مجموعة من منتسبي المحكمة اثناء استقبال العقيد حسن عبود امر موقع الموصل و يبدو العقيد الشهيد فاضل عباس المهداوي وسط الصورة

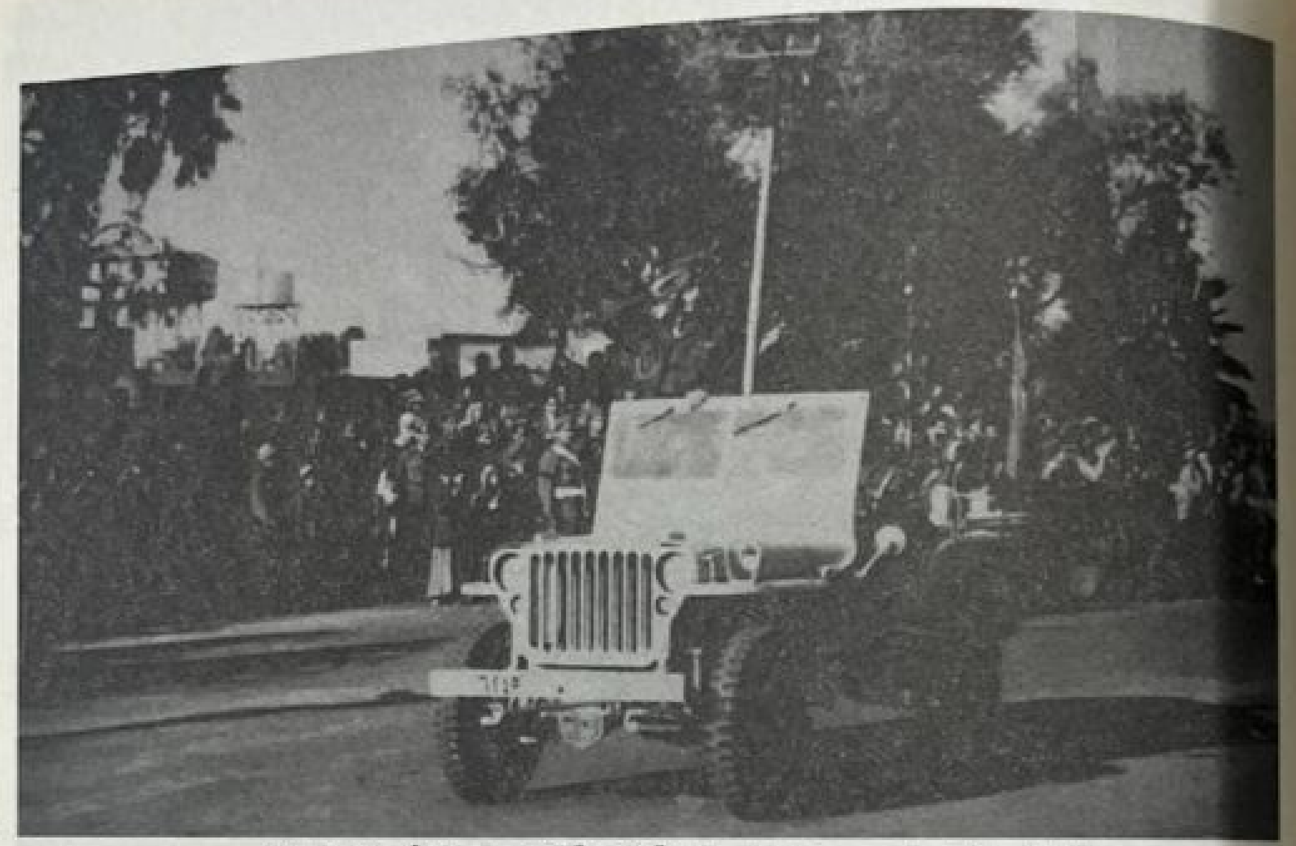


اعضاء و منتسبي المحكمة العسكرية العليا الخاصة (محكمة الشعب)

في الباحة الخلفية للمحكمة و يظهر في هذه الصورة من اليمين:
الصف الاول / المؤلف الجبوري ،الرئيس الاول جميل بالطة،الملازم مؤيد القيسي، الملازم علي عجام.
الصف الثاني/العقيد الركن ماجد محمد امين المدعي العام،الرئيس الاول ابراهيم الموسوي،العقيد فاضل المهداوي،الملازم عبدالرزاق وهيب الدوري ، الرئيس الاول محمود الجلبي،الرئيس الاول ابراهيم اللامي، القاضي عدنان باباجان ، كاتب المحكمة مهدي صالح السلمان .
الصف الثالث/القاضي ،الرئيس الاول فاضل المصلح،العقيد فتاح الشالي، المقدم حسين الدوري ، المقدم خليل القيسي



المؤلف في شمال البلاد حاملاً الناظور اثناء الاستطلاع



المؤلف اثناء المرور من امام منصة التحية اثناء خدمته في ف1 ل 14



رئيس و اعضاء و منتسبي المحكمة في الباحة الخلفية لها و يبدو بينهم المؤلف والمقتمين سعيد مطر و غضبان السعد



المؤلف أثناء دراسته في الكلية العسكرية الملكية مع بعض زملائه

الشهيد العقيد فاضل عباس المهداوي اثناء القاء كلمته في(حفلة السلامة و الابتهاج بشفاء الزعيم عبدالكريم قاسم من محاولة الاعتداء الاثم في راس القرية) ، و يبدو خلفه اعضاء و منتسبي المحكمة .



رئيس و اعضاء و منتسبي محكمة الشعب اثناء زيارة معرض المانيا الديمقراطية و يظهر المؤلف الى جانب العقيد الشهيد المهداوي



يظهر في هذه الصورة الرئيس لاول محمود جعفر الجلبي , الرئيس الاول جميل بلطة , العقيد فتاح الشالي , المقدم الشهيد حسين خضر الدوري , الزعيم سعدي القرغولي ,العقيد الركن الشهيد ماجد محمد امين , زعيم الجو الركن الشهيد جلال جعفر الاوقاتي ,العقيد الشهيد فاضل عباس المهداوي ,الزعيم الشهيد طه الشيخ احمد , المؤلف النقيب غازي الجبوري , الرئيس الاول الشهيد ابراهيم كاظم الموسوي , الرئيس الاول ابراهيم عباس اللامي ...اثناء الحفلة التي اقيمت في قاعة الشعب بمناسبة سلامة الزعيم شباط ١٩٦٠ .

الى سيادة القائد العام للقوات المسلحة

بالنظر لما يتطلبه الواجب القومي والانساني علينا جميعاً من مشاركة اخواننا الجزائريين في مكافحتهم المسلحة البطولية ونضالهم الشريف ضد الاستعمار الفرنسي القذر الذي يشن عليهم حرباً وحشية بلغت اقصى درجات البربرية الفاشستية المتجردة من كل القيم الانسانية والفاقدة لصفات المحارب الشريف تجاه اشقائنا من ابناء وبنات الجزائر الغر الميامين والذين تبيدهم فرنسا الديغولية المجرمة بالملايين بما فيهم الاطفال والعجزة الذين يقذف بهم الى الموت بما يشبه ما اقترفته ايطاليا الفاشستية في الماضي القريب من جرائم نكراء وخاصة بالمجاهد الليبي المرحوم عمر المختار ٠

بالنظر لكل ذلك اتقدم بطلب التطوع للقتال في ساحة الشرف الجزائرية ولقد سبق وان بينت رغبتي هذه لكم وللمجاهد الجزائري الاخ كريم بلقاسم في زيارته الاخيرة للجمهورية العراقية الخالدة وفي بهو امانة العاصمة كما تعلمون ٠

هذا وارجو تسفيري باسرع وقت ممكن واشكركم ٠ وفيما يلي اسماء زملائي في المحكمة الذين شاركوني هذه الرغبة الشريفة وهم :ـ

١ ـ العقيد فتاح سعيد الشالي ٠ سبق وان قدم طلباً للتطوع في جيش التحرير الجزائري ٠

٢ ـ المقدم حسين خضر الدوري

٣ ـ المقدم خليل ابراهيم القيسي

٤ ـ الرئيس الاول فاضل عبد الهادي المصلح

٥ ـ الرئيس الاول محمود جعفر الجلبي

٦ ـ الرئيس الاول ابراهيم كاظم الموسوي

٧ ـ الرئيس الاول جميل بالطة

٨ ـ الملازم الاول غازي شاكر

٩ ـ الملازم عبدالغفور منصور

١٠ ـ الملازم علي صاحب عجام

١١ ـ الملازم عبدالرزاق وهيب الدوري

المخلص
العقيد فاضل عباس المهداوي
رئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة
(محكمة الشعب)

الدم .. الذي يتدفق لنصرة الشعب الفلسطيني

سيادة رئيس محكمة الشعب العقيد فاضل عباس المهداوي المحترم

سيدي



تلبية لنداء الواجب المقدس وانقاذا لحياة احد اخواني الاكراد رفيقي في السلاح الجندي عبدالرحمن حسن تبرعت بجزء من دمي فاختلط الدم العربي بالدم الكردي مؤكدا الوحدة العراقية الصادقة التي نادى بها زعيمنا المقدام اللواء الركن عبدالكريم قاسم . وقد منحتني ادارة المستشفى مبلغا قدره خمسة دنانير ولما كنت اشعر بشعور زعيمي المنقذ بضرورة مساعدة اخواننا العرب في فلسطين لتأسيس الجمهورية الفلسطينية الخالدة فاني اتبرع بهذا المبلغ الزهيد ليضاف الى المبالغ التي تبرع بها شعبنا الجبار منتظرا اليوم الذي سينطلق فيه جيشنا من العراق لتحرير الوطن السليب لاساهم في قتال الصهاينة الاشرار .

الجندي المخلص

الملازم الاول غازي شاكر

المحكمة العسكرية العليا الخاصة

محكمة الشعب

في ٢٣/٥/١٩٦٠

الفهرس



القتيل الحي

والشاهد الحاضر

انا انشر ما قد كتبته بوازع من ضميري لكشف و إيضاح بعض من الحقائق التي توفرت لدي خلال عملي مع أولئك الذين تم غدرهم وشوهت سمعتهم دون اي تأنيب للضمير، او لذنب ارتكبوه سوى حبهم لوطنهم واخلاصهم له. فرحلوا عنا شهداء في عليين وهم أنقى نفساً ورفعة عن مغريات الحياة و المال والسلطة، وأطول قامة وشموخاً من الذين غدروا بهم بمساعدة الأجنبي، لقد عاشوا وما زالوا يعيشون في ضمير الشعب، وذهب من غدر بهم من الخونة الى مزبلة التاريخ.

لم يخطر ببالي وانا واقف مع جميع الذين استشهدوا بعد ان صلاهم برشاشته المجرم أيوب صبري وهبي ان احيا وانتشل من بين الجثث بعد نيلي لمرتين نصيباً وافراً من رشقات سلاحه ونقلي مع الجثث من النادي الجمهوري الى مستشفى الرشيد العسكري، ومع هذا فقد عشت لأروي ما حل بهم وبي دون ذنب نقترفه او جريرة سوى اني والجميع ممن استشهد اخلصوا لشعبهم ولمؤسس جمهوريتهم الزعيم الخالد عبدالكريم قاسم.

قد أكون اخر الأحياء الذين واكبوا معركته الاخيرة وشاركوا فيها، هنا أودّ ان اوضح الكيفية التي تعامل بها الزعيم الشهيد عبدالكريم قاسم مع الحدث منذ بدايته ولغاية انتقاله الى بناية قاعة الشعب مصطحباً معه الشهداء المرحومين ((العميد الركن طه الشيخ احمد، العميد فاضل عباس المهداوي فضلاً عن المرحوم اللواء الركن احمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش، كذلك المرحوم المقدم الركن قاسم امين الجنابي مرافق الزعيم وبقائنا مع الشهيد المرحوم (العميد وصفي طاهر المرافق الأقدم للزعيم عبدالكريم قاسم)) في المقر الرئيسي، وما جرى بعد ذلك من احداث حتى صباح اليوم التالي.







دار سطور للنشر والتوزيع
بغداد ـ شارع المتنبي ـ مدخل جديد حسن باشا
هاتف: 07711002790ـ 07700492576
e.mail: bal_alame@yahoo.com